بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى قرمزلي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: https://www.facebook.com/groups/Theses.dz

تويتر https://twitter.com@Theses_DZ

الخدمات المدفوعة

01- أطلب نسخة من مكتبتي



السعة: 2000 جيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية (كتاب، مقالة، ملتقى، ومخطوطة...)

المكتبة مع الهرديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهرديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهرديسك بالأورو: 450 أورو

02-نوفر رسائل الأردن كاملة 20 دولار للرسالة الواحدة على https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزلي 2016.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =

وزارة التعليم العالي
جامعة الجزائر
معهد الفلسفة

جرد

الأخلاق عند عبد الحميد بن باديس
بين
النظرية والتطبيق

٨١٣٣٨١

رسالة قدمها :
بوعلام ونّاس

لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

بإشراف
الدكتور عبد الرزاق قسوم
أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر

٢
٢٧٤٤

السنة الجامعية : 1987/ 988

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =

اني عاجز عن التعبير عن بالغ شكري وتقديري لأستاذي المحترم الدكتور عبد الرزاق قسوم الذي أشرف على هذا البحث المتواضع وأفادني من تجربته العلمية الطويلة ونبهني إلى خصائص علمية في البحث العلمي كنت أجهلها .

كما لا أنسى كل أساتذتي في معهد الفلسفة على ما قدموا لي من نصح وتوجيه فمكنوني بذلك من العمل وأخص بالشكر السادة الأساتذة الذين ضحوا بوقتهم الثمين فدرسوا هذه الرسالة ، فإليهم جميعا أهدي باكورة عملي المتواضع .

الباحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

1) بواعث اختيار الموضوع :

هناك أسباب عديدة تكمن خلف اختياري لموضوع (الأخلاق عند عبدالحميد بن باديس بين النظرية والتطبيق) لعل أهمها في نظري مايلاحظ من نقص في الدراسات المتخصصة التي تتناول بعمق هذا الجانب من فكر ابن باديس وهو الجانب الأخلاقي .

على أنني أبادر إلى القول بأن هذا الحكم لا يعني كون رجال الفكر لم يتناولوا ابن باديس بمافيه الكفاية ، فالحقيقة أن عددا كبيرا من الدارسين اهتموا بفكره الديني وحركته الاصلاحية وبتفسيره للقرآن الكريم ، لكن الملاحظ من وجهة نظري أن بعض هذه الدراسات وان تناولت الجانب الأخلاقي الذي يبرز القيم الأخلاقية الإسلامية ، فإنها لم تمنحه القدر الكافي من التحليل ، والنقد ، والتقويم .

يوحي من هذه المعطيات كلها ، جاءت هذه الدراسة لتعميق هذا المفهوم الحيوي في فلسفة القيم الباديسية ، وتضيف لبنة متواضعة إلى صرح البناء الفكري الوطني ، الذي يعمل على تطوير أسس رجال الفكر بالمنهج العلمي وسيلة ، والبناء الفكري الحضاري غاية .

ولقد تبين لي في ضوء البحوث الاكاديمية التي اطلعت عليها والتي تناولت فكر ابن باديس أن أهم إشكالية يجب طرحها إنما هي تلك التي تتمثل في تحديد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشخيص الأخلاق النظرية عند ابن باديس كمفاهيم ثم البحث عن مدى تطبيقاتها في الواقع، وباستعراضنا لأهم الدراسات التي خصصت لمختلف جوانب فكر ابن باديس والقيام بتقويمها يمكن في اعتقادنا تجاوز هذه الإشكالية المنهجية وتتمثل هذه الدراسات كما يلي :

ـ 1) الباحث علي مراد من جامعة ليون بفرنسا تناول حركة ابن باديس الإصلاحية وفكره الديني في بحثين ، الأول تحت عنوان (الاصلاح الإسلامي في الجزائر من سنة 1925 إلى 1940) (1) ، تطرق فيه لبعض العناصر الأخلاقية في الحركة التي تزعمها ابن باديس، وحلل مصدر الأخلاق الإسلامية واهتمامات المذهب الأخلاقي الإصلاحي ، كما فحص مفهوم العقيدة الإسلامية لمدرسة الإصلاح .

أما البحث الثاني لعلي مراد فعنوانه (ابن باديس مفسرا للقرآن) (2) ، وقد بين فيه المواضيع الأخلاقية في تفسير ابن باديس للقرآن الكريم معتمدا على الآيات التي تتناول الجانب الأخلاقي في العبادات والمعاملات ، غير أن هذا الجهد الكبير الذي قام به الباحث لا يمنع من القول في نقده بأنه لم يتعرض لأفكار ابن باديس الأخلاقية المطبقة على كل مجالات الحياة بل اقتصر على البحث الذي يتطلبه العمل التاريخي لأفكار وأعمال الحركات الإصلاحية الحديثة .

ـ 2) البحث الثاني يتمثل في رسالة دكتوراه عن ابن باديس في التربية والتعليم (3) قدمها رابح تركي ، وأعطى من خلالها صورة تاريخية عامة عن عصر ابن باديس

---

(1) MERAD (Ali), le reformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 (essai d'histoire religieuse et sociale), paris, la HAYE, 1967.

(2) MERAD (Ali), iBN Badis commentateur du CORAN, SNED, ORAN, imp Bontemps, limoges, FRANCE, 1971.

(3) د . رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثره في تكوين فكره التربوي ، غير أن النتائج التي توصل إليهما الباحث كانت في تقديري هي الأخرى عبارة عن عرض تاريخي خاص بجهود ابن باديس في التربية والإصلاح دون التعمق في تحليل جوانب الأخلاق في أفكاره وأعماله التربوية .

ـ3) اهتم الباحث حسن عبد الرحمن السلوادي في كتابه (عبد الحميد بن باديس مفسرا) (1) ، بمنهج ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم ، وخصص فصولا لأفكاره الدينية والسياسية والإصلاحية ، ثم بين كيف أن مكانة ابن باديس كمفسر تتجاوز ذلك المصلح الذي يتصف بالإصلاح في مسائل الدين واللغة والوطن إلى مكانة الرجل الذي هز الأسس التقليدية للبنية الثقافية العربية الإسلامية التي كانت سائدة في النصف الأول من القرن العشرين ، وهذه الدراسة بالرغم من جوانبها الإيجابية الكثيرة لم تتعمق في نظري في الجانب الأخلاقي المتعلق باهتمام ابن باديس بتكوين الإرادة الخلقية عند الفرد لتحريره من سيطرة الغرائز وسلطان الهوى والخرافات ، وليتحكم بإرادته فيما تدفع إليه الرذائل .

ـ4) قدم الباحث علي علواش رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في الفلسفة تحت عنوان (حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية) (2) ، فخصص تحليلا شاملا لعمل ابن باديس التربوي الاصلاحي ، وبين الفلسفة التربوية في المدرسة الباديسية غير أنه في عمله ذلك لم يتطرق إلى الجانب الأخلاقي الذي يتمثل في

---

(1) حسن عبد الرحمن السلوادي ، عبد الحميد بن باديس مفسرا ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

(2) علي علواش ، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الاصلاحية ، أطروحه دكتوراه الحلقة الثالثة في الفلسفة ، جامعة الجزائر ، 1983 ـ 1984 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدب الحوار مع رجال الطرق الصوفية ، هذا ومن باب الإنصاف الاعتراف بالإستفادة من هذه الرسالة خصوصا في معرفة اتجاه التفكير التربوي الباديسي وخاصة فكرة المثل الأعلى الأخلاقي عند ابن باديس .

-5) الدكتور محمود قاسم في كتابه (الامام عبدالحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية) (1) تناول أسس الإصلاح وأسلوب تنفيذه عند ابن باديس ، وخصص تحليلا لفلسفته الأخلاقية ، وبين بعض نظراته في الأخلاق مقارنا إياه بالماتريدي وابن رشد في فكرة السببية وحرية الارادة ومشكلة الحسن والقبح والخير والشر .

وهناك كتب أخرى تناولت حركة ابن باديس (2) إلى جانب كثير من المقالات والمطبوعات والمحاضرات والندوات التي اهتمت بابن باديس وأقطاب الإصلاح .

واذا كانت هذه الكتابات تتصل بالمناسبات والتظاهرات الثقافية ، فإن معظمها إذا قيس بالمقياس العلمي الأكاديمي ، نجده يتميز بالعرض الذي لا ينفذ دائما إلى حجم الحقائق الجوهرية وان تناول جوانب أخرى هامة في فكر ابن باديس وهو مايدفعني إلى الاعتراف بالاستفادة كل حسب أهميته واختصاصه .

واذن فاهتمامي بالموضوع لم يكن وليد الصدفة ولاجاء نتيجة التعصب لحركة ابن باديس ، بل كان الدافع إليه يتمثل في عدة أسباب موضوعية .

---

(1) د . محمود قاسم ، الامام عبدالحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 1979 .

(2) انظر قائمة مصادر ومراجع البحث ومختلف الدراسات التي تناولت ابن باديس في نهاية الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبالإضافة إلى ماتم ذكره يأتي البحث كمحاولة لفتح آفاق جديدة في دراسة المشكلة الأخلاقية ذاتها أثناء فترة الاحتلال ، وفي كشف كثير من المسائل والصعوبات التي كانت فرنسا تثيرها .

ونخلص من هذا إلى أن الأخلاق عند ابن باديس متعددة الجوانب فهو معلم ينصح الفرد لأن يكون مهذبا بالأخلاق الاسلامية ، وهو موحد الأمة ومعدها لحياة أفضل حيث نمى اتجاهاتها الفكرية والوجدانية والإرادية والانسانية ، وهذه الجوانب كلها تدل على خصوبة الفكر الأخلاقي عند ابن باديس ، مما يفتح أمام الباحثين الاكاديميين إمكانية تناوله من وجهات نظر عديدة وبمناهج متكاملة حسب الإختصاص ، ومما لا شك فيه أيضا أن هذا البحث العلمي المتواضع الذي يتناول الأخلاق بين النظرية والتطبيق سيحاول ما أمكنه ذلك دراسة الموضوع وتحليله بكثير من العمق والموضوعية ، وهو مايمثل أهمية تناول مثل هذا الموضوع .

2) تحديد الموضوع :

ان اخضاع العوامل السالفة الذكر للتحليل ، وفي اطار البحث عن أفكار وأعمال ابن باديس الأخلاقية بتحليلاتها وتطبيقاتها ، يفضي بنا إلى مجموعة من عناصر الموضوع التي يجب تحديدها وتناولها لانها تتضمن عددا من الافكار التي هي من صميم المشكلة الأخلاقية .

وهذه العناصر تتمثل في الملامح الأخلاقية والصفات المميزة التي ساهمت في إثراء اتجاه ابن باديس الأخلاقي السلفي ، وفي مفهوم الأخلاق ، وفي منهج ابن باديس والهدف الذي حدده بوسائل الأخلاق العملية والعمل الذي قام به .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3) أهميــة الموضـــوع :

إن أهميــة الموضــوع تكمن في مجموعة من التســاؤلات هدفها تحديد الأخــلاق النظرية والأخــلاق التطبيقيــة ، وكذلك إبراز العــوامل الموضوعيـــة التي أثـــرت على الحيــاة الاجتمـاعيــة والعاطفــة الغيريــة ، والبحث عن مميزات الظواهر الأخلاقيـــة التي كانت ســـائدة .

والتزاما بأهميــة الموضوع حددت التساؤلات كما يلــي :

ماهي عوامل تكوين الفكــر الأخلاقــي عند ابن باديس ؟ وماهو مفهومه للأخــــلاق ؟ وما هي جوانب الأخــلاق في أفكــاره وأعمــاله ؟ وكيف كان أسلوبه في تنفيذه للأخــلاق ؟ وكيف استطاع التوفيــق بين النظريــة والتطبيــق في فلسفته الأخلاقية ؟

وفي محاولتنــا الإجابــة على كل هذه التســاؤلات تكمن أهميــة هذا المــوضـــوع المتمثــل في معرفــة الأخــلاق عند ابن باديس معرفــة دقيقــة وخاصــة الظـاهـــــرة الأخلاقيـــة في بيئتنــة ، وفي التشخيــص الشامــل لوسائل الأخلاق العملية وأعمـالــــه الأخــلاقية التي نبهت مجتمعه إلى مميزات هويته بالمقارنة إلى خطــورة الواقع الاستعمــــاري الفـــرنســـي .

4) منهجيـــة البحـــث :

إن طبيعــة الموضــوع جعلتنــي أخضــع أفكــار ابن باديس وتطبيقــه لهـــــا في الواقــع لمبدإ العــرض والتحليــل واستخــلاص النتــائج من المشكــلات الجوهريــــة التي ســادت الظــروف المعقـــدة التي عاشهــا ابن باديس .

وقد فرضت طبيعة البحث هذه ، ضــرورة اتبــاع المنهــج التاريخــي التحليلــي النقدي ، لذلك حرصــت على التعــامل مع الموضــوع بروح علميــة معتمدا في ذلك على النصــــوص وحدها التي تبرز معــاني الأخـــلاق من وجهــة نظــــر ابــــن بــاديـــس ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثبتا الحقائق باعتماد النصوص كطريقة علمية فعالة للإستدلال على أفكاره وأعماله في مجالات الأخلاق .

مع أن موضوع الأخلاق عند ابن باديس يعتبر جديدا على الدارسين والباحثين فإن تتبع الظواهر الأخلاقية في الجزائر ، والتعرف على أفكار ومنهج ابن باديس جعلني أركز على الجانب التاريخي المتمثل على الخصوص في إيمان ابن باديس بالاسلام بوصفه المصدر الجوهري لكل تطور أخلاقي عنده .

واذا كانت المذاهب الأخلاقية الكبرى قد درست المشكلة الأخلاقية من جوانب مختلفة ، فإن الأخلاق الباديسية تعتمد على المصدر العلوي وعلى الحقيقة الواقعية التي عاشها في مجتمعه ، وباختصار فإن هذا يبرز كنتيجة أن مشكلة الجزائر كما رآها ابن باديس في عصره أخلاقية في أساسها أكثر مما هي مشكلة مضمون فلسفي

واذن فهذا المنهج هو الذي جعلني أحرص على تناول الفلسفة الأخلاقية والمنهج العملي عند ابن باديس برؤية فلسفية .

٣٨٤٤٦٨

5) صعوبات البحث :

تجدر الإشارة إلى مجموعة من الصعوبات واجهتني في تناول الموضوع على أسس منهجية ويمكن حصر أهم هذه الصعوبات كما يلي :

1 ـ صعوبة جمع مادة البحث حيث أن الحصول على المصادر لم يكن سهلا خاصة بعض الدوريات (كالشهاب) فقد عانيت كثيرا من ترتيب وتنظيم النصوص المتعلقة بالجانب الأخلاقي في كل كتاباته .

2 ـ التعرض للصعوبات المنهجية في طرح مفهوم الأخلاق عند ابن باديس ذلك أن الموضوع يثير اعتراضات في أوساط الدارسين الاكاديميين حول إدراج ابن باديس في صنف فلاسفة الأخلاق المسلمين نتيجة نقص الدراسات الفلسفية التي تتناول الأخلاق عند هذا المصلح الجزائري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6) أهداف البحث :

تتمحور أهداف البحث في المحاور الكبرى التالية :

1 ـ التعريف بالأخلاق النظرية والأخلاق العملية عند ابن باديس كموضوع دراسة في بحث منهجي ، لأن أجيالنا الناشئة في حاجة إلى أن تطلع على فكر العلماء والأدباء الذين برزوا أثناء فترة الإحتلال الفرنسي بأفكارهم وأعمالهم التي سجلت مظاهر الوحدة الثقافية المعبرة بأشكال متنوعة عن الشخصية الوطنية والفكر العربي الإسلامي .

2 ـ محاولة اتخاذ هذا البحث العلمي المتواضع كعينة لتحويل التراث الفكري الجزائري إلى قوة أخلاقية حية تؤثر فعليا في عملنا الثقافي والعلمي .

3 ـ العمل على نشر الوعي التاريخي بمنهج فلسفي ، وبالمناخ العلمي الذي يساهم في البحث عن الفكر الأخلاقي الجزائري من منظور وطني عند أولئك العلماء الذين أسهموا في تحقيق النهضة الفكرية .

7) خطة البحث :

قسمت البحث إلى بابين وسبعة فصول وخاتمة ، وسلكت في كل فصل طريقة رأيتها ملائمة للأفكار والمسائل المطروحة للدراسة في هذا الموضوع .

فالباب الأول :

تناولت فيه الأخلاق النظرية عند الإمام عبد الحميد بن باديس ، فركزت في الفصل الأول على عوامل تكوين فكره الأخلاقي ووضعت هذه العوامل في سياقها التاريخي والاخلاقي والإجتماعي والثقافي والديني والسياسي ، تعرضت لتربيته التي غرست فيه القيم الأخلاقية الإسلامية ، وللعامل الدراسي الذي ساهم في تنمية استعداداته الفكرية والاخلاقية ، وركزت على العامل الديني الذي تمس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصيته وروض فكره ونفسه على التمسك بسلوك وآثار السلف الصالح ، وتناولت المؤثرات الاجتماعية التي اسهمت في بروز أفكاره الأخلاقية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وأبرزت تأثير المدرسة الإصلاحية على ابن باديس في فهمه للأسس التي بها يطور الشخصية الوطنية ويجعل الفرد في محيط ثقافي وحضاري عربي إسلامي .

وفي الفصل الثاني تناولت معنى الأخلاق عند ابن باديس ، فركزت فيه على الأخلاق الدينية التي تتمثل في تحديد المعرفة التي يقوم عليهما الفرد في عباداته ومعاملاته ، وعلى الأخلاق الفردية التي حددها في إبعاد سلوك الفرد عن الأوهام والشكوك بالقرآن الكريم للإبتعاد عن الرذائل وعدم الخضوع لأفكار وأعمال وطاعة الكافرين ، والأخلاق الإجتماعية التي تتشخص في تحديد علاقة الفرد بالمجتمع بمضمون القيم الأخلاقية الإسلامية في النفوس والأعمال ، والأخلاق السياسية التي حددها في إبراز الأصول التي يستند إليهما الملك وطبيعة ملك النبوة وقانون تطور الملك البشري الذي لا يلغي الإيمان بالله ، وسبب انهيار الأمة ، وأسس تطور الدولة ، وموضوع الامامة والخلافة .

وفي الفصل الثالث ركزت على مصادر ومنهج الأخلاق ، أبرزت أن القرآن الكريم عند ابن باديس هو مصدر الاسلام بفكرة عدم التعارض بين الدين والعلم والأخلاق ، والسنة النبوية هي الاقتداء بالرسول - ص - بمنهج الإرشاد والهداية ، ورجال السلف الصالح مصدر الثقافة العربية الاسلامية للاهتمام بالتطور الشامل الذي عرفته القدوة الصالحة في الأخلاق بكل أبعاده الدينية والثقافية والأخلاقية والحضارية ، والقيم الأخلاقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تصنع الشخصية الوطنية ، والحكمة الإسلامية التي لم تكن محدودة في تصور الأخلاق بل تركزت على الجانب الإنساني في الدعوة الإسلامية .

وفي الفصل الرابع تناولت هدف الأخلاق ، ركزت فيه على الإصلاح العقائدي الذي يتمثل في جعل الفرد يعرف مفهوم الإسلام وتطبيقاته عند المسلمين والكفار ، والإصلاح العقلي هو جعل عقل الانسان يزيد علما وإيمانا ، يتلقى العلوم والمعارف ، ويحترم العلم والعلماء ، والإصلاح الاجتماعي يتشخص في حفظ كرامة المجتمع الجزائري وصيانة استقلاله .

والباب الثاني :

تناولت فيه الأخلاق العملية عند ابن باديس ، فركزت في الفصل الخامس على وسائل الأخلاق العملية التي اعتمد عليها وهي التربية والتعليم ، والصحافة والمسجد ، بينت الطريق الذي سلكه لإصلاح أخلاق الفرد من الشرك والفساد وآثار سياسة التنصير والتجهيل .

وفي الفصل السادس ركزت على مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة ، حللت مواقف ابن باديس الأخلاقية تجاه السياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر ، والأسس التي تنطلق بها وحدة المغرب العربي ، والأعمال التي تعيد إحياء العلاقات التي كانت بين أبناء الوطن العربي والتكامل الموجود بين أبناء الوطن العربي وأبناء الشعوب الإسلامية المستعمرة .

وفي الفصل السابع تناولت مواقف ابن باديس الأخلاقية في الدين والثقافة ، ركزت على موقف ابن باديس تجاه الطرقية لما فيهما من بلاء على وطنه ، وحللت أسس البعد الروحي للوطن الجزائري ، وأعماله الثقافية التي انطلقت من واقعه لتحسين الوضعية الثقافية .

وفي الخاتمة بينت النتائج التي توصلت إليها ، وحددت آفاق البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البـــاب الاول :

مفهـــوم الأخـلاق عند الإمـام عبدالحميـد بن بـاديـس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــل الأول :

عوامل تكـوين الفكـر الأخـلاقـي عند الإمـام عبدالحميـد بن بـاديـس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان تحليلنا لشخصية ابن باديس يفضي بنا إلى مجموعة من العوامل ساهمت في تكوين الفكر الأخلاقي عنده ، ويمكن منهجيا تحديدها وحصرها في العوامل التالية :

1) التربية العائلية :

بالرغم من عدم وجود ترجمة شاملة تخص طفولة ابن باديس (1) ، فإن البيئة العائلية التي عاش فيها مع والديه كان لها تأثير أساسي في فكره الأخلاقي بالتربية والتعليم والرعاية ، فأمه ((مكنته بتربيتها الصالحة من النمو في بيئة أخلاقية سليمة .)) (2) ، وأبوه فسح له طريق العلوم والمعرفة والآداب (3) ، واختار له مسلك العلم خارج المدرسة الفرنسية ، وجنبه كل الأساليب التي كان يمكن أن تطبع اتجاهه وفقا لخصائص المجتمع الفرنسي ، ولهذا لم تجد الثقافة الفرنسية أي طريق للتأثير على الجانب الأخلاقي في شخصيته .

فقد علمه أبوه الأدب والتواضع ، وهذب نفسه ، وساعده على التفرغ للتعلم واكتساب المعرفة دون أن يتوظف أو يشغل فكره بالأمور المادية في مرحلة بلغ فيها المجتمع الجزائري الحد الأدنى من تدهور مستوى المعيشة (4).

---

(1) كل الدراسات التي تناولت حياة ابن باديس لم تتناول طفولته بشمولية لنقص المعلومات الخاصة بهذه المرحلة من حياته .

(2) محمد الصالح رمضان ، تلميذ ابن باديس في لقاء ببيته في القبة (الجزائر) ، 1984.05.08

(3) من الدراسات التي ركزت على تأثير والد ابن باديس ما يلي :

آ ـ د .عمار الطالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ، ج 1، ط 1 ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، 1968 ، ص 77 .

ب ـ حسن عبد الرحمن السلوادي ، عبد الحميد بن باديس مفسرا ، ط 1 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص 44 .

جـ ـ علي علواش ، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في الفلسفة ، جامعة الجزائر ، 1983 ـ 1984 ، ص 54 (ركز على تأثير والديه)

(4) Kaddache (Mahfoud), Histoire du nationalisme algérien, 1919-1951, T1, SNED, Alger, 1980, p 16, 17, 18, 34, 35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انتقى له والده أحسن الشيوخ لتعليمه ، فمكنه ذلك من حفظ القرآن وإتمامه في السنة الثالثة عشرة من عمره على يد الشيخ محمد المداسي ، وتمكن من أخذ الثقافة العربية الإسلامية على يد الشيخ حمدان لونيسي ، وذلك قبل أن يوفد إلى تونس ليستكمل تعليمه بجامع الزيتونة ، وليتعمق في العلوم الإسلامية ويطلع على أوضاع العالم الاسلامي .

إن حرص والده على تربيته وتعليمه وتكوينه ساعده كثيرا على الإنقطاع للحياة الدراسية والعلمية التي نمت استعداداته في حفظ القرآن وفي تعلمه العلوم . وفي هذا الخصوص نجد ابن باديس يصف ذلك بقوله : ((ان الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني / وجهة صالحة . ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرد ، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة .)) (1) .

وباختصار فإن أسرة عبد الحميد بن باديس غرست فيه القيم الأخلاقية ونشأته نشأة دينية تهذيبية ، رسخت في نفسه القيم الروحية الإسلامية ، ووجهته إلى عبادة الله وتوحيده ، وتنزيهه عن مظاهر الشرك وفي هذا يقول ابن باديس : ((ان البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال .)) (2) .

2) العامل الدراسي :

العامل الثاني هو البيئة الدراسية التي نشأ فيها ابن باديس والتي ساهمت في تنمية استعداداته .

(1) عبدالحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 07 ، م 15 ، قسنطينة ، أوت 1939 ، ص 346 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، الشهاب ج 08 ، م 11 ، قسنطينة ، نوفمبر 1933 ، ص 49 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد حفظ عبد الحميد بن باديس القرآن الكريم على شيخه محمد المداسي، وأتمه في الثالثة عشرة من عمره كما ذكرنا، واستظهر هذا الحفظ في صلاة التراويح التي كان يضطلع بها لمدة ثلاث سنوات متتالية بالجامع الكبير (1)، كما وجهه شيخه إلى العبادة الصحيحة والتفكير في معاني القرآن الكريم والعمل بفائدته (2).

كما أشرف شيخه حمدان لونيسي على تلقينه العلوم العربية الإسلامية لمدة خمس سنوات (1903 ـ 1908)، فنصحه أن يقرأ العلم للعلم وخدمة الإسلام والجزائر لا للوظيف الذي يجعله يتبع المغربات والامتيازات والعيش في الترف والنعمة، فيصبح مقيدا فكريا وسياسيا وثقافيا (3).

كان لهذا التوجيه الأثر الإيجابي في حياة ابن باديس فقد مكنه من معرفة مافي الجزائر من قوانين استثنائية، فلم يقبل العمل في الادارة الفرنسية لأنه كان يرى الوظيف قيد في اليد وغل في العنق (4).

وقد رغب عبد الحميد بن باديس في السفر مع شيخه إلى الحجاز لكن والده منعه من ذلك.

ونستخلص مما سبق أن البيئة الدراسية بقسنطينة جعلت ابن باديس رغم تجربته الفتية يفكر في خدمة الجزائر بالإسلام.

---

(1) د. عمار الطالبي، ج 1، م س، ص 77 راجع المقدمة.

(2) جلسة مع الشيخ محمد الصالح رمضان حول موضوع شيوخ مدينة قسنطينة، القبة (الجزائر)، 08. 05. 1984.

(3) عبد الحميد بن باديس، آثار، ج 2، ص 138.

(4) المصدر السابق، ج 3، ص 205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عام 1908 عندما كان عمر ابن باديس تسعة عشر عاما ، رغب في استكمال تعليمه بعد هجرة شيخه حمدان لونيسي ، فسافر إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة ، ومكث بها مدة أربع سنوات (1) ، جعلته يحتك بأهل العلم ويتعلم منهم الفكر الأخلاقي والسياسي الإسلامي ، ويطلع على المصادر التي تناولت الإتجاهات والنظم السياسية قديما وحديثا (2) .

والواقع أن طابع الجمود كان منتشرا في المغرب العربي وفي كل أنحاء الأمة الإسلامية ، غير أن الوسط الزيتوني جعل ابن باديس في حيرة من أساليب المفسرين وتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية ، فضاق صدره بالإختلاف الذي لا اختلاف فيه ، لكن شيخه محمد النخلي القيرواني أخرجه من هذه الحيرة عندما نصحه بقوله: ((اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح.)) (3) .

وهناك عالم تونسي آخر أثر في ابن باديس ذلك هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور خصوصا في الجانب اللغوي والأدبي والذوق الفني ، فقد بين له أن التحليل والتعليل يتطلبان اختيار اللفظة المناسبة مع حسن تركيبها وجعلها تتكيف مع القصد ،

---

(1) بين علي علواش في أطروحته، م س ، ص 57 ، مايلي : "المدة التي مكث فيها ابن باديس كطالب بجامع الزيتونة أربع سنوات بما فيها سنة واحدة في التدريس كباقي الطلبة المتخرجين"، لكن د . رابح تركي في كتابه "الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفة وجهود ه في التربية" ، ص 163 ، قال بأنه مكث خمس سنوات ، وابن باديس حدد بنفسه مدة أربع سنوات ، راجع آثاره ، ج 3 ، ص 125 السطر الخامس ".

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 180 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، المصدر السابق ، ج 2، ص 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا التكوين جعله متضلعا في اللغة العربية والعلوم الشرعية ((وان أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور وكانت أول ما قرأت عليه فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب وثبت في روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور ، وأحيت مني الشعور بعز العروبة والإعتزاز بها كما أعتز بالإسلام)) (1) .

وان كانت أفكار الشيخين محمد النخلي القيراوني ومحمد الطاهر ابن عاشور قد استطاعت أن تجعل ابن باديس يفهم القرآن الكريم بالعلم والإتساع في التفكير ((فإن ذلك لا يعني أن الفكرة الإصلاحية قد أصبحت ناضجة أو مكتملة.)) (2) ، فقد كان ابن باديس يعكف على الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها عالم آخر هو الشيخ البشير صفر الذي اشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية ، ومما يدل على تأثير هذا الشيخ في فكر ابن باديس قول هذا الأخير : ((وأنا شخصيا أصرح بأن كراريس (البشير صفر) الصغيرة الحجم ، الغزيرة العلم ، هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي ، وقومي ، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم أن اكون جنديا من جنود الجزائر)) (3) .

كان تأثير الشيخ البشير صفر إذن في معرفة ابن باديس وفهمه لتاريخ أمته وقومه عاملا هاما أكسبه القدرة على تحليل الآثار الثقافية والحضارية بما فيها التراث الجزائري بصفة خاصة والعربي الإسلامي بصفة عامة ، وغرس فيه الاهتمام بكل صور العلوم التي لم يجدها في جامع الزيتونة (4) .

---

(1) آثاره ، ج 1 ، م س ، ص 78 ، 79 .

(2) علي علواش ، م س ، ص 55 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، في تونس العزيزة ، الشهاب ، ج 5 ، م س 13 ، قسنطينة ، جويلية 1937 ، ص 227 ، وآثاره ، ج 4 ، م س ، ص 327 .

(4) آثاره ، ج 4 ، ص 328 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطيلة السنوات التي قضاها ابن باديس بتونس (1908 ـ 1912) ، تتلمذ على يد الشيخ الخضر بن الحسين الجزائري الأصل وحضر له دروسا في المنطق من كتاب ((التهذيب)) للسعد ، وفي التفسير من أوائل كتاب البيضاوي (1) .

كان تأثير الشيخ الخضر بن الحسين في إدراك ابن باديس مسؤولية تعظيم أمر الله جل جلاله ولزوم توقيره وما أظهره على يد رسوله من آيات ومعجزات وأخلاق فاضلة، لأن كلا من المنطق والتفسير منحه التأمل في آيات القرآن وفي أفكار وآراء رجال الإصلاح (2) .

وباختصار فان الرحلة التي قام بها ابن باديس من أجل الدراسة أثرت في تكوين فكره الأخلاقي بالاعتماد على تبني الماضي وتحليل أسباب الضعف والانحطاط في الحاضر برؤية أخلاقية إسلامية ونظرة وطنية جزائرية وتطور عصري في المجال النظري والتطبيق العملي .

3) العامل الديني :

لعب العامل الديني أكبر الأثر في صنع القيم الأخلاقية في شخصية ابن باديس ومكنه من التأثر بمقاصد القرآن الكريم ، وبمضمونه الذي يشمل الحياة ، الدنيا والآخرة ، وعلاقة النفس بالجسد ، والفرد بالمجتمع ، والكشف عن الحقائق الكونية المجهولة (3) .

---

(1) راجع مقدمة د . عمار الطالبي ، ج 1 ، ص 78 .

(2) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 149 .

(3) آثاره ، ج 1 ، ص 163 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهر التأثير في عبادته البعيدة عن الرياء ، وفي تأمله للآيات بنظرة متكاملة ومتوازنة بين العبادات والشعائر والمناسك والمعاملات اليومية والفكر المتطور الذي يتناول مشاكل العصر ، لأن القرآن الكريم ((كتاب الإسلام الذي هو الصراط المستقيم ، فيه حجته ودلائله ، فيه أحكامه وحكمه ، فيه آدابه وشمائله ، فيه بيان حقيقته.)) (1) .

إن تأثر ابن باديس بالقيم الأخلاقية في القرآن الكريم وفي الكتب المقتبسة من نور القرآن ومن آياته البينات هو الذي جعله يتبع السنة النبوية لتنمية شخصية كمسلم ، ولترويض فكره ونفسه بالبعد عن أخطار الاسترسال والتجهية وسوء الفهم والإنحراف ، لأن سيرة الرسول _ ص _ هي ((الجامعة لمحاسن الإسلام والغاية لكل كمال.)) (2) .

كان تأثير السنة النبوية على ابن باديس في تبلور فكره الأخلاقي الذي جعله يرى أن الرسول _ ص _ هو حاكم كل أمور المسلمين الدينية والدنيوية ، يقرأ ويتأمل ما قصه القرآن من أقوال وأحوال وسيرة الرسول بصفة خاصة وكل الرسل بصفة عامة لكونهم جميعا يمثلون اكتمال النوع الإنساني ، وهم المثل الأعلى في كماله (3) .

وأصبحت السنة النبوية في نظره تكمن في التمسك بسيرة محمد _ ص _ العظمى ، وسلوكه القويم ((فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقويم والاحجية.)) (4) .

---

(1) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص 63 ، 64 .

(2) نم ، ص 309 .

(3) راجع تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ط 2 ، جمع وترتيب د . توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان ، دار الفكر ، بيروت ، 1979 ، ص 259 إلى ص 263 .

(4) آثاره ، ج 3 ، ص 24 ، 25 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما درس ابن باديس سلوك وآثار السلف ((الصحابة وأتباع التابعين) فتأثر بتمسك المستضعفين بالإسلام ، وصمودهم للإضطهاد ثم تفقههم في الدين واتصافهم بالنزوع الأخلاقي في السعي للمعرفة والشجاعة (1) .

وتأثر ابن باديس بالقدوة الصالحة ممثلة في مالك بن أنس والإمام الشافعي وابن تيمية فتعلم منهم طريقة استفادتهم من روح القرآن ، وعلمهم بمعانية ومضامينه ، وتفسيرهم له بما يناسب عصرهم ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

إن تأثير آثار رجال السلف جعل ابن باديس يقرأ التحقيقات التاريخية والمباحث التفسيرية والعقائدية والمواقف الإصلاحية والسياسية الموجهة لإصلاح الفرد من الآثار المتصلة بالتاريخ الإسلامي ، ويدرس مختلف الإسهامات الفكرية والعلمية التي تبرز حركة المجتمع الجزائري الإسلامية .

وأبرز كتاب قرأه ابن باديس هو ((العواصم من القواصم)) (2) ، لأبي بكر بن العربي تطبيقا لنصيحة شيخه محمد النخلي القيرواني فقد اطلع على ما فيه من أفكار مضللة في الدين ، فأعطاها اسم قواصم ، وأعقبها بالآراء الصحيحة ، والعقائد الحقة المبنية بالبراهين العقلية والمضادة للآراء المبطلة والمزيفة لتلك العقائد ، فسماها عواصم ، واهتم ابن باديس أيضا بما وقع في الصدر الأول من الفتن ، وأحداث الخلافة والامامة ، وبيان فضل الصحابة ، فكان التأثير في كتابه ((العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 79 وما يليهما .

(2) أبوبكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب ، مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي (دون ذكر المكان) ، 1971 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأحاديث النبوية)) (1) ، لأنه لم يسلك فيه طريقة الفيلسوف ولا منهجية المتكلمين ، بل اعتمد على منهج القرآن في الإستدلال ، وركز أسلوبه على الرد والنقد الذي ((يتلائم مع الغطرة الإنسانية فتستجيب له وتطمئن إليه وتميل نحوه وتركن.)) (2) .

إذن فقد اكتسب ابن باديس طريقة القرآن والأحاديث في الإستدلال و في نقل النصوص والعمل العقلي البرهاني في المدلول ، فقال عن مؤلف الكتاب :
((وحسب كتابه هذا أن يكون موردا معينا لطلاب العقائد الإسلامية الحقة بأدلتها القاطعة ، وأصول الإسلام الخالية مما أحدثه المحدثون من خراب وتجديل ، وأن يكون نموذجا راقيا في التحقيق في البحث في التعميق في النظر والاستقلال في الفكر والرجوع إلى الدليل ......)) (3) .

وتأثر ابن باديس بابن خلدون حيث اعتبر مقدمته المصدر الأساس في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع بمنظور إسلامي ، يظهر تأثره في تحليله لأطوار الأمم في تفسير آيات الاجتماع ، وفي تطور الدولة وهلاكها ، في سعة النفوذ وقوة السلطان ، وفي انتشار الفساد والانحلال والضعف والتقهقر (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان ، الشركة الجزائرية مزارقة بودواو وشركاؤهما ، الجزائر ، 1966 .

(2) د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، ص 92 .

(3) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 130 .

(4) تفسير ابن باديس ، م س ، ص 189 الى ص 198 . والشهاب ، ج 3 ، م 09 ، قسنطينة ، ديسمبر 1933 ، ص 547 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بين العلماء المسلمين الذين قرألهم أيضا أبي حامد الغزالي حيث كان يسمي كتابه ((إحياء علوم الدين)) بكتاب الفقه السني (3) ، والموطأ للإمام مالك بن أنس ، وشملت مطالعته آثار سلف المغرب العربي كالإمام القشيري (من أهل القرن الخامس الهجري) الذي تصدى لبدع الصوفية ، وأبي بكر الطرطوشي (عاش نهاية القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري) وهو الذي أنكر البدع الفاشية الضالة ، وأبي حيان الأندلسي (نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري) الذي أعطى صورة شاملة عن الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف وهم في قرارة الجحيم ، والإمام القلصادي (القرن التاسع الهجري) الذي ركز على تحليل أعمال وأفكار السوء ، والشيخ عبد الرحمن الأخضري الجزائري (القرن العاشر الهجري) الذي بين انحراف علماء عصره ، والشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني (القرن الحادي عشر الهجري) الذي جابه أمواج البدع ، وسحائب الجهل ، والشيخ مصطفى العروسي (القرن الثالث عشر الهجري) الذي حذر من قطاع طريق الله على عباده ، وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده (2) .

باختصار استفاد ابن باديس من هؤلاء جميعا أن التفقه في الدين يكون بالتفقه في القرآن والأحاديث ، والتجديد يتطلب معرفة الأسباب التي دفعت المسلمين لهجر القرآن والسنة والعلم المركز على الإستدلال والتعليل (3) .

---

(1) آثاره ، ج 2 ، ص 296 .

(2) راجع بالتفصيل آثار هؤلاء العلماء حسب وصف ابن باديس لافكارهم في آثاره ج 3 ، ص 42 الى ص 47 ، وكانت كتبهم في خزانته حيث استفاد منها شخصيا .

(3) آثاره ، ج 3 ، ص 219 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا يمكن اعتبار العامل الديني المؤثر الإيجابي الذي جعل ابن باديس يهتم بالتراث الإسلامي المكتوب وعلماء الجزائر، وبالأخلاق الإسلامية الصحيحة التي تعود نفس الفرد على الخير، وتجعله متمسكا بالتوازن والإستقامة في العبادات والمعاملات، فأحاط بالحياة الروحية في حاضر المسلم الجزائري كما أحاط السلف بالمسلم في عهد الدعوة، وفي مرحلة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، يقول ابن باديس عن الاسلام : ((... هو دين الله الذي أرسل به جميع أنبيائه . وكمل هدايته وعمم الإصلاح البشري به على لسان خاتم رسله، هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم، فهو دين لتنوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال، فيكمل الإنسانية وينظم الاجماع ويشيد العمران ويقيم ميزان العدل وينشر الاحسان.)) (1) .

4) البيئة الاجتماعية :

هناك مؤثرات اجتماعية أسهمت في تكوين الفكر الأخلاقي عند ابن باديس من النواحي السياسة والإقتصادية والثقافية، وقد ساعدنا ابن باديس نفسه في توضيح هذه المؤثرات بكتاباته ومواقفه وأعماله، فبين لنا بيئته الإجتماعية التي كان لهما الفضل فيما قام به من أعمال أخلاقية في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر.

المؤثر الأول : هو المؤثر السياسي لأن النظام السياسي الفرنسي في الجزائر المستعمرة كان كيانا غريبا عن المجتمع الجزائري، استمد علة وجوده وسلطته من الإدارة الفرنسية (2) .

---

(1) آثاره، ج 3، ص 342.

(2) Kaddache (MAHFoud), la vie politique a Alger, 1919 - 1939, SNED, Alger, 1970.

وراجع د. أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 – 1930، ج 2، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 86 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أثرت السياسة الفرنسية الإستعمارية بأساليبها وأفكارها وأهدافها في توعية ابن باديس بأخطار إبعاد الجزائري عن المساهمة الصحيحة في السياسة والإقتصاد والثقافة وتحسين ظروف المجتمع ، وعلى الخصوص في الإدارة والبلديات ومراقبة آليات تسييرها ، يقول ابن باديس عن سوء السياسة الفرنسية وأشكال تمثيل المنتخبين ما يلي : ((كثيرا ما نرى مظالم من مستعمرين فنقول : وقائع فردية ، وكثيرا مانراها في الدوائر المختلطة فنقول : غطراسة إدارية وكثيرا ما نراها في مجالس قضاء فنقول : أحكام استثنائية .

أما اليوم فإننا أمام مظالم منظمة يديرها رجال مدنيون منتخبون انتخابا عاما مختارون اختيارا خاصا من بين المنتخبين ، أولئك هم رؤساء البلديات "الأميار" في مؤتمرهم المنعقد أخيرا بالجزائر . فلنا الحق أن نعد عداءهم عداء عاما موجها نحونا .)) (1) .

إن القوانين الفرنسية التي اعتبرت الجزائري فرنسيا بالتجنيس والادماج ، ولم تضمن له مجموع الحريات العمومية وممارسة الحقوق المعقولة ، جعلت ابن باديس يعرف بدقة نوعية الاستبداد والعنصرية (2) ، ويبتعد عن وظيفة أعوان الدولة حتى لا يكون في مقدمة من يتصدى للدفاع عن القانون الفرنسي ((ونحن بين الجميع لا نخدم إلا الحق والوطن والدين.)) (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 29 ، قسنطينة ، 03 جوان 1926 ، ص

(2) الشهاب ، ج 2 ، م 13 ، أفريل 1937 ، ص 65 وما يليها .

(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 28 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن هذا التأثير جعل ابن باديس يكتسب فكرة أخلاقية جديدة وهي أن الدولة الجزائرية بعد أن احتلتها فرنسا مباشرة فقدت وظيفتها الأخلاقية التاريخية المنظمة المحكمة واختفت سيادتها الوطنية ((هذا الوطن الجزائري تعمره اليوم أمتان : الأمة الجزائرية الأصيلة والأمة الفرنسية الطارئة وطوائف من جوالي أوروبا.)) (1) .

المؤشر الثاني : هو المؤشر الإقتصادي لأن دواليب اقتصاد فرنسا قامت أساسا على نظام من الأفكار الإقتصادية الإستعمارية التي تحرك الفلاحة، والثروات الطبيعية ، ووسائل الانتاج ، بقوانين فقدت صفات توجيه الاقتصاد في اتجاه التحسن والتقدم .

رفض ابن باديس الاقتصاد الفرنسي لأنه لم يكن مبنيا على أساس عادل وعلمي في الانتاج والأرباح والأثمان (2) ، بل كان المستفيد الوحيد منه المعمر الذي استولى على أجود الأراضي الفلاحية وعلى المناطق التي تتوفر فيها المواد الخام (3) ، وتراكمت أوجه آليات التراكم الرأسمالي ، كالملكية الإقطاعية ، والضرائب ، والأجور ، والتمويل والأسواق ، ونوع وسائل الإنتاج الزراعي والإنتاج الصناعي .

وبعد أن انطوى عن هذا الاقتصاد تغييرات جذرية التي تتمثل في انتشار الفقر والبؤس وظهور العدد الكبير من الفقراء والعاطلين والمتسولين ، هاجم ابن باديس موقف الادارة الفرنسية (4) بعد توزيعها كميات من الدقيق على المحتاجين الجزائريين

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 143 ، قسنطينة ، 10 أفريل 1928 ، ص02 .

(2) Ageron (charles Robert), Histoire de l'algerie contemporaine, T2, PUF, paris, 1979

(3) د . صلاح العقاد ، المغرب العربي ، الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1968 ، ص، 160 .

(4) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص180 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين حرموا من عناصر الحياة التي تتشخص في الزراعة والصناعة قائلا : ((لا ياقوم ، اننا أحياء ، واننا نريد الحياة وللحياة خلقنا . وان الحياة لاتكون بالخبز وحده ، فهنالك ماعلمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضروريات في الحياة . ونحن نفهم جيدا ضرورياتها للحياة.)) (1) .

لقد تأثر ابن باديس بهذا الوضع الاقتصادي الخاص الذي عاشه الجزائري، لأنه أبعد عن المورد الاقتصادي ، وأصبح مهضوما في حقوقه السياسية ، منبوذا ، ومكروها لا يعطف عليه المعمر بعد أن حرم من القوة المادية التي تبعد عنه أنواع الجور والاعتساف .

وعرف ابن باديس بعد كشفه للفرق الشاسع بين الفئات الجزائرية المحرومة وحياة المعمرين أن مهمة الجزائري الزراعية الساذجة الغير المستمدة إلى النظريات العلمية والوسائل الصناعية الآلية، جعلته لا يخترق النوادي السياسية ، والذي يمكنه من ذلك هو النزوع إلى الحضارة الصناعية بالعلم والتحكم في الموارد الحيوية (2) .

وبناءعلى ماتقدم نستنتج أن ابن باديس تأثر بالوسائل الرئيسية للإنتاج التي أصبحت بين أيدي المعمرين ومستثمرة لفائدتهم بمشاركة الإدارة الفرنسية في التسيير والتحويل والتوجيه في نطاق التخطيط الإستيطاني باحتكار الانتاج وتفقير وتشريد الجزائري واستغلال الدخل القومي بابعاده عن التقدم الاجتماعي والثقافي الجزائري .

---

(1) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 145 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 177 ، قسنطينة ، 20 ديسمبر 1929 ، ص 14 الى ص 15 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤثر الثالث : هو المؤثر القضائي ، ان فرنسا ألغت المحاكم الشرعية الإسلامية التي كانت تراعي المساواة بين الناس واستبدلتها بإجراءات قضائية تعسفية وبمحاكم زجرية ثم أتبعتها بمراسيم وقوانين استثنائية (1) .

ولقد أثر الأسلوب القضائي الإستعماري في ابن باديس بتحيز هذا الأسلوب القضائي للأوروبيين وتنكره لحقوق الأهالي بعد أن جعل القانون في المحاكم يفضل المعمر عن الأهلي ، والقاضي عند فصله في الخصومات لا ينظر إلى الخصمين ثم يتجاهل آداب وأحكام الاسلام ، لأنه ((يعين لتطبيق العدل الفرنسي بمرسوم حكومي أما المتعاون المسلم فهو عامل ينفذ تعليمات الادارة الفرنسية)) (2) .

ويظهر لنا التأثر عند ابن باديس بوضوح عندما ركز على الأخلاق الفاضلة الثابتة والمعاملات المستمرة الصادقة والشعور الحي في الأفراد والجماعات ، وأراد أن يعيش الجزائري حياة اجتماعية تتوحد بها الجهود بين الفرد والقضاء من طريق الاسلام بإحياء سننه والعمل بأوامره وفهم تعاليمه القويمة التي قومت العدل في توجيه الفرد والمجتمع لعظائم الأمور والى غاية واحدة (3) .

إذن فرنسا بعد أن عززت الجهاز القضائي بالعنصر البشري الفرنسي وبالقوانين الصليبية من أجل الحفاظ على مكاسبها وإبعاد الفلاح من أراضيه الخصبة ، والتاجر

---

(1) Ageron (charles Robert), les algeriens musulmans et la france, 1871 - 1919, second t. PUF, paris, 1968, p678.

ويقول أجيرون في كتابه تاريخ الجزائر سلسلة (? que sais-je) ص 61 ، 65 : " بعد إخماد ثورة 1871 استبدلت السلطة بقرار 1874 المحاكم العرفية التمهيدية بمحاكم فرنسية وفي 1875 ألغت المجلس الأعلى للشريعة الاسلامية وجردت الجزائريين من اختصاصات القضايا العقارية بمرسوم سبتمبر 1886 ".

(2) Ageron (charles Robert), p679.

(3) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج1 ، م12 ، قسنطينة ، أفريل 1936 ، ص 7 الى ص 09 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أملاكه ، والعامل من حقوقه المعقولة ، ظهرت الملامح الأساسية التي ساهمت في إثراء فكر ابن باديس الأخلاقي بأفكار أخلاقية شخصت له دور الأطر القضائية الفرنسية في صياغة تشريعات خاصة بالظلم الاجتماعي في قانون الأهالي والضرائب ، وفي الوظائف والخدمة العسكرية ، وفي قضايا الأحوال الشخصية ، وفي تمتع أحكامها التي تصدرها باسم فرنسا الديمقراطية بالتطبيق الفوري والتام على كل الأهالي (1) .

المؤشر الرابع : هو ديني لأن فرنسا حاربت الإسلام ، وطبقت سياسة تنصيرية لتحقيق دوافع وأهداف الحركة الصليبية (2) ، حولت المساجد والزوايا والكتاتيب ومراكز التثقيف والعلم والأوقاف الخيرية إلى ثكنات واصطبلات وكنائس ومحلات تجارية (3) ، لإبعاد الشعب الجزائري عن القيم الأخلاقية الأساسية بتجريده من القرآن الكريم في حياته ومعاملاته اليومية .

تأثر ابن باديس بتصرفات فرنسا تجاه الدين الإسلامي الحنيف ، وعرف أنها تريد طمس معالمه وانتزاع عقائده ومكارمه من الشعب الجزائري ، ففكر في طرق التعريف بالتوحيد في الإسلام ونشر الإصلاح لواء التجديد بالإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكما يرضى الله (4) .

---

(1) راجع جريدة الصراط ، العدد 03 ، الجزائر ، 25 سبتمبر 1933 ، ص01 .

(2) الاهداف تتمثل في تخليص الشعب الجزائري من قرآنه والاعتناء بالأطفال لتربيتهم على قيم الإنجيل .

(3) أحمد الخطيب ، الثورة الجزائرية دراسة وتاريخ ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1959 ، ص115 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد 83 ، الجزائر ، 30 سبتمبر 1937 ، ص01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم ابن باديس بتحليل أعمال حركة التبشير (1) ، ورجال الطرق الصوفية (2) ، والمستشرقين (3) الذين استغلوا قوة الإدارة الفرنسية للإخلال بالتوازن الروحي والنفسي والثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري ، ولتوظيف الشعور الديني الذي يخدم فرنسا ويحقق أهداف الغزو الصليبي بعد إبعاد الإسلام نهائيا عن كل مجالات الحياة (4) .

إذن التأثير الإيجابي للمؤثر الديني في أفكار وأعمال ابن باديس في الجانب الأخلاقي يتمثل في وعيه بما أصاب المجتمع الجزائري من انحطاط وبدع وخرافات وشرك ، وتبين له أن التركيز على معالجة الأمراض والآفات لا يكون مجديا إلا بعد العناية الكاملة بالبيئة الاجتماعية ، وجعل الفرد يعتني بإيجابيات تراثه الثقافي والروحي ثم يستوعبه على ضوء الأخلاق الحميدة والتحولات المتسارعة في الحياة .

---

(1) بدأت حركة التبشير في تنفيذ مخططها الصليبي بالجزائر يوم 08 سبتمبر 1830 .

وراجع المراجع التي درست نشاطها :

أ ـ علال الفاسي ، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي ، ط 1 ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، 1948 ، ص 161 ، 162 .

ب ـ د . مصطفى خالدي ، د . عمر فروخ ، "التبشير الإستعماري في البلاد العربية" ، ط5 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، 1973 ، ص 146 .

ج- AGERon (charles Robert), histoire de l'algérie contemporaine, T2, PUF, paris, 1979

(2) - أ ـ مالك بن نبي ، م س ، ص 12 ، 13 .

ب ـ محمد فتحي عثمان ، دعوة الى الإصلاح الاسلامي ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد 04 ، المملكة العربية السعودية ، 1980 ، ص 361 ، 362 .

(3) د . أبوالقاسم سعد الله ، م س ، ص 64 . وراجع علال الفاسي ، م س ، ص 71 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 12 ، م 12 ، قسنطينة ، مارس 1936 ، ص 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤثر الخامس: مؤثر تربوي حيث أن فرنسا جعلت التعليم مقتصرا على أبناء الأثرياء (1)، ومهدت بتعدد المؤسسات التربوية مما جعل التعليم في برامجه واتجاهاته وأهدافه فرنسيا. (2)

إن مسألة حرمان الجزائري من تعليم دينه ولغة دينه وتاريخ وطنه والعلوم المختلفة من طرف فرنسا، أثرت على ابن باديس وجعلته يعرف في حالة بقاء الواقع على حالة سوف يتولد عنه انعكاسات ثقافية وحضارية سلبية في ميدان تربية وتعليم وتكوين وتوجيه النشء الجزائري وفقا لمقومات الشخصية الجزائرية والحياة الفكرية والعلمية الخصبة (3)، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع: ((كان ما ربي عليه الاسلام هذا الشعب الجزائري الكريم أن يطلب العلم للعلم، وأن يسعى إليه في كل أرض وأن يتعلمه بكل لسان، وأن يتناوله - شاكرا - من كل أحد.)) (4).

إذن هذا المؤثر جعل ابن باديس يدرك أهمية وضرورة المدرسة الجزائرية التي تعد أجيال المستقبل وتكون الرجال الذين يخدمون أمتهم، ودورها اللازم للمشاركة بنسبة كبيرة في تعميم التعليم بالقيم الأخلاقية الإسلامية.

(1) P (chevalion), B (GRoopenin), j (MAillet), "l'enseignement français de la Révolution à nos jours", ed mouton, la HAYE, 1968, p76, 90.

(2) أ- علي علواش، م س، ص39 (وضعية التعليم بعد الاحتلال).

ب- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931 - 1945، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص2

(3) عبد الحميد بن باديس، جريدة الصراط، العدد 03، الجزائر، 25 سبتمبر 1933، ص01.

(4) آثاره، ج 3، م س، ص255، 256.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموشر السادس : مؤشر ثقافي فقد شنت فرنسا هجوماتها على الثقافة العربية الإسلامية وماكانت تتميز به من لغة عربية وآدابها وفنونها وتراثها العلمي ، فاستولت على الأوقاف الإسلامية ومعاهد الثقافة والعلم المزدهرة منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وحولتها إلى مدارس ومعاهد للثقافة الغرنسية (1) .

تأثر ابن باديس بعمل فرنسا في تحطيم دور معاهد التعليم العربي الحر الخاص بتدريس الخصائص الروحية والقومية الجزائرية ، وعرف سلبيات الإرشاد الديني والتكوين الفقهي بعد أن رفضت فتح المدارس القرآنية إلا بشروط تجعل الفئة العلمية في خدمة خطتها الإستعمارية وتحترم أهدافها (2) واستنبط فكرة إبعاد العنصر البشري المثقف عن واجبه الذي يحافظ به على مقومات دينه الإسلامي الحنيف عندما فرضت على العلماء تحفيظ القرآن الكريم دون التعرض لتفسير الآيات والأحاديث النبوية ، وأبعدتهم عن تدريس التاريخ الجزائري والتاريخ العربي الاسلامي (3) .

إذن اتضح لابن باديس الدور الأخلاقي الفرنسي الذي حدد غايته في إبعاد الجزائري عن ثقافته العربية الإسلامية وعلاقتها بين المحيط الإجتماعي والتطور الثقافي وابداعه الفني بجميع أشكاله (4) .

---

(1) د . محمود قاسم ، الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، م س ، ص 07 ، 08 .

(2) أ ـ د . أبوالقاسم سعد الله ، م س ، ص 418 .

-ب- Kaddache (Mahfoud), T 1, p40.

(3) راجع الدراسات التي تناولت مواقف فرنسا الخاصة بتجميد دور المؤسسات الثقافية والعلماء :

أ ـ د . أبوالقاسم سعد الله ، 42 ، 43 .

-ب- Ageron (Charles Robert), (Coll que sais-je?), p 127.

(4) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 352 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة القول ظهرت تأثيرات البيئة الإجتماعية على الفكر الأخلاقي عند ابن باديس في أفكاره وأعماله الخاصة بدور الإسلام الذي جعل الجزائري يؤمن بالجمع والتكامل بين العقائد السليمة والأخلاق الحميدة والعلم الصحيح ، وفي نشاطه التربوي الذي استمده من الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمجتمعه ، لمواجهة التأخر في المتطلبات والتطور العلمي ، وفي بحثه عن الطرائق التي يظهر بها حقيقة الثقافة العربية الاسلامية ، ومافيها من جمال وكمال ، لرد الاعتبار للخبرات الثقافي الذي يبين أن الجزائر عربية مسلمة ، موجودة ومتكونة ككل الأمم لها وحدتها الدينية واللغوية وثقافتها الخاصة بها (1) .

5) المدرسة الاصلاحية :

أدرك ابن باديس قبل رحلته إلى المشرق العربي بواعث ظهور المدرسة الاصلاحية الجزائرية (2) ، المتأثرة بالثقافة العربية الاسلامية بعد رجوع العلماء من المشرق العربي والمغرب العربي (3) ، لمحاربة الفساد والجهل ، ولنشر التعليم باللغة العربية ، بإنشاء الصحف (4) ، وتأسيس النوادي والمدارس (5) .

---

(1) حللنا أفكار ابن باديس الأخلاقية في فصول الاخلاق النظرية والأخلاق العملية .
(2) راجع الحياة العقلية والنهضة الحديثة بالجزائر ، د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، 15 الى 75
(3) راجع كتاب عادل نويهض أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحديث ، ط2 ، مؤسسة عادل نويهض الثقافية ، بيروت 1980 . تناول فيه العلماء الذين هاجروا واستقروا والذين رجعوا .
(4) راجع دور الصحافة العربية :
- د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، ص55 (المقدمة)
- د . أبوالقاسم سعد الله ، م س ، ص140 ، 141 .
- د . رابح تركي ، م س ، ص112 .
(5) راجع نشاط النوادي والمدارس والجمعيات ، د . أبوالقاسم سعد الله ، م س ، ص 144 ، 145 ، 146 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الحياة العقلية الجديدة التي ظهرت في الجزائر ساعدت ابن باديس على فهم الأسس التي يتم بها تطوير الشخصية الوطنية وجعل الفرد في محيط ثقافي حضاري لا يكون فيه مبتورا عن الأصل ولا متروكا على هامش التقدم العلمي (1) .

وفي هذا الإطار يكتسي القول بأن ظهور مراكز الاشعاع الثقافي (2) ، والعديد من المراكز التعليمية ، الدافع الأساسي الذي دفع ابن باديس ليسافر إلى المشرق العربي ، لمعرفة أسس الدعوة عند العلماء ، ومفاهيم الإستعمار السياسية والصليبية في الأمة الإسلامية (3) .

وعرف ابن باديس أثناء إقامته بالحجاز غاية نشاط علماء الدين الذي يستهدف العودة بالإسلام إلى ينابيعه الحقيقية (4) ، لكن قول ابن باديس يبرز لنا عدم تأثره بالحركة الوهابية : ((... لا والله ماكنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب ، ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم)) (5) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد 10 ، الجزائر ، 13 مارس 1936 ، ص 06 .

(2) أ ـ د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، ص 28 ، 31 (المقدمة) .

ب ـ د . أبو القاسم سعد الله ، م س 143 الى ص 157 .

(3) العوامل التي دفعت ابن باديس إلى القيام برحلة مشرقية اختلف فيها الاساتذة ، فالدكتور عمار الطالبي قال بأن الأعداء أقلقوه ومنعوه من التدريس وأطفأوا عليه الضوء في الدرس لذلك قرر السفر إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج (راجع ج 1 م س ، ص 80) . والدكتور أبو القاسم سعد الله أكد بأن مغادرته أرض الجزائر كانت تهربا من الخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت قضية تشغل الرأي العام في تلك المرحلة عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى (م س ، ص 414) .

(4) د . توفيق الطويل ، الحرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ، دار النهضة العربية ، (دون ذكر المكان) 1968 ، ص 118 .

(5) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 28 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا حللنا قول ابن باديس نلاحظ أنه كان يعتني كثيرا بالجانب الديني الذي يركــز على عوامــل التوازن الإجتماعي والنفســي للفرد بالإجتهــاد والاعتمــاد على أصــــول الديــن واستنباط الأحكــام من المبادئ الإسلامية ، لذلك لم يتأثر بالحركة الوهابيـــة رغم وجوده في تلك المرحلــة بالحجــازبل ركز على الدور الإيجــابي للدين الإسلامـــي في الصمود أمام الاستعمار الفرنسي والأنجليزي المنتشر في شبه الجزيــرة العربيـــة والأمـــة الإسلاميـــة (1) .

والتقى ابن باديس بأستاذه حمدان لونيسي الذي غادر الجزائر سنة 1908 فـــرارا من بطش فرنسـا ، فعرض عليـه الإقامـــة الدائمة معه ، لكن أحد العلماء وهو الشيــــخ أحمد حسين الهندي نصحه بالرجوع الى أرض الجزائر لخدمتها بالبعد عن ضيـــــق النظر دون القصــور في العمل والتقصير في النفع ، فتكونت في ذهنه فكرة أخلاقية تتمثـــل في أن الدعوة الإسلامية لاتقتصر على التعريف بالعبادات بل هي دعوة متطورة ومتجددة بتيار الاجتهاد في الاسلام الذى يرفض الاستعمار وآثاره وجموده ، ويأمر بالثورة على الظلـــم والاستعبـــاد (2) .

وتعرف ابن باديس بشاب جزائري له نفس القاسم المشترك معه في الإصلاح وهو (محمــد البشير الابراهيمي)) الذي هاجر مع والده الى المدينة المنورة بعد موقف فرنسا تجـــاه الأســرة الجزائرية المثقفــة والمحافظـــة .

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 230 وما يليها .

(2) الشهاب ، ج 08 ، م 13 ، قسنطينة ، أكتوبر 1937 ، ص354 ، 355 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر الشيخ محمد البشير الابراهيمي أن الصلة بينهما كانت مبنية على العلم واحترام اتباع العلم ، لجعل الجزائري يعتني بالثقافة الدينية الإسلامية بوصفها عبادات وشعائر ومناسك وفكر متطور ، فأيام الحجاز ((هي التي وضعت فيها الأسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز إلى الوجود إلا سنة 1931.)) (1)، وأصبحت كما يقول ابن باديس ((ثابتة الأركان مشيدة البنيان.)) (2) .

وفي طريق عودته إلى الجزائر زار سوريا ، واستفاد من اتصاله بالشيخ الطاهر الجزائري الذي أرجع إليه الفضل في تكوين فكره منذ صغره إلى أن أصبح كبيرا ، كان يدعوه (شيخي)) (3) لأنه أثر عليه في تربية عقله ونضجة الفكري ، يقول ابن باديس عن تأثير هذا الشيخ : ((هو الذي ربى عقلي ، وهو الذي حبب إلي هذا الإتجاه الفكري منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام إلا وقد كانت له صلة بهذا المربي الأعظم واستفاد من عقله وسعة فضله إما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه.)) (4) .

---

(1) محمد البشير الابراهيمي ، أنا ، مجلة الثقافة ، العدد 87، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ماي 1985 ، ص19 (المقال أخذته المجلة من مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21 ، القاهرة 1964.) .

(2) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد 10 ، الجزائر ، 13 سبتمبر 1936 ، ص06 .

(3) راجع الدراسة التي كتبها ابن باديس عن شيخه الطاهر الجزائري:

أ- آثاره، ج 4 ، م س ، ص152 الى ص193 .

ب- الشهاب: ج 5 ، م5 ، ماي 1929 ، ص 27 الى ص33 .

" " " : ج 6 ، م5 ، جويلية 1929 ، ص22 الى ص29 .

" " " : ج 7 ، م5 ، أوت 1929 ، ص21 الى ص 24 24 .

" " " : ج 8 ، م5 ، سبتمبر 1929 ، ص20 الى ص 24 .

" " " : ج 9 ، م5 ، أكتوبر 1929 ، ص02 .

" " " : ج 10 ، م5 ، نوفمبر 1929 ، ص33 .

(4) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص148 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثناء مروره بمصر بعد رجوعه من الحجاز وسوريا ولبنان ، زار الشيخ محمد بخيت المطيعي العالم الأزهري ومفتي مصر، تأثر به في فكرته الإصلاحية داخل الأزهر، ورفعه للخلاف في أمهات المسائل المتعلقة بعلم الكلام وأصول الفقه لكونه تلميذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده (1) .

إذن فرحلته إلى المشرق العربي جعلته يتأثر بعلماء الوطن العربي والأمة الإسلامية بوعي وفق ما تقتضيه مصلحة الجزائري في العهد الإستعماري ، لمواجهة التخلف الثقافي وما ألصق بالدين الإسلامي من بدع وفساد وآفات .

وتأثر ابن باديس بمحمد عبده عن طريق الأوساط الإصلاحية والنخبة الزيتونية ذات الإتجاه العبدوي ، يقول ابن باديس عن الدعوة الإصلاحية في العالم الاسلامي : ((جاءت الدعوة الإصلاحية ومصر والعالم الاسلامي على تلك الحال فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والإيمان . ومضى ثلث قرن أو يزيد والدعوة الإصلاحية تنتشر وتتقدم وتنقص البدع والضلالات من أطرافها ولكنه لم تقم في أمة إسلامية هيئة منظمة تعلن الدعوة إعلانا عاما وتصمد للمقاومة غير مبالية بما يؤيد البدع والضلالات من سلطان ديني وسلطان دنيوي.)) (2) .

حلل ابن باديس عمل محمد عبده الإصلاحي الذي اعتمد على القرآن الكريم كأساس في المعاملات ، والتصرفات ، والأحكام في تقييم الأمور (3) ، فأصبحت لديه

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 212 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 67 .

(3) قال علي علواش : ((... يكون ابن باديس وهو في سن الرابعة عشرة من عمره رأى محمد عبده واستمع إليه أثناء زيارته للجزائر 1903 في الجامع الكبير بقسنطينة.)) ، م س ، ص 64 ، 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكرة شاملة عن المناخ السائد في الأزهر الخاص بالدعوة إلى الإسلام والعلم ، البعيدة عن تحكيم السياسة في الدين بمجهودات العلماء الجماعية (1) .

كل هذا جعل ابن باديس ينظر للاسلام كعقيدة وحضارة ذات حيوية سياسية لمكونات الشخصية الوطنية ، وطور برامج التعليم بدروس اللغة العربية والتفسير والحديث والأصول ومبادئ الجغرافية والحساب وتعلم جميع العلوم (2) .

لم يعبر ابن باديس في كل كتاباته عن تأثره بأعمال جمال الدين الافغاني في مواجهة حالات الانحطاط ، لكن تأثره بمحمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني يجعلنا نستنتج أنه قد عرف اهتمام هذا المصلح المركز على محور دور الاسلام في قيادة كفاح الشعوب الاسلامية ، بتغيير المؤسسات الاجتماعية (3) والعناية الشرعية موجهة كلها إلى إصلاحها ، ولم يهتم بالأخلاق التي تنبع من الداخل للاصلاح ، بمهمة التثقيف الديني ، وبالاستفادة المعمقة من مصادر الاسلام وعناصر حضارته .

وتأثر ابن باديس بالشيخ محمد رشيد رضا بعد أن اطلع على مجلته ((المنار)) الخاصة بمحاربة البدع ، وأخذ طريق السلف الصالح ، والعناية الكبرى بالتعليم ، فاتضحت في ذهنه منزلته في الفقه وفكرته السياسية الخاصة بانشاء جامعة اسلامية كبرى تكون مركزا للامم الاسلامية .

---

(1) راجع الشهاب التي تثبت اطلاع ابن باديس على تفسير محمد عبده :
ـ ج 3 ، م 7 ، قسنطينة مارس 1931 ، ص 219 .
ـ ج 12 ، م 9 ، قسنطينة ، نوفمبر 1933 ، ص 472 .

(2) علي علواش ، م س ، ص 197 ، 198 ، 200 .

(3) راجع أفكار جمال الدين الافغاني في مجلة ((العروة الوثقى والثورة التحريرية)) ، ط 1 ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، 1957 ، عدد ما صدر من هذه المجلة (18) ، أول عدد كان يوم 18 مارس 1884 ، وآخر عدد صدر منها كان في 16 اكتوبر 1884 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والملاحظ أن اتصال ابن باديس بمحمد رشيد رضا لم يكن عن طريق الكتب والصحافة فقط بل كان مباشرا لذلك نجده في دراسته لموضوع العبادة المتجردة عن الرجاء والخوف ليست العبادة التي جاءت بها رسالة الإسلام ، قد أبرز هذا الإتصال بقوله : ((لما اطلع أخونا في الله شيخ الإسلام الأستاذ محمد رشيد رضا على مادار في المسألة بيننا وبين خصومنا كاتبنا بموافقته على ماقلنا وذكر لنا ماكان كتبه هو في المسألة في الجزء الثاني من تفسير المنار الشهير)) (1) .

إذن تأثر ابن باديس بمحمد رشيد رضا (2) جعله يدرك بعمق أبعاد الإستعمار في محاربة الإسلام عقيدة ونظاما وحضارة ، لأنه يعطي الدواء اللازم حسب تغير الظروف في شؤون التشريع والفقه واستنباط الحقائق العلمية ، يقول ابن باديس محمد عبده ومحمد رشيد رضا : ((أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام محمد رشيد رضا صاحب المنار . رحمهما الله وجازاهما عن الإسلام والمسلمين خيرا ماجزى به المجددين لهذا الدين .)) (3) .

ولم يهمل ابن باديس الأفكار والآراء الإسلامية التي تنصف العرب دون أن تقصر في نظرتها التاريخية والأخلاقية لهم ، فتأثر بشكيب أرسلان الذي حلل أسباب

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 52 .

(2) راجع ترجمة محمد رشيد رضا ، آثاره ، ج 4 ، ص 194 الى ص 204 . وفي الشهاب :

ـ ج 6 ، م 11 ، سبتمبر 1935 ، ص 396 ، 397 .

ـ ج 7 ، م 11 ، أكتوبر 1935 ، ص 409 الى 413 .

ـ ج 8 ، 11 ، نوفمبر 1935 ص 446 الى 453 .

ـ ج 9 ، 11 ، ديسمبر 1935 ، ص 508 الى ص 510 .

(3) آثاره ، ج 3 ، ص 66 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتقاء المسلمين في عبادة الله وحده ، وفي الوحدة والمدنية والشجاعة والرحمة ، وأبرز عوامل ضعفهم في العصر الحديث في فقدان الأسس التي استقام بها السلف واهمالهم الفضائل التي حث عليها القرآن الكريم (1) ، يقول ابن باديس عن شكيب أرسلان : ((والأمير شكيب الذي تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها وتنسب إليه — ظلما وزورا — كل حركة تقع في الأمم المصابة باستعمارها ، يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة، لأنه — وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق — رجل عملي ليس بخيالي ، وسياسي مجرب خبير يعرف ما يقول ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذي يثير الضجيج لينسب صاحبه إلى الغيرة والحماس ، وان كان يثير الغبار ويكدر الجو في نواحي أخرى.)) (2) .

وخلاصة القول أن العوامل التي أثرت في تكوين فكر ابن باديس الأخلاقي جعلته يختار مسلك العلم والمعرفة ويحفظ ويفسر القرآن الكريم ، ويكتشف النزعة الأخلاقية الفرنسية الخاصة بإبعاد الجزائري عن ثقافته الوطنية ، وتبلورت في فكرة آراء أخلاقية تتمثل في بواعث تخلف مجتمعه عن التمسك بالقيم الأخلاقية الإسلامية ، وفي المنهج اللازم لنشر الإسلام ومحاربة الفساد والبدع ، ولتوفير وتعميم الوسائل التربوية التي تسخر العلم والشخصية الوطنية لخدمة الجزائر .

إذن ما معنى الأخلاق عند ابن باديس؟ هذا ما سنحلله في الفصل القادم .

---

(1) شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1966 ، ص181 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص399 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني :

معنى الأخلاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتخذ الأخلاق عند ابن باديس مدلول بناء حياة جديدة بأعمال صالحة تحقق السعادة ، فتقوى إرادة مجتمعه وشجعها على عمل الخير معتمدا على طبيعة الإنسان الخيرية وفطرته السليمة بالأخلاق الدينية ، الفردية ، الاجتماعية ، وأخلاق السياسة .

1 _ الأخلاق الدينية :

أكد عبد الحميد بن باديس بأن الله جل جلاله جهز الانسان بمجموعة من الصفات لتتكامل قدرته على إدارة الكون وتعميره ، فبث فيه العقل والحواس والفطرة ، ليكون خليفته في الأرض يعمرها ويستثمرها (1) ، بالعمل والفكر والإرادة (2) .

ونشير هنا إلى أن ابن باديس اعتمد في تفسيره لحقيقة الوجود على النظر في ظواهر وبواطن الأمور ، في كل ما هو حسي وما وراءه من معان عقلية ، لذلك نجده يركز دائما على ضرورة جعل الحواس خادمة للعقول التي تصبح هي المتصرفة الحاكمة بالنظر والتفكير في الموجودات حتى لا ينسب الانسان لله جل جلاله الأمور والصفات التي لا تليق بدلالته في ربوبيته وألوهيته علما وعملا (3) .

ورأى ابن باديس أن المسلم لم يدع النبي (ص) ولم يسأله أن يشفيه لقضاء الحوائج وكشف البلايا ، لأن العبادة لا تكون الا لله (4) ، وهذا بخلاف ما فعله

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 132 .

(2) نم ، ص 313 .

(3) نم ، ص 91 .

(4) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 38 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفعله الجاهل من طلبهم من المخلوقين الأحياء والأموات ((أن يعطوهم مطالبهم ويكشفوا عنهم بلاياهم.)) (1) .

ورجح التوسل بذات النبي (ص) نظرا لمقامه العظيم عند الله تعالى ، لكن قياس غيره من كل ذي مقام عند الله لا يكون إلا لصاحب المقام المفضل ، والأفضل أن يكون سؤال الله بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في أنواع طاعته ، ولا يشرع في الذهاب إلى القبر وطلب الدعاء من الميت ((لوكان هذا جائزا لفعله الصحابة . . . ولذهبوا لقبر النبي -ص- يسألونه أن يدعو لهم كما يدعو لهم في حياتهم.)) (1) .

وبين ابن باديس أن الفرد إذا اعتقد مع الله شريكا ، فإن عبادته تكون باطلة ، ويكون مذموما من خالقه ، بعيدا عن الطاعة والانقياد ، لأن الله تعالى أمر أن تكون العبادة مقصورة عليه لأنه هو الرب وحده ، ((. . من أسرار كلمة الله أكبر التي يأتي بها المؤمن مرات كثيرة في صلواته وغيرها من أحواله ، حفظ القلب من الخنوع للخلق باستشعاره عظمة الخالق التي يصغر عنها كل مخلوق.)) (3) .

إذن تفكير ابن باديس في موضوع الإيمان الكامل بالله يتمثل في المواظبة على الطاعات بأنواعها ، والخشوع فيها لإثبات أصول الخير ، وافناء أصول الشر حتى لا تصير عرفا وتقليدا وواجبا للإتباع ((. . . من دعا مع الله غيره وأشرك به سواه ، فقد أبطل حق الله وأعدم عبادته.)) (4) .

وأثبت ابن باديس أن العبادة دعاء ، والدعاء مخ العبادة وخلاصتها ، لأن العابد يظهر خشوعه وذله وفقره وعجزه أمام المعبود في غناه وقدرته المطلقة على كل شيء ، ثم برهن أن الدعاء عبادة والداعي عابد ، والمدعو معبود ، والمعبود إله بقوله : ((جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة : فعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الدعاء هو العبادة)) ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجيب لكم . . . .

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 42 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، نم ، ص 46 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 92 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، نم ، ص 360 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ص ـ ((الدعاء مخ العبادة)) ..
فتطابق الأثر والنظر على أن الدعاء عبادة فمن دعا غير الله فقد عبده وان كان هو لا يسمي دعاءه لغير الله عبادة.)) (1) .

فالذي نستنتجه أن أخلاق التوحيد عند ابن باديس تتمثل في البعد عن الشرك والاطلاع على عظمة الخالق ، والتمسك بالعبادات التي كلف بها الفرد من قبل الله جل جلاله ، لتقريبه من الله ، وللسيطرة على عوامل الانحراف بقوة الإيمان والإرادة بعد أن يعتقد فيه الخلق القدرة المطلقة ((التوحيد هو ملاك الأعمال وقوامها ، ومنه بدايتها واليه نهايتها . وكذلك المسلم الموفق يبتدي حياته بكلمة التوحيد حتى يموت عليها .)) (2) .

واعتمد ابن باديس على العقل الذي لا يتعارض مع الشرع ، لإدراك البدائع والأسرار (3) بالإبتعاد عن الخلط بين الإدراك الصحيح والإعجاب بالعقل وبين اليقين والظنون والأوهام ، ليكون العمل في ((خلق الله هو النظر والبحث والتحليل والإكتشاف ، واستجلاء الحقائق الكونية واستخراج الفوائد العلمية والعملية.)) (4) .

فالعقل عند ابن باديس له مجاله في تأمل سور القرآن وعالم الأكوان بمنهج القرآن (5) ، للسير في طريق شرع الله بفهم وتدبر كتابه ، وبالإبتعاد عن تفكير

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. ، م س ، ص 361 ، 362 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 170 .

(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 469 .

(4) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 473 .

(5) ن م ، ص 66 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرتابيـــن والمتكلفيـــن .

واعتمـد ابن باديس على البرهان العقلي بعقائـد ودلائل وأحكام وفوائد القـرآن العظيم ، وبرهن أن الطبيعة عاجزة عن الخلق ، وارادة الله مطلقة (1) ، وانتقد الطرائـق الكلامية المعقدة واشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة ، واقتصارها على الفروع الفقهية الجافة دون التعمق في مسألة إثبات حدود العالم ووجود الله ووحدانيته بتفسير آيـات القرآن والاستفادة من معانيها وأبعادها وحقائقها ((فهجرنا ذلك كله ووضعنا أوضاعـا من عند أنفسنا ، واصطلاحات من اختراعنا ، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلـى الغلـو والتنطـع.)) (2) .

تعمق ابن باديس في تفسير النبوة (3) ، والوحي (4) ، بدافع إثبات أن القدرة الانسانية لا تشابه ولا تماثل القدرة الالهية التي تنفرد بالخلق والتدبر والتصرف والملك ، وبين أن الله جل جلاله وضع أسبابا تؤدي بمشيئته إلى اكتشاف أسرار الكون والعمران ، فيزداد الانسان عرفانا وعلما ما دامت لديه مقدرة بعقلـه تساعده على استخدام الأسباب الكونية وأسباب الحياة والعمران ((الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائـل لمسبباتها ، موصلة ـ بإذن الله تعالى ـ من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلته إليـه ، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون ، ولو كان ذلك المتمسـك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين.)) (5) .

ومهما يكن من أمر ، فإن ابن باديس تناول هذه الفكرة من جوانبها الدينية والعلميـة ، لأنه أبرز الربط بين الأسباب والمسببات الذي كان خلقا وقدرا بمشيئته ليهتـدي

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 474 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 282 .

(3) ن م ، ص 481 .

(4) ن م ، ص 489 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 67 . 68 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانسان بالأسباب والمسببات ، ويدرك أن بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب (1) ، لأن النظام الكوني هو من صنع الله وأسباب الحياة والعمران والتقدم ومعرفة القوانين الطبيعية في متناول الخلق بفضل الخالق ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع ما يلي :
((بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب.)) (2) .

إذن أكد ابن باديس أن الاعتراف بوجود السببية هو اعتراف بوجود الله وعظم مخلوقاته ، وقدرته ليست كقدرة الانسان .

وقرر ابن باديس أن السبب في التقدم والتأخر يقوم أساسا على الأحكام الشرعية ((وهي التي فيها بيان ما شرعه الله لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم إذا ساروا عليه . . . والأحكام الشرعية تقع من العباد مخالفتها يتخلف مقتضاها من الفعل أو الترك.)) (3) ، لكن بإمكان الانسان الذي وهبه الله العقل وحرية الإرادة أن يستدل بالبحث عن العلاقات بين السببية والقوانين على وجود خالق الكون ، وأن هذا العالم ما كان إلا من خالق قادر عالم ، فيفهم بعد ذلك طبيعة الحياة والعمران والاجتماع بعلم الأدلة الخاصة بالتحول في أطوار الحياة .

ويرى ابن باديس أن الخالق وهب الانسان العقل والحياة ، ووضع له الشرع ليتوسل إلى المسببات المشروعة بأسبابها ، لأن الشرع لا يتنافى مع العمل الذي يؤمن بالقدر الذي هو مغيب عنا (4) ، والله تعالى خالق الكون ورابط الأسباب

---

(1) ، (2) تفسير ابن باديس ، م س ، ص 195 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، س 193 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة وشركاؤهما ، الجزائر ، 1966 ، ص 92 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمسبباتها له أحكامه القدرية ((التي فيها بيان تصرفه في خلقه على وفق ماسبق في علمه ... لا تختلف أصلا ، ولا يخرج المخلوقات عن مقتضاها تطعا.)) (1) .

إذن نستنتج أننا مطالبون بالعمل حسب ماجاء في الشرع مع الايمان بالقدر ، فلا منافاة بينهما ، كل حكم من أحكامه الشرعية إلا وله حكمته يستفيد منها الانسان ، وما من حكم من أحكامه القدرية إلا وله علته بمحض اراداته المطلقة ومقتضى عدله الحكيم .

ومن هنا يمكننا أن نفهم أن ابن باديس قد حرص على تحديد فكرة السببية وقضية القضاء والقدر لرفع الخلاف بسوء فهم الدين في تشخيص سبب التقدم والتأخر ، فاتخذ السببية دليلا قاطعا على وجود الله بالاعتماد على الأدلة العقلية والشرعية وطرح القضاء والقدر للإلحاح على ضرورة الفرار إلى الله جل جلاله ، ليزيل الضعف الذي أبعد المسلمين عن الإحاطة بأسرار الكون ، وللتكامل بين إرادة وعقل الانسان وقضاء وحكم الله .

وباختصار فإن الوجود كله من خلق الله بما في ذلك الانسان ، فالله جل جلاله أعطاه العقل والفطرة والحواس ليستدل على وجوده ووحدانيته ، وليصل إلى إدراك أسرار وبدائع الكون ((التي تعرفه بقدره وبعظمة هذا الكون ، وفخامة أمره ..... دون خلط للأوهام بالحقائق ، ولافتنة بالمخلوق على الخالق.)) (2) .

وبين ابن باديس أن أعمال الفرد قد تشترك في مضامينها مع أعمال الآخرين لكنها لاتكون متساوية في الاعتبار والحقيقة ((وما يتبعهما من القبول والرد في نظر

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. م س ، ص 193 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 470 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرع)) (1) ، لأن الأعمال الأخلاقية عند الله هي التي قصد بها الانسان طاعته ، لا تتساوى منازلها في القبول والاعتبار ، بل تتفاوت في الدرجات حسب تفاوت المقاصد والنيات ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع :((العمل الديني لا يكون مقبولا حتى تقصد به طاعة الله وأن من قصد به غير ذلك فعمله مردود عليه ، وأن أجر العامل يقل ويكثر على حسب نيته بعمله ، وأنه يمكنه أن يقصد مقاصد كثيرة من الخير بعمل واحد ، فيتضاعف ثوابه عليه بحسب نيته وان لم يقع ذلك فعلا بعمله ، كقصد إرشاد الضال في المسجد ولم يجده ، أو تعليم الجاهل ولم يلقه ، وقصد الجهاد من الهجرة ومات قبله ، وأمثال ذلك كثير .)) (2) .

إذن النيات والمقاصد عند ابن باديس لهما الأثر الكبير في الأعمال ، لأن أجر العامل يقل ويكثر حسب نيته والمقاصد الكثيرة التي يقصد بها الخير بعمل واحد ، فيتضاعف ثوابه ، وكما أثرت النيات في الأعمال التعبدية بالقبول والرد وتفاوت الأجر لم يهمل تأثير النيات في الأعمال المباحة ((... المباحات في نفسها لا يثاب ولا يعاقب عليها ولكنها بالنية والقصد منها يدخلها ذلك وتلحق بما أريد منها إلحاق الوسائل بمقاصدها .

فالمشي مثلا — مباح وقد يكون ينوي به الذهاب الى التعلم فيصير عمل طاعة فيثاب عليه ولو لم يجد المعلم فلم يتعلم ، وقد ينوي به الذهاب إلى السرقة فيصير عمل معصية فيأثم به وان حيل بينه وبين ما قصد فلم يسرق ، وكذا سائر المباحات)) (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ط 2 ، جمع وترتيب وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، قسنطينة ، 1983 ، ص 62 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 63 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 64

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم ابن باديس بالاجتهاد في تطهير الأعمال من المخالفات وقصرها على الطاعات والمباحات ، وطاعة الله تكون خالصة لله بإبعاد كل خطر يلفت الفرد عن غيره ((حتى يسلم لنا القصد كله خالصا والعمل كاملا ، أو يسلم لنا القصد الأول الذي هو شرط القبول .)) (1) .

وفرق ابن باديس بين الأعمال التي يكون الفرد بها مأمورا وجوبا أو استحبابا ، وبين المخالفات لأنه منهى عنها تحريما أو كراهة ، وبين المباحات لأنه غير مأمور بها ولا منهى عنها ((وقد غفل عن هذه الحقيقة أقوام — عفا الله عنهم — فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم . إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى.) قاصدين إلى تبريرها غير ملتفتين إلى كونها من قسم الطاعات أو المخالفات أو المباحات وكثيرا ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات وكالحج الى الأضرحة وايقاد الشموع عليها والنذور لها . . . ويتوكأون في ذلك كله على (إنما الأعمال بالنيات) ، كلا ، ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب فإن البدع كلها من قسم المخالفات وأن المخالفات لا تنقلب طاعات بالنيات ،) (2) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس استهدف تنمية جانب التفاعل بين الأفراد بالسلوك الحميد والقول الحسن حسب ما جاء به الاسلام في ميدان الطاعات والمباحات ، ليعرف الفرد بأن المخالفات لا تنقلب إلى طاعات بالنيات ، وليكون ذا إحسان غير متعود على الأعمال التي تؤذيه هو ويصل إيذاؤها إلى غيره .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 64 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 65 ، 66 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدرج ابن باديس موضوع بر الوالدين في ميدان الأخلاق الدينية ، لأن اللـــه هو الخالــق ، والوالدان هما السبب المباشر في التخليق (1) ، فكانت علاقتهما بالأولاد قويـــة .

بين ابن باديس أن بر الوالدين أمر به الاسلام في الصلة والمعاملات ، وتحل مخالفتهمـــا عندما يأمران ابنهمـــا بترك الصلاة وتعاليـم الإسلام ، وشرب الخمـر وأكـل لحم الخنزير(2) ، والأمر بالإحسان إليهمـــا يكون في جميع الأحوال ((ولما نهاه عن القول القبيح المؤذي . أمره بالقـول الليـن السهل الحسن في لفظـه ومعنـاه ، وفي قصـده وفي منشئه السالـــم من كل عيب ومكـــروه .)) (3) .

وشخص ابن باديس أخلاق بر الوالدين في اللطف والعطف وتوفير القوت والدفء والراحة لهما ، لكن مهما اجتهد الإبن في الإحسان إلى أبويه فإنه لا يساوي ذلك شيئـا من تعبهما وافضالهمـا عليه ((أما في حياتهما فيدعو لهما بالرحمـة سواء كانـا مسلمين أم كافريـــن ، ورحمـة الكافريـن بهدايتهمـا إلى الإسلام . وأما بعد الموت فـلا يسـأل الرحمة لهمـــا إلا إذا ماتا مسلمين.)) (4) ، لكن إكرام الأم له ميزة خاصـة لمـا ذاقته من آلام وهي تحمل الإبن وهنا على وهن وتقوم بتربيته ، يقـول ابن باديس: ((جاء التصريح بهذا الحديـــث الصحيح)) ((فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله وآله وسلم فقال : من أحق النـــاس بحسن مصاحبتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبـوك)) فذكر الأب في الثالث وفي طريق آخر للحديث ، ذكره في الرابعة .)) (5) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . . ، م س ، ص 94 . كلمة التخلق استعملها ابن باديس ويقصد بها سبب وجود الأولاد : الأب والأم .

(2) ن م ، ص 98 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . . ، م س ، ص 100 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 102 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن الأخلاق الدينية عند ابن باديس تتمثل في الخشية من الله وازالة مالا يمس الدين الاسلامي من سوء الفهم وانحراف تطبيقه في الحياة ، والاهتمام بمحاربة الذي يطرأ على طبيعة الانسان ، وتحديد المعرفة التي يقوم عليها الانسان في عباداته ومعاملاته ، والتطلع إلى التفوق في العلم ، والبحث عن أسباب الضعف للأخذ بأسباب القوة ((ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات ، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه ، وبدأ في نفسه ، ثم فيمن يليه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه ، ثم جميع أهل ملته.)) (1) .

2) الأخلاق الفردية :

أعطى ابن باديس أهمية خاصة للأخلاق الفردية ، ولم يكتف بعرض أهداف تحصيل الوحدة في ذات الانسان وجعل سلوكه مطابقا لها ، لأنه حلل مقتضى المحبة في طبيعة الوجود والبقاء .

وأوضح ابن باديس أن وجود الإنسان في الكون يكون معرضا للخطر ، لأنه فطر على محبته والانقياد وراء شهواته وغرائزه ، لكن الخير هو كذلك من طبعه ومقتضى فطرته ، فأرسل إليه الرسل ليعرفوه صفات الطريق المستقيم وتكون دليله في السير ببصيرة ، فكان الإسلام يتضمن العقيدة والإيمان والتشريع والتهذيب والأخلاق للعمل الصالح ((هو العمل الطيب المشروع من طاعة الله على العباد ، سواء كان من عمل الباطن وهو عمل القلب أو من عمل الظاهر ، وهو عمل الجوارح.)) (2) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 196 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 368 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذا الرأي يتبين لنا أن ابن باديس أبرز مكانة الإسلام الأولى في الأخلاق الفردية، لأن الفرد وحده بعقله وسلوكه لا يستطيع البلوغ إلى مافيه السعادة، فهو محتاج في قيادة الإدراك والسلوك لفضائل القرآن الكريم ((كتاب الاسلام الذي هو الصراط المستقيم فيه حجته ودلائله، فيه أحكامه وحكمه، فيه آدابه وشمائله . فيه بيان حقيقته وما هو منه، ونفي ماليس منه عنه، فيه بيان تاريخه وتاريخ الانسانية معه ...)) (1) .

وأدرك ابن باديس ماآلت إليه أوضاع الإنسان بعد أن أصبح يحكم بالأنظار الذاتية ولا يوجه قصده في جميع أعماله لله سامعا مطيعا، فسلك مسلكا خاصا انفرد به، وفق بين النظرة الأخلاقية والنظرة العقلية، ووقف موقفا إسلاميا يتمثل في ضرورة الاهتداء بهداية القرآن والاقتداء بهدي الرسول (ص) والسير بسيرة السلف الصالح، لأن ((المؤمن الكامل من سلمت فطرته، وصح إدراكه، واتبع القرآن في عقده، وخلقه، وعلمه، واستوت خلوته وجلوته، وسره وعلنه، وعبد الله راجيا رحمته، خائفا عذابه، يخيفه الإنذار، وترجيه البشرى بالمغفرة والأجر الكريم.)) (2) .

وركز ابن باديس في الأخلاق الفردية على توجيه حياة الانسان، فنهاه عن الشرك ومساوىء الأخلاق والمعاصي، وأمره بالإرتفاع عن جميع الرذائل والدنايا والسفالة والسوء، لأن وجود الشريعة بدون إيمان وأخلاق كوجود البدن بدون روح وعقل ونفس، لا يستطيع العمل في سبيل القيم، ومن جانب آخر عمل على تنزيه عقله من الضلالات والخرافات والشكوك والأوهام بصحيح الاعتقادات والمعارف .

---

(1) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس، م س، ص 484 .

(2) عبد الحميد بن باديس، ن م، ص 508 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين ابن باديس أن الإنسان يكسب (1) ، بعقله وقدرته واستعداداته ما يسعده وما به يساعد العلم على التطور ، لكن الله هو الذي يمده القدرة فيما عجز عن كسبه لد لالاته المطلقة وتوفيقه الأزلي ((على العبد أن يقبل ما فيه كماله وسعادته ، ومرضاة خالقه ، مما هداه الله إليه برسوله وكتابه ، وجعل قبوله سببا في توفيقه وإخراجه من الظلمات إلى النور ، وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئا من التوفيق ، وحظا من النور إلا بإذن الله ، أي إرادته وتيسيره ، فلا يعتمد على نفسه ولا على أعماله ، وانما يكون اعتماده على الله ، فيحمله ذلك الإجتهاد في العمل ، وعدم العجب به ، ودوام التوجه إلى الله ، وصدق الرجاء فيه ، والخوف من عقابة ، ودوام المراقبة له .)) (2) .

واذا علمنا أن ابن باديس نظر إلى الإنسان نظرة متكاملة تجمع بين النفس والبدن ، لطهارة النفس ، نجده قد بين تكوين المخلوق المسمى بالإنسان الذي فضله الله جل جلاله على جميع المخلوقات وجعله خليفته في الأرض من البدن والنفس والروح والعقل .

ركز ابن باديس على ارتباط البدن بالنفس في حالة الصحة وحالة المرض ، وباعتداله في المزاج ويقصد به التكامل في أجهزة بنيته يقوم بوظائفه الأساسية ، وباختلاله تتعطل الأعضاء وتعجز عن القيام بوظائفها ، واذا لم يظهر عليه الفساد يقوم بوظائفه بصفة منتظمة ((هذا الذي تجده في البدن هو نفسه تجده في النفس فلها صحة ولها مرض ، حالة صلاح وحالة فساد .)) (3) .

---

(1) تفسير ابن باديس . . م س ، ص 496 ، 497 ، 498 .

(2) ن م ، ص 554 .

(3) آثاره ، ج 1 ، م س ، ص 231 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعطى ابن باديس اهتماما كبيرا للبدن من حيث الصحة والنظافة ونظام الغذاء ، اعتبره آلة بديعة للروح لازمة له في الدنيا وملازمة له في الأخرى ، ورأى أنه كما أعطى الانسان للروح حقها من الاعتناء كذلك عليه تغذية بدنه بما ينميه ويقويه ويصلحه ويحفظه من كل اختلال وفساد (1) ، لأن البدن يتوقف على الغذاء ليحصل على قوته ويتجنب شوائب الضرر . فاعتبر التربية الإسلامية ضرورية (2) لحفظ الصحة البدنية رغم الجوع والاضطهاد .

ونستخلص من ذلك كله أن النفس هي المكلف والمخاطب للإنسان ، والبدن ما هو إلا آلة تبرز تصرفاتها بالأعمال التي تجر فضائلا أو قد تجلب رذائلا (3) .

نلاحظ أن هذا الربط هو عبارة عن توجيه أساسي ليمتلك الإنسان زمام نفسه من المعاصي والأمراض الناتجة عن سوء تصرف الأعضاء ، لأن الميول الوجدانية تتأثر بالعوامل الخارجية وتنموا وتقوى تحت تأثير البيئة بأداة الإتصال ((البدن)) .

وحسب رأي ابن باديس البدن إذا قام بوظائفه بصفة منتظمة ، فالأعضاء لا تتعطل عن القيام بوظائفها والعكس صحيح ، والإعتناء به لا بد منه لكي لا يكون عاجزا على تأدية وظائف النفس (5) ، ولنفعها بالمثل الحسن الراقي في النظافة (6) ، وللاشتغال بكل الأضرار التي تمسه حتى لا تنهك قواه النفسية (7) .

---

(1) آثاره ، ج 2 ، ص 177 ، 178 . وراجع في ج 3 ، ص 177 ، الوصايا التي وجهها ابن باديس للمسلم الجزائري ، ودعاه للمحافظة على صحته ونظافة بدنه .

(2) تناول ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم مداواة الأبدان بالطب والقرآن لأن الله تعالى أنزل الداء والدواء ، ص 228 الى ص 232 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 144 . وتفسيره للقرآن الكريم ، ص 594 ، 595 .

(4) بين ابن العربي أن الله كون الإنسان من عنصرين : عنصر كثيف مظلم هو الجسد ، وعنصر بسيط مشرق مدرك هو النفس مبدأ الحياة في الأجساد . راجع عبده الشمالي ، تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية ، ط 6 ، دار صادر ، بيروت ، 1965 ، ص 588 .

(5) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص 179 .

(6) راجع مقال ابن باديس ، جريدة الصراط ، العدد 10 ، قسنطينة ، 22 ديسمبر 1933 ، ص 01 .

(7) آثاره ، ج 2 ، ص 178 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا الأساس اعتبر ابن باديس ((النفس)) هي المسؤولة عند الله ، وبين أن القلب هو العضو الرئيسي في البدن لكونه مبعث الدورة الدموية ، وبوظيفته السلمية تتضح سلامة البدن ، لكن لا تهمه صورته ومادته بل النفس الإنسانية المرتبطة به .

فالبدن بالقلب يساعد النفس كثيرا على أداء وظائفها ، يحدد لها مظاهر وحقول البيئة التي تتفاعل معها ، والمنبهات التي تتعرض لها ، لكن الاستجابات التي تستجيب لها في الواقع تكون مستقيمة إذا صلح القلب ((وصلاح القلب ـ بمعنى صلاح النفس ـ بالعقائد الحقة ، والأخلاق الفاضلة ، وإنما يكونان بصحة العلم ، وصحة الارادة فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله ، يجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة . واذا فسدت النفس من ناحية العقد ، أو ناحية العلم ، أو ناحية الإرادة . . . فسد البدن ، وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد .)) (1) .

استدل ابن باديس على وجود النفس وارتباطها بالبدن ، واستدل على اتصافها بالصلاح والفساد من خلال مشاهدة الأعمال ، فعندما تناول موضوع تحديد النسل على سبيل المثال نجده قد حث الفرد على ضرورة تجنب الفساد الذي كان منتشرا في العصر الجاهلي الخاص بقتل الأولاد ، وشكر الله على ما أعطاه من ابن أو بنت ، لأن كلا منهما يستطيع المساهمة في العمران حسب صلاح النفس من خلال التربية والتكوين وظروف البيئة والظواهر المنتشرة والقيم السائدة (2) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 107

(2) ن م ، ص 138 ، 139 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن إذا كان صلاح النفس عند ابن باديس معناه صلاح القلب بالأخلاق الفاضلة ، والعقائد الحقة ، وبالعلم الصحيح والإرادة القوية ، فإننا نجده قد بين أن الذي شرعه الله تعالى لعباده من حق وخير وعدل وإحسان وصدق الغرض منه صلاح القلب ، والأشياء التي منعنا عنها كالباطل والشر والسوء والخرافات سببها أنها تعود على النفس بالفساد لأن الأعمال دلائل النفس والبشر يتفاوتون في شكل ومضمون ودرجات الصلاح والفساد حسب الأعمال ((.. الأعمال قسمان : أعمال الجوارح وأعمال القلوب ، وهذا أصل لأعمال الجوارح ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات.)) (1) .

ونتائج موت القلب تجعل الانسان يصر على الفساد والغفلة والانغماس في الشهوات لكن التوبة تطهر النفوس من الذنوب وتبعدها نهائيا عن الرذائل ((ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)) (البقرة 222) .

وهكذا نجد ابن باديس قد ربط النفس بالبدن كعنصرين متكاملين يعطيان حقيقة واحدة في الوجود هي ((الإنسان)) (2) ، غير أن الذي يجب استخلاصه من مسألة الروح والنفس هو أن الأولى من العالم النوراني العلوي وباتصالها بالبدن هي قابلة للتجلي بأكمل الصفات ، فالنفس ليست هي الروح لكن الاستقامة تكون بأطهر الأخلاق والعقائد والأعمال ، يقول ابن باديس في مكان آخر عن هذا الموضوع : ((إن الأرواح النورانية السامية الطاهرة لا لذة لها في هذا العالم المادي الفاني

---

(1) آثاره ، ج 1 ، م س ، ص 235 .

(2) اكد ابن العربي أن مرأب النفس يتمثل في العلم ، والسعادة الأبدية هي هدفها ، والشرائع منهجها ، لتستعد للمثول بين يدي الخالق مستأنسة ، وقد عبر الكاتب عبده الشمالي ، م س ، ص 589 عن هذا الرأي بالعبارة التالية : ((هذا الرأي فلسفي صوفي الطريقة.)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنحط ، وانما لذتها الحقيقية في عالمها العالي الأقدس ، وفي معاشرة أمثالها من النفوس الطيبة الزكية.)) (1) .

واذا كان ابن باديس قد فسر الروح بهذا الرأي ، فالروح عنده تختلف كلية عن النفس، وما ألاحظه هنا أنه لم يخالف ماجاء في القرآن الكريم بخصوص هذه الفكرة ، والدليل على ذلك أنه تجنب الآراء الفلسفية التي تناولت هذا الموضوع وتمسك بقوله تعالى ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.)) (الإسراء 17/ 85) .

إذن بين ابن باديس أن النفس تتصف بالصلاح والفساد أما الروح فلم يصفها بأوصاف النفس مما يدل على أن النفس في فكره الأخلاقي ليست هي الروح .

ومن هنا يمكننا أن نفهم فكرة ابن باديس في علاقة النفس بالبدن وهي عدم الاتفاق مع أي رأي ينظر إلى الإنسان نظرة ثنائية تفصل بين بدنه ونفسه .

وعلى أية حال فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يقل قط أن البدن والنفس غير متجانسين ولم يجهل التأثير المتبادل بينهما ، لكن إذا قارناه بابن العربي نجد هذا الأخير قد بين أن النفس وهبت للجسد حياته ، واتخذته لها آلة ومقرا لتتمكن من اكتساب المعرفة الصحيحة فتجلت في الدماغ وجعلته في أقسامه مستودعا لأسرارها ومنفذا لأوامرها واذا أتمت مهمتها وفروضها وفني الجسد دعاها الله إليه (2) .

---

(1) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص32 .

(2) عبده الشمالي ، م س ، ص589 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وركز ابن باديس على الإنسان الذي يهذب غرائزه في كل عمل يقوم به ، ويكون متخلقا بقيم أخلاقية تساعده على الإحتفاظ بصفات النفس الصالحة (1) ، وفي أولويات هذه القيم التمسك بسنن الشرع وآثار الرسول (ص) ، وهي أن يضع الإنسان حدا للغرائز التي تكيف حياة الأفراد والمجتمعات مع الانحرافات والفساد ، ويتحكم في الجوارح والقلب وتكون له القدرة على التحكم في الغرائز عند حد معين يبعده عن الزلل بالارادة .

ورأى ابن باديس أن أسوأ ما يسيء للانسان عن طريق الغرائز ((الزنا)) بالجوارح والقلب حيث استدل بدليل مادي أنها تكون بالجسد بعد أن تبتعد النفس عن الإطار الشرعي واستشهد بما جاء في الصحيح ((كتب على بني آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لامحالة . العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليدان زناهما البطش ، والرجل زناها الخطأ ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ،)) (2) .

وبعد أن استشهد ابن باديس بهذا الحديث الشريف بين بأن هذه الجوارح دنو من الزنا الحقيقي ومؤدله (3) ، وحلل الآثار السلبية في هلاك البدن ، وخراب البيوت ، وضياع الأموال ، وفساد الأعراض والمجتمع وانقراضه (4) ، يقول ابن باديس عن هذه الرذيلة : ((فعلى المؤمن إذا وسوس له الشيطان بهذه الرذيلة أن يتعوذ بالله منه ، ويستحضر قبحها والمفاسد التي تجر إليها ، والاثم الكبير الذي يعقبها ، وقبل ذلك كله حرمة النهي الشرعي عنها ، فيكون ذلك — بإذن الله — وقاية منها.)) (5).

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 134 ، 135 .

(2) ن م ، ص 136 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 136 .

(4) ن م ، ص 138 .

(5) ن م ، ص 137 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن باديس فيما رسمه من علاقة الغرائز بالنفس، حدد المعرفة الصحيحة التي يقوم عليها تهذيب ملذات وشهوات الجسد، وبين سر التغلب على أخطارها يكمن في التمسك بقواعد التربية الإسلامية في آدابها وأحكامها وفضائلها (1) .

والواقع أن تهذيب الغرائز عند ابن باديس صورة عملية تتوقف على الأخلاق الفاضلة والعلم الصحيح في طريق يضاد ما يقضي به الفساد (2) .

وابن باديس عندما أكد أن طابع تهذيب الغرائز ودفع النفس إلى طريق الكمال هو طابع فردي يقوم على تصفية النفس وتحريرها من سلطان الهوى والأنانية والشهوات ووسيلة لإيقاظ الإحساس بالخير، لأن الغرائز إذا لم تكن في طريق الإستقامة حسب حدود الإستطاعة البشرية، تجعل النفس فاسدة بالسلوك المنحرف، ترضى الجهل، وتزيل الكرامة ((وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها (النفس) بالفساد.)) (3) .

وبين ابن باديس أن الإنسان يستطيع التحكم في غرائزه وابعاد نفسه عن الفساد، إن هو اتبع ما أمر الله به، بالابتعاد عن الشرك المانع الأول من التخلق بمحاسن العبادة المقصورة على الله تعالى .

---

(1) عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير، م س، ص 143، 144 .

(2) عبد الحميد بن باديس، أيها المسلمون احفظوا الاسلام على أبنائكم إذا كنتم مسلمين، جريدة الصراط، العدد 05، قسنطينة، 09 اكتوبر 1933، ص 01 .

(3) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس ....، ص 107 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعطى أمثلة (1) توضح استحالة توجيه الغرائز وقيام صلاح النفس لدى جميع الأفراد ، لأن النفس الخاضعة للغرائز محتاجة إلى الترويض والتهذيب وترسيخ معاني التوحيد .

واهتم ابن باديس عند تناوله لموضوع المال فيما يخص توزيعه أو إنفاقه بوجوب ابتعاد النفس عن الإنفاق حسب حاجات الغرائز ، لكن الإنفاق الذي تقوم به في المطلوب والضروريات لا يعتبر تبذيرا ولو كان كثيرا .

وصف ابن باديس انفاق مال المبذر كله في الضلال ، يضيع في الباطل (2) ، لأن المال هو وسيلة صالحة لكل خير وللقضاء على الشر ، لكن الذي أراده ابن باديس هو ضرورة جعل المال كله يتوجه بالأعمال الصالحة للخير ، ولا يبخل الفرد في حقوق الله ، ولا يمسك عما يستطيع ، ولا يتجاوز إلى مالا يستطيع ، أو إلى ما يدفعه للضرر والهلاك ((فالمسرف ضيع المال ، والبخيل ضيع الأخوان ، فكلاهما مكسور الظهر عديم الظهير)) (3) .

---

(1) يقول ابن باديس عن الشرك بالأمثلة مايلي :((من الناس من يخترع أعمالا وأوضاعا من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله مثل : ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها ، والخضوع لديها ، وانتظار قضاء الحوائج منها . . . وهم يعلمون أنها مخلوقة لله ، مملوكة له ، وانما يعبدونها ـ كما قالوا ـ لتقربهم إلى الله زلفى .
وكما اخترع طوائف من الهنود أنواع التعذيب بقتل أنفسهم واحراقها طاعة ـ زعموا ـ وتقربا .
وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص ، والطواف حول القبور ، والنذر لها ، وصب العطور عليها ..
فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها ، لأنها ليست من سعي الآخرين الذي كان يسعاه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه من بعده)) ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 75 .

(2) تفسير ابن باديس ، ص 121 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 126 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا جعل ابن باديس المال إحدى الوسائل لإيقاظ المعاني الحميدة عند الفرد بعد تقويم غرائزه واتصاف نفسه بالخلق الكريم ، وحثه على كفالة اليتيم دون تركه مهملا أو الإستيلاء على ماله والسيطرة عليه بعد وفاة والديه ((وانما خص اليتيم بالذكر لأنه ضعيف لاناصر له والنفوس أشد طمعا في مال الضعيف ، فالعناية به أوكد ، والعقوبة عليه أشد)) (1) .

وباختصار فالامام عبد الحميد بن باديس حرص على شيء هام يتمثل في الحد من شهوات النفس ، يزن الفرد أعماله بميزان الشرع ، لتكون النفس مستقيمة في سلوكها وتصرفاتها وفي تفكيرها ، وفيما تنويه وتريده ((فتكون على الصراط الذي لااعوجاج فيه ، فإنه هو أهدى الطرق وأقربها)) (2) .

ولم يهمل ابن باديس الوازع الداخلي ((الضمير الخلقي)) الذي يراقب أعمال وأفعال الانسان الخارجية ، فقد حرص في تحليله للسلطة الداخلية على الشرع دون إعطاء أي اعتبار للعواطف والغرائز ، وأكد أنه من غير المعقول ترك هذه الحاسة الفطرية الغريزية المطبوعة في نفس الفرد ، تختار ماتشاء ومايحلو لها من فساد (3) .

وابن باديس يقرر بأن الضمير الخلقي الذي يميز ويقيم الكمال والجهل والنقص وحسن الطاعات وقبح المعاصي أساسه التدبر والفكر والرؤية لتغيير طبيعة الانسان نحو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ((ومن رحمة الله تعالى بخلقه أن ركز في فطرهم إدراك أصول القبائح والمحاسن ، ليسهل انقيادهم للشرع عندما

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. ، م س ، ص 142 .

(2) ن م ، ص 239 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، الصراط ، العدد 04 ، قسنطينة ، 09 اكتوبر 1933 ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدعوهم الرسل إلى فعل المحاسن وترك القبائح ، وتأتيهم بما هو معروف في الحسن أو القبح لهم فتبين لهم حكم الله فيه ، ومالهم من الثواب او العقاب عليه .)) (1) .

إذن رأى ابن باديس أن الايمان بالخالق وطاعته والسير بنور العقل يبصران الضمير الخلقي بعيوب النفس ونقائص السلوك ، لأن الإحساس بسلامة البواطن النفسية يكون نابعا من الخير بطمأنينة ورضى النفس والشعور بالسعادة النابعة من العمل الصالح لله ، لكن ((العباد بنقص الخلقة وغلبة الطبع . . . معرضون للتقصير في ظاهرهم وباطنهم في صور أعمالهم ودخائل أنفسهم . وخصوصا في باب الإخلاص)) (2) .

وتناول ابن باديس كذلك طهارة الضمير الخلقي بالإتزان النفسي والتمسك بصرامة العقيدة الإسلامية ، ليبتعد عن فتنة المادة ، ويعيش بمحاسن الأخلاق منزها عن النقائص ، لأن الذي يحتقر الناس لا يرى لهم حقا ولا يعتقد لهم حرمة (3) .

وبين ابن باديس العوامل التي تؤثر سلبا على الضمير الخلقي ومنها جمود النظر ، واعتقاد الباطل ، والشك في العدل والحق ، وفساد الإدراك بشبح التقليد الأعمى ووهم القلق ، والغوض في انحطاط الأعمال بعد غياب الصفات الحسنة (4) ، لكنه شخص سلامته من هذه الأمراض بالتدبر في آيات القرآن وتفهم إشاراته ووجوه دلالاته ليكون على الصراط المستقيم أهدى الطرق وأقربها (5) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 137 .

(2) ن م ، ص 108 ، 109 .

(3) ن م ، ص 164 .

(4) ن م ، ص 226 .

(5) ن م ، ص 239 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبناء على ماتقدم فالأخلاق الفردية عند ابن باديس ترتكز على مايلي :

1 ـ ان القلوب اذا أصبحت معرضة للوسواس ، وبعيدة عن الاطمئنان والاخاء ، نجدها دائما في دائرة الأوهام والشكوك ، والذي يرجعها إلى طابعها السليم بقوة وتماسك ويربطها باليقين إنما هو ((القرآن الكريم)) الذي يكشف لها حقائق العلم ، ويوضح لها سبيل المعرفة والعلم ، فيصبح الفرد بذلك في طريق مستقيم بعيداً عن الرذائل .

2 ـ ان النفس اذا أصبحت غير مستعدة لسماع واسماع الحق وقبوله من نور القرآن الكريم الذي يسير سلوكها وأعمالها نحو الأفضل ، تصير فاسدة ، لأنه من الواجب عليها تلاوة القرآن الكريم والتعمق فيه ((حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا ، ومعانيه نصب أعيننا ، ولنطبق آياته على أحوالنا ، وننزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع (1) ، ولكي لا يخضع الفرد لطاعة الكافرين والعصاة بمعصيتهم وأفكارهم الضالة .

3) الأخلاق الاجتماعية :

بين ابن باديس أن الشريعة الإسلامية قد جاءت لتوجيه وتهذيب المجتمع والفرد ، وأقامت لهما كل الدلائل اليقينية على وجود الله للإيمان به على أنه الحقيقة المطلقة .

واذا كان ابن باديس يعلم جيداً أن للفرد قدرة التمييز بين الخير والشر وبين الحسن والقبح مع نفسه وفي مجتمعه ، لم يهمل أعمال النفس الفاسدة ، والنزعة الفردية

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ... ، م س ، ص 295 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تجعله يرى ذاته كل شيء في الوجود ، فكل هذا جعله يدعوه بالإسلام دين العقائد والأخلاق والأحكام ، ليكون تفكيره وسلوكه وسط مجتمعه على حق في أمور الدين والحياة والفكر (1) .

وأكد ابن باديس للفرد ضرورة الإحتفاظ بخصائصه بما ناله من تفكير وما وهب من عقل ، ودعاه إلى الحذر من نتائج التخلي عن الآداب التي تقتضيها إنسانيته ويفرضها عليه دينه الإسلامي وتستدعيها مصلحته كعضو في المجتمع ، ليكون سيدا حقيقيا بالمعرة الصحيحة والأخلاق الحميدة (2) .

كما رأى ابن باديس أن الفرد في تفاعله مع مجتمعه يدرك الحسن والقبح ، الخير والشر ، لكن إدراكه يبقى ناقصا إذا لم يطبق أوامر ونواهي الشرع الموضوعة من أجله ليصل إلى إقرار ما دعا إليه الإسلام للحق والهدى ، فهو لا ينكر ولا ينفي ضرورة اعتماده على الشرع ، ولم يجعل عقله سلبيا قصد الوصول به إلى درجة التمدن والسير مع العصر بما يناسب أسباب الحياة وطرق المعاملة ودفع الظلم .

إذن أراد ابن باديس أن يكون الفرد قادرا على العلم والفعل بأوامر الشرع ونواهيه على مقتضى العقل الصحيح والفطرة السليمة ، وأراده أن يطبق ما توصل إليه لفائدة مجتمعه ، لأخذ نفس الطريق والسبيل والمنهج والغاية ، وليكون صاحب خلق إسلامي تتجلى فيه صفات الأعمال المستقيمة ، لأن المجتمع عندما يحدد غايته بعبادة الله وحده ، يظهر فيه التعاون جماعات وأفرادا ، يطهرون العقائد من الشرك ، ودليلهم كتاب الرب وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح (3) .

---

(1) راجع تفسير ابن باديس ، م س ، ص 152 ، 157 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 177 .

(3) تفسير ابن باديس ، ص 197 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحسب رأي ابن باديس لا يظهر في المجتمع التفقه في الدين ، والهداية إلى الأخذ بأسباب العزة والقوة إلا إذا كانت فيه جماعة ترى في القرآن نعمة عظيمة خصها بها الله لتنال سعادة الدنيا والآخرة ، وتقضي على الجماعة التي تقابلها بالكفر وتضييع الخير ، لكي لا تراجع كل آية بكفر وجحود ويزداد كفرها بتجدد قراءة الآيات(1) .

وهكذا عندما فكر ابن باديس في الأخلاق الإجتماعية وجد نفسه أمام ظواهر انتشار البدع والخرافات والفساد ، وكثرة الظلم ، وجهل أسرار العلم ، فبين أساس الإبتعاد عن الأخطار يتمثل في الخشية من الله ، وصدق الحدس ، والفهم السليم للسلوك الحميد وتطبيقه ، والتدبر في آيات القرآن الكريم ، والتأمل في أسرار ملخوقات الله وما فيها من نعم وحكم ، وقراءة القرآن باللسان والقلب لتحصيل التوبة (2) .

وأمر ابن باديس المسلمين أن يكونوا أهل الإيمان الصادق بعيدين عن خيانة الله ورسوله، وخيانة الأمانة ، بتجنب الفواحش والمناكر والبدع ، يبتعدون عن أي منكر فعلوه، لا يعطلون أعمالهم بالجهل والكسل والقعود عن الخير ، وأعظم خيانة عند ابن باديس بعد خيانة العقيدة هي خيانة العامة (3) .

ونبه ابن باديس الفرد والمجتمع الى ضرورة الإعتناء بمسؤولية التكافل التام في تحمل التبعات لأن كل ما تنكره الحكمة الرشيدة يعتبر خيانة وشرا ، والعكس هو ما يتسم به العقل والبعد عن الأفكار المنحرفة ويسمى الإيمان الصادق وخيرا .

---

(1) عبد الحميد بن باديس، البصائر ، العدد 83 ، الجزائر ، 30 سبتمبر 1937 ، ص 01 ، وتفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 39 ، 40 ، 258 .

(2) تفسير ابن باديس . . ، ص 38 ، 39 ، 42 . والشهاب ، العدد 158 ، قسنطينة ، 1928 ، ص 02 ، 03 .

(3) تفسير ابن باديس . . ، ص 588 ، 589 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا ، فالإبتعاد عن الخيانة لا يعني مجموعة قواعد وأوامر وزواجر في مجالات الحياة قد تكون مقتبسة ومحفوظة تحتوي على الشر والفساد ، لكن الذي قصده ابن باديس يتمثل في تحقيق القدرة العقلية والخلقية التي تؤهل الفرد في مجتمعه للتمسك بالقيم الأخلاقية الإسلامية (1) ، ويعمل جاهدا لإصلاح النفوس ، ويعالج الآفات العائلية والاجتماعية بالرجوع إلى الله جل جلاله طالبا منه المغفرة والتوبة بعيدا عن الفكر الخرافي .

إذن على ضوء ماتقدم فإن المؤمن البعيد عن الخيانة هو الذي يتحمل كل تبعة ، ليخوض معركة تربية النشء ، ويضحي بنفسه ويذيب كيانه في وطنه ، ولا يميل إلى الرهبانية مستعليا بها على شؤون وحاجات مجتمعه (2) ، وتجنبها حسب رأي ابن باديس يتم بالأفكار التالية :

1 ـ إبراز قبح الفسوق (3) .

2 ـ الإعتناء بالعمل الصالح لتهذيب نفس الفرد التي تتجاوز طاقتها المعقولة لتحقيق المزيد من المطالب على حساب الآخرين ، لأن المنافع الشخصية ليست لها انعكاسات إيجابية على الحياة الإجتماعية تجعل الكل يشعرون بعدم الإكتفاء الذاتي دون معرفة المحتاج منهم بفهم واعتدال (4) .

3 ـ الابتعاد عن أخلاق الأمم الغربية لبناء الحياة على التفكير ، ولنشر دعوة الإسلام بالحجة والاقتناع وليس بالإكراه (5) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير ، المطبعة الجزائرية الاسلامية ، قسنطينة ، 1948 ، ص 35

(2) تفسير ابن باديس . . ، ص 38 ، 249 ، 250 ، 251 .

ـ عبد الحميد بن باديس ، الرجل المسلم الجزائري ، الشهاب ، ج 1 ، م 05 ، قسنطينة ، نوفمبر 1929 ، ص 01 .

(3) تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 177 .

(4) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 145 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، جمع وترتيب محمد الطاهر فضلاء ، ط 2 ، دار البعث ، قسنطينة ، 1968 ، ص 149 ، 150 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتبر الصدق عند ابن باديس أحد الجوانب الأخلاقية التي يجب الإعتماد عليها لأنه أداة البيان وترجمان القلب والوجدان (1) ، يحتوي على شيء هام هو تهذيب الفرد بصفات أخلاقية تكون باللسان ، وفي القلب من حيث الاعتقاد ، وفي الجوارح من حيث الأفعال، يوصل إلى البر ويبعد عن الفجور (2) .

وحلل صفات الأخلاق الرفيعة التي تنجم عن الصدق لأنه ((يحمل على الوفاء بالعقود والعهود والوعود في معاملة الناس فتجري أعمال المرء على سداد واستقامة.)) (3) .

فالكلام غير الصادق عند ابن باديس يقطع أواصر الأخوة ، ويبعث البغضاء والنفرة ، ويبعد التفكير عن الإسترشاد والتعاون ((وإذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الألفة والتعاون وحلت القساوة والعداوة ، وتبعها التخاصم والتقاتل وفي ذلك كل الشر لأبناء البشر.)) (4) .

ورأى ابن باديس أن الذي ينشر السعادة والسلام بين أفراد المجتمع الجزائري ويبعدهم عن الشقاء والهلاك إنما هو ((الصدق)) تجاه الدين الإسلامي واللغة العربية والوطن الجزائري والإنسانية (5) ، ((فرب كلمة واحدة أوقدت حربا ، وأهلكت شعبا أو شعوبا ورب كلمة واحدة أنزلت أمنا وأنقذت أمة أو أمما.)) (6) .

وحلل ابن باديس معنى الإتحاد الذي يجب أن يكون بين جميع الأفراد ، فهو متكون من جميع الأفراد ، كل واحد يقوم بدوره ويعرف مكانته ، ويسد الثغرة التي هي من ناحيته ((مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لاغناء لها عنه

(1) تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 171 .
(2) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 116 ، 117 .
(3) ن م ، ص 117 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، ص 172 .
(5) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 197 ، 243 .
(6) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . . ، م س ، ص 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما لاغناء له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعيته ، بمقدار المركز الذي هوفيه ، والقدرة التي عنده.)) (1) ، لأن الخلل إذا ابتدأ من الصغير تطرق إلى الكبير .

وأشار ابن باديس بوضوح إلى أنواع المؤمنين دون أن يعطي الأمثلة ، واكتفى بالقول بأن فيهم القوي والضعيف ، وبقوة اتحادهم يكونون في مأمن من كل قهر بعد تجاوز جميع المفارقات من مذاهب ومشارب ، وأسباب ضعفهم وعوامل تخلفهم تتمثل حسب رأيه في الصراع القائم في الحياة بين طائفتين ، الأولى ترى الإتحاد يزيد متانة وقوة ، والأخرى تنفر منه وتريد أن تبعده كلية عن الحياة ((.. فمن تعامى عن وصف الإيمان الموجب للإتحاد ونظر إلى مذهب أو مشرب من موجبات الإفتراق فقد عصا أبا القاسم — صلى الله عليه وآله وسلم — وحاد الله ورسوله وأعرض عن دعوة الحق ، وأجاب داعي الشيطان.)) (2) .

إذن استنبط ابن باديس ((الإتحاد)) من القرآن الكريم والسنة النبوية (3) ، لاستبعاد عوامل التخلف ، لأن المجتمع الذي ينال حاجيات الحياة وأمور البقاء والتطور في العمران يقوم كل واحد من أفراده ((بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص100 ، 101 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص101 ، 102 .

(3) فسر ابن باديس الآية التالية : ((حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))(النمل ، 18) . وبين نوعية الاتحاد الموجود عند هذه النملة التي لم تهتم بنفسها لتنجو وحدها بل أنذرت بني جنسها لأن فطرتها جعلتها تدرك مايلي: لاحياة لها بدون الآخرين ، ولا بقاء لها إذا فارقوها .
والعبرة التي استخلصها ابن باديس تتمثل في لاحياة للفرد إلا بحياة أفراد مجتمعه ، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم وابتعد عن النزعة الفردية ، وبعبارة أخرى يكون اهتمامه بنفسه كما يكون اهتمامه بهم . راجع تفسيره ، م س ، ص433 الى ص435 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته وحده بل هي خدمة للمجتمع كله . وبالأحرى ، هي خدمة له في نفسه ، لأنه جزء من المجتمع ، وما يصيب الكل يعود على جزئه.)) (1) .

هذه هي الأخلاق الاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع ، فلا يوجد الفرق الكبير بين الأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية عند ابن باديس ، لأنه ركز على ضرورة ابتعاد الفرد عن رؤية الحياة له وحده دون مجتمعه ، ليتخلص من عوامل الأنانية والقلق والفساد يتجنب العقبات في علاقته مع أفراد مجتمعه بمضمون القيم الأخلاقية الإسلامية في النفوس والأعمال .

4 _ أخلاق السياسة :

جاء في تفسير ابن باديس للقرآن الكريم أن الملك هو الولاية على المجتمع لحفظ نظامه العام في تسيير شؤونه العامة ، بعموم النظر ، وشمولية التصرف والعقلنة في روابط الأفراد والجماعات ، وفي معاملاتهم وتصرفاتهم ، وحرياتهم وواجباتهم ، وتسييرهم في ذلك كله على أصول وقواعد عادلة توصل الكل إلى حقهم ليعيشوا في اطمئنان ورضاء نفسي ، ويبلغوا تحولات كبرى في الحياة (2) ، ولكن ابن باديس فرق بين الملك والنبوة ، فالشخص قد يتصف بالنبوة (3) ، دون الملك لأنه مبلغا من عند الله ، ولا يكون له التنظيم والادارة والتنفيذ وتسيير أجهزة المجتمع.

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 116 .
(2) ن م ، ص 413 .
(3) عرف ابن باديس النبوة كما يلي : ((منزلة من الكمال التام البشري ، يهيء الله لها من يشاء من عباده ، فيكون بذلك مستعدا لتلقي الوحي والاتصال بعالم الملائكة ولتحمل أعباء ما يلقى إليه وتكاليف تبليغه بالقول والعمل ، وتحمل كل بلاء يلقاه في سبيل ذلك التبليغ.)) ، ن م ص 413 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبن ابن باديس الأصول التي يستند إليها الملك قد تكون مستمدة من أوضاع الإنسان لحفظ مصالحه وتجسيد القانون الذي أراده بسلطة مشرفة على تنفيذه ، فسماه بالملك البشري ، وقد تكون تلك الأصول مستمدة من وحي الله ، بمبادئ الاسلام ، في عباداته ومعاملاته ، لحفظ مصالح العباد في الدنيا ، ولكي تتحرر الإرادة من سلطان الشهوات ، ولتحصل السعادة في الأخرى ، فسماه بملك النبوة (1) .

وطبيعة ملك النبوة عند ابن باديس تتميز عن الملك البشري بميزان العدل في القول والحكم والشهادة بين كل الناس ، والوفاء بالعقود والعهود بين الأفراد والجماعات ، ونشر الخير بين الناس دون تمييز بين الأجناس والألوان بالهداية والإحسان ، والدعوة إلى القوة في نطاق الرحمة والعدل والصدق ولدفاع الظالمين ، والدعوة إلى الجمال في نطاق الفضيلة والعفاف (2) ، لكن ((الملك البشري ، وان روعيت في أوضاعه هذه الأصول الأربعة إلا أنه :

1 ـ لا يقيم ميزان العدل بين أبناء المملكة وغيرهم : فنراه يكيل لهؤلاء بمكيال ولا يرعى من العهود ـ في الغالب ـ إلا ما يعارض مصلحة أو تلزمه بمراعاته قوة خصمه .

2 ـ . . . يكاد يقصر بره واحسانه على أبناء جلدته ، ومن كانوا من جنسه ولونه .

3 ـ . . . يبني أمره على القوة المطلقة فتندفع من رغباته إلى أقصى ما يمكنها أن تصل إليه فيكون البغي والتساقط والعدوان .

4 ـ . . . تستهويه زينة الحياة الدنيا وزخارفها ، فتمتد يده إليها حيثما وجدها ،

---

(1) تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 414 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 414 ، 415 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتتنازعهـا الأيدي بالقوة والحيلة ، وتذهب في أقانيها الشهوات بالناس الى النقـص والرذيلـة.)) (1) .

ورأى ابن باديس كل ما يبنيه الملك البشري بالسيف يهدم بالسيف ، وما أخذه بالقوة يؤخذ منه بالقوة ، لكن إذا اهتم بالعلم في البنـاء والعمران ، وبالسيف للسيطرة العقلانية على وظيفته ، سيحدد الأحكام التي تسيره بتعيين أهميتـه ومهمته ودور أجهزتـه التي هي في خدمتـه (2) .

وركز ابن باديس على الملك البشري بقانون التطور الذي لا يلغـي الإيمان بالله ، ويؤمن بالعلم الذي يكون في خدمته وليس لقلقـه وفقره وشقوته ، ولا يفرغه من القيم الأخلاقيـة ودور العقل ، لكي لا يتوجه الى إشباع رغباتـه بالسيطرة لأن ((النظام أساس كل مجتمع واجتماع ، وان القوى والكثـرة وحدهمـا لا يغنيـان بدون نظـام وأن النظـام لا بد له من رجال أكفـاء يقومون به ويحملون المجمـوع عليـه ، وأولئك هم الوازعون.)) (3) .

وبين ابن باديس أن الأمة كالفرد تمـر عليهـا ثلاثـة أطوار (4) :

1 ـ طور الشباب .
2 ـ طور الكهولـة .
3 ـ طور الهـرم .

فالطـور الأول يشمـل نشأتها وقوتها ونشاطها وتقدمها في الحياة (5) ، والطور الثاني (6) يتمثل في النفوذ وقوة السلطان إلى استكمـال قوتهـا وعظمتهـا ووصولهـا إلى ماكنت تنتظـر

---

(1) تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 416 .
(2) ن م ، ص 421 ، 424 .
(3) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص 25 ، 26 . د.عبد الله شريط حلل ضعف الدولة حسب رأي ابن باديس ، مجلة الثقافة العدد 35 ، وزارة الثقافـة ، الجزائر ، جوان 1983 ، ص 291 .
(4) راجع تأثر ابن باديس بابن خلدون ، الفصل الأول ، ص 23 .
(5) راجع المميزات الأخلاقيـة الخاصة بهذا الطور ، تفسير ابن باديس ، ص 665 ، 666 .
(6) راجع حضارة اليمن وبعدها عن سياج الأمان الذي يتمثل في الإيمان ، ن م ، ص 678 إلى ص 682 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيقه ، بما كان لديها من مواهب وقدرات وامكانات ، وما توفر لها من أسباب وطاقات خلاقة .

والطور الثالث يتميز بالتقهقر والضعف ، فإما أن تنقرض من الوجود أو تفقد سيادتها واستقلالها (1) ، وسبب الهلاك حسب رأي ابن باديس ((يكون بعد اسباغ النعمة واقامة الحجة عليهم ، وتمكن الفساد فيهم وتكاثر الظلم منهم)) (2) .

إذن انهيار الأمة يكون بعد ابتعادها عن طاعة الله ، وموتها عن القرآن الكريم ، وجهلها أسرار وعجائب العلم ((مثل الأمة الاسلامية الحاضرة : فمما لا شك فيه أن فينا لظلما ، وعتوا وفسادا وكفرا ...)) (3) .

وأكد ابن باديس أن الانهيار لم يصب الأمة الإسلامية وحدها بل هناك من هو أقوى منها في الهلاك ، لكن لكل أمة أجل مادامت سيطرة النزعة الفردية موجودة ، وعدم وجود الأثر الإيجابي للإيمان بالله دفع الأمم إلى تضييع العدل والتوازن حسب التوجيه القرآني (4) .

وكتب ابن باديس في الشهاب أن السياسة مهنة شريفة في حد ذاتها ، وموضوع شامل لكي لا يستمر الغرور عالقا في تدبير شؤون المجتمع ، بها يمكن تناول كل ماله علاقة بالمسائل العمومية بذكر مالها وماعليها بالاخلاص ، لانه ليس في الاسلام أدنى إشارة الى حرمة بالسياسة ، فالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأعمال السلف الصالح كل ذلك مرتبط ومشحون بالسياسة (5) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص189 ، 190 .
(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص191 وراجع أمة ثامود وحضارتها ، ص675 الى 677
(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص195 .
(4) راجع : ـ الشهاب ، العدد 158 ، قسنطينة ، 02 اوت 1928 ، ص02 ، 03 .
ـ الشهاب ، م 12 ، ج 3 ، قسنطينة ، جوان 1936 ، ص 14 .
ـ البصائر ، العدد 66 ، الجزائر ، 07 جويلية 1937 ، ص01 ، 02 ، وراجع تفسيره ، ص 527 .
(5) عبدالحميد بن باديس ، هل السياسة منافية للسلوك الحسن؟ ، الشهاب ، العدد 157 ، قسنطينة 26 جويلية 1928 ، ص10 ، 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأى ابن باديس أن قوانين الدولة لاتمنع الأقلام والفكر من التجول في مجالات السياسة لبلوغ درجة التقدم والتمدن (1) ، لكنه لام فرنسا في ممالكها ومستعمراتها ، لأنها أهملت العدل والحق بل تمسكت بالانخداع والتمييز العنصري بين السكان المحليين وسكانها .

وزيادة عن تمييزه بين ملك النبوة والملك البشري وتحليله لطبيعتها ومراحل أطوار الأمم ركز على العلم والراعي والرعية والشورى وتفضيل المصلحة العامة .

بين أن تطور الدولة يكون بالعلم الذي يخطو خطوات حذرة متبصرة لاستكشاف النواميس الصعبة ، وللوصول إلى براهين قاطعة لاتتناقض مع الحق والعدل (2) ، بعد التنزه عن كل الاغراض لأنه من واجب أي نظام اجتماعي رؤية حكم الله قبل فعل أي شيء ، ليكون السلوك مضبوطا في الخير والنفع وبعيدا عن الشر والضر ، وليتمسك الحاكم بما جاء في الوحي ، لا يتبع مالا علم له ، وكل شيء يعرضه على محك التفكير حتى لا يكون سلطان القوة السبب الرئيسي في شقوة وفقر المجتمع .

وأهم قاعدة لتحقيق العدل والمساواة في الدولة حسب رأي ابن باديس هي قيام النظام على الرضا والاختيار والشورى (3) ، بجماعة منظمة ، تفكر وتدبر و تتشاور وتتآزر ، تتحمل مسؤولية جلب المصلحة ودفع المضرة بالسهر على جعل العمل يهتم بمقتضيات الواقع الاجتماعي ((... ان على أئمة المسلمين وذوي القيادة فيهم ، إذا نزل بهم أمرهام أن يجمعوا جماعة المسلمين الذين يرجى منهم الرأي والعمل فيما نزل،

---

(1) الشهاب ، ج 5 ، م 5 ، قسنطينة ، جوان 1929 ، ص 25 .

(2) تفسير ابن باديس ... ، م س ، ص 472 ، 473 ، وآثاره ، ج 4 ، م س ، ص 79 .

(3) د . عبدالله شريط عبر بعمق عن عملية التغيير الإجتماعي عند ابن باديس ببناء العمل على العلم ، مجلة الثقافة ، العدد 75 ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، جوان 1983 ، ص 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا يجوز لهم أن يهملوا أمرهم ولا أن يستبدوا عليهم ... وان على المسلمين أن يجتمعوا إليهم ويكونوا معهم ، يظاهرونهم ويؤيدونهم ، وينصحون لهم ، فلا يجوز لهم ان يتخلفوا عنهم ، ولا أن يخذلوهم . وأن على المجتمعين ألا يذهب واحد منهم إلا بإذن وألا يستأذن إلا لعذر ببعض الشأن، وأن على الإمام أن ينظر في الإذن وعدمه فيفعل ما هو أولى .)) (1) .

وأبرز ابن باديس أن أخلاق السياسة مبنية على القوة والرحمة ، ومحاربة الإستبداد ، والاعتناء بالضمير لدفع الأفراد نحو العمل الجماعي ، وتمثيل العلم والعمل والقوة للعدل والمساواة ، والعناية بعلاقات الأفراد في حقيقة أمرها ، لأن النقص في إسلام الحاكم يظهر في الذل وإهمال ميزان العدل (2) ((ولو بحثت عن أسباب انتشار المملكة الإسلامية المبنية على الشريعة المحمدية لوجدت أن أصل تلك الأسباب هذين الأساسين : الرحمة والقوة — فإن الضعيف مغلوب ، وأن القاسي مبغوض . ولا يسود ويحب — كما كان للإسلام إلا القوي الرحيم .)) (3) .

وركز ابن باديس على الحاكم الذي يدبر تسيير شؤون السلطة ، ويحفظ مصالح المجتمع في مجالات الحياة الثقافية والاقتصادية ، لأن اختياره ضرورة اجتماعية ، وأداة سياسية فرضها الإسلام للسير في ضوء هداية الله ، لكن ((... فيه المتاوزن الذين يحتاج إليهم النوع الانساني في صلاح حاله ومآله ومنهم الذين يتولون حكمه وتنظيمه في أممه ومجتمعاته وجماعاته ، فالهيئة الحاكمة والأفراد المنظمون والقادة المسيرون من ضروريات المجتمع البشري ومقررات الشرع الإسلامي .)) (4) .

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير بن باديس .. ، م س ، ص558 .

(2) الشهاب ، ج 3 ، م 10 ، قسنطينة ، فبراير 1934 ، ص96 .

(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص515 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. ، ص328 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يعني الرعية من الراعي عند ابن باديس حسبه ولا نسبة ولا طبقته الإجتماعية ، وإنما يعنيهما منه تقوى الله ، والرسول ـ ص ـ مثال حي لهذا الوازع ، فكان نبيا ورجل دولة أقام القسط بين كل الناس .

فالراعي في نظر ابن باديس يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية وهي أخلاق السياسة :

1 ـ التفقه في الدين للقضاء على الاستبداد والجهل بعقائد الاسلام وحقائقه (1) .

2 ـ الإلتزام بأحكام الشريعة الإسلامية لتقريب الرعية إلى أصل دينها بتطهير العقائد من الشرك ، والأخلاق من الفساد ، والأعمال من المخالفات (2) .

3 ـ التمسك بالعلم لجعل الرعية متكاملة ، يرقيهما من الأدنى إلى الأعلى ، وتركز على صحة عقائد وأحكام الإسلام وبناء العمران بالاستقامة في التفكير والسلوك ، وبالتمييز بين الحقائق ومعرفة العلاقة بينهما ، لأن طور انحطاط الأمم يكون ((عندما يرتفع منها العلم ويفشوا الجهل ، وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها ، فتتخذ رؤوسا جهالا لأمور دينها وأمور دنياها ، نيقودونها بغير علم ، فيضلون ويضلون ، ويهلكون ويهلكون ، ويفسدون ، ولا يصلحون.)) (3) .

4 ـ الخبرة في السياسة ، والتجربة في شؤون الحياة وبعد النظر وصدق الحدس ، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها ، وسرعة الإنذار بما يتم حسه وتوقعه (4) ، ولإبعاد الوراثة في الحكم ، والاستبداد في التسيير ، وليحترم الراعي القانون ويجعل أفراد الرعية يحترمون نظام وشؤون الأمة .

---

(1) تفسير ابن باديس ، م. س ، ص 394 . ومجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 121 الى 124 .

(2) ا ـ الشهاب ، العدد 158 ، قسنطينة ، 02 اوت 1928 ، ص 02 ، 30 .

ب ـ البصائر ، العدد 71 ، الجزائر ، 18 جوان 1937 ، ص 01 ، 02 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص 153 .

(4) ن م ، ص ص 435 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتبر ابن باديس الراعي شخصا عاديا كباقي المسلمين لا يتمازعنهم الا بالشروط السالفة الذكر ، لخدمة المجتمع بدافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه ، يتفقد الرعية ، ويتعرف بأحوالهم ، لأنه المسؤول الأول عن الجليل والدقيق منها ، ومن واجبه الإلتزام بالحق والمشورة وتجنب الاستبداد باسم الإسلام (1) ((أما إذا تواني الأفراد في القيام بالحقوق ، وقصروا في تأديتها إلى بعضهم ، فإن الحاجة المشتركة من العلم ، والثقافة ، وحفظ الصحة ، والأخلاق ، وأنواع الصناعة تتعطل ، وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ، ويعود إلى الانحلال والتقهقر ، وينحط بأفراده الى أسفل الدركات.)) (2) .

ويرى ابن باديس أن الراعي لاحق له في الحكم إلا بتوليه الأمة له ، لها الحق والسلطة في اختياره وعزله ، يستعين في مختلف الاختصاصات بأهل الخبرة والأمانة ، لأن النظام ((لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه ، وأولئك هم الوازعون ... ولا بد للسلطان من وزعة أي أعوان يكفون الناس عن الشر والفساد ، ويتولون تربيتهم وتنظيمهم.)) (3).

واستدل ابن باديس على استحقاق الله السجود دون غيره ، لأنه عبادة ولا يستحقها إلا هو وحده لا شريك له ، يقول ابن باديس في هذا الموضوع مايلي : ((كثيرا ما رأينا في الرسوم التي تنشرها الصحف أناسا من المسلمين راكعين أو مقاربين للسجود لذي سلطان فعلى المسلم أن يحذر من ذلك فلا يفعله ، ولا ينحني لأحد من الخلق وأن ينكره إذا رآه)) (4)

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. ، م س ، ص 435 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 126 .

(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 431 .

(4) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 459 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما تناول ابن باديس موضوع الإمامة والخلافة بمنهج سلفي ، ركز على خطبة أبي بكر الصديق ، فنشر نصها في الشهاب وشرحها باعتدال ثم استخلص أصول الولاية في الإسلام في ثلاثة عشر أصلا لخصتها في النقاط التالية (1) :

1 ـ الأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل .

2 ـ تولي أمر الولاية بالكفاءة لا بالخيرية في السلوك .

3 ـ لا يكون الحاكم خيرا من الأمة إلا بالسلوك والأعمال الصالحة .

4 ـ للأمة الحق في مراقبة أولي الأمر .

5 ـ الأمة شريكة الوالي في المسؤولية ، وله الحق عليها في العمل معه ومساعدته والتضامن معه

6 ـ ((حق الوالي على الأمة في نصحه وارشاده ودلالته على الحق إذا ظل ، وتقويمه الطريق اذا زاغ في سلوكه .)) .

7 ـ للأمة الحق في مناقشة أولى الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ماتراه هي ، والكلمة الأخيرة ترجع إليها وليس إليهم .

8 ـ ((على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها ليكونوا على بصيرة ويكون سائرا في تلك الخطة عن رضى الأمة)) .

9 ـ ((لاتحكم الأمة إلا بالقانون الذي رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها وماالولاة إلا منفذون لإرادتها فهي تطيع القانون لأنه قانونها لا لأن سلطة أخرى لفرد أولجماعة فرضته عليها . . . والسيادة حق طبيعي وشرعي لها ولكل فرد من أفرادها)) .

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 401 الى ص 405 .

ـ الشهاب ، ج 11 ، م 13 ، قسنطينة ، 13 جانفي 1938 ، ص 468 الى ص 471 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

10 _ ((الناس كلهم أمام القانون سواء ... فيطبق على القوي دون رهبة لقوته ، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه)) .

11 _ صون حقوق الأفراد والجماعات .

12 _ حفظ التوازن بين طبقات الأمة بصون الحقوق .

13 _ ((شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة في صلاح المجتمع)) .

مما سبق نستنتج أن ابن باديس أبطل منصب الراعي الذي يتشخص في الحقل الديني بل جعل دوره سياسيا بسلوكه الأخلاقي في مجتمعه الذي كونته الإرادة الإلهية ، واعتبر الوحي والنبوة والشورى والعلم والأخلاق والعدل والقوة والرحمة ، مصدر النظام في الأمة ، وألح على ضرورة الجمع بين الدين والسياسية لكي لاتقع الرعية في صراع نفسي وسياسي واجتماعي بين قوتي الدين والدولة ، بل نظام الدولة خاضع للإيمان بالدين لإدراك مايجب فعله ومايجب تركه .

هذه هي أخلاق السياسة عند ابن باديس تتمثل كما رأينا في ضبط السلوك بالضمير وجعل المصلحة العامة غاية الأمة ، لأن ((مخالفة السنة النبوية والهدي المحمدي وماكان عليه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم _ في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه ، وتمثيل الإسلام عمليا _ تلك المخالفة هي سبب كل بلاء لحق المسلمين حتى اليوم.)) (1) .

وخلاصة القول أن معنى الأخلاق عند ابن باديس هو السعي في الوجود والحياة ، بالوحدانية الخالصة، وبالسلوك الخلقي ، والتفكير السليم ، وبتوفير الإطمئنان وتطور العمران في المجتمع . وبقي الآن أن نعرف مصادر ومنهج الأخلاق عند ابن باديس وهذا ما سنحلله في الفصل القادم .

---

(1) عبدالحميد بن باديس، تفسير ابن باديس .. م س، ص563 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث :

مصادر ومنهج الأخلاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتمد ابن باديس في تحديده لمعنى الأخلاق على المصادر الأساسية التي بهـا يعرف القيم الأخلاقيـة الإسلاميـة بمنهج التوفيـق بين ماهو كائن في حد ذاته وبين مايجب أن يقوم به وبين مايجب أن يحصل عليه ، فحددتها ورتبتها وحللتها كما يلي :

1) القـرآن الكريـم :

خاصية القرآن الكريم الأساسيـة عند ابن باديس أنه كتاب البشر كافة ، وكلام خالق المخلوقات، العالم بأسرارها ، لا يمكن أن يأتي به مخلوق ، ورحمـة من الله للمؤمنين ، وموعظـة تمـرق القلوب القاسية ، وشفاء للنفوس والعقـول ، وهـدى ودلالـة (1) .

جعلـت هذه الخاصية ابن باديس يعتمد على صحيح المنقول ، وسديد المعقول ((ممـا جـلاه أئمـة السلف المتقدمون أوغاص عليـه علمـاء الخلف المتأخـرون .)) (2) ، فدرس التفسيرات ذات الإتجـاه السلفـي الأصيـل المتدفق عبر القرون في تاريخ الحضـارة العربيـة الإسلاميـة ، واستفـاد من قواعدهم واجتهاداتهم في فهم كتاب الله تعالـى ، يقول ابن باديس عن اعتماده على كتب الأئمة مايلي :

((1 ـ تفسير ابن جرير الطبري ، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفيـة ، وبأسلوب الترسلـي البليـغ في بيان معنى الآيات القرآنية بترجيحـاته لأولى الأقوال عنده بالصواب .

2 ـ وتفسير ((الكشاف)) الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني ، وتطبيقـه فنـون البلاغـة علـى آيـات الكتـاب ، والتنظيـر لها بكلام العرب ، واستعمالها في أفانين الكلام .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 42 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 50 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 ـ وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية ، وتوجيهه للقراءات.

4 ـ وتفسير الرازي الذي يتماز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والانسان ، وفي العلوم الكلامية ، ومقالات الفرق ، والمناظرة والحجاج في ذلك إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام ، وغيرها مما يقتضيه المقام.)) (1) .

لكن ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم لم يهمش عقله واستعداده الفكري ، ليبعد خضوع أفكاره عن قيود الأهواء وحجب الغفلة والتورط في كبائر الذنوب وصغائرها ، واعتمد على الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية ، وأخذ التراكيب بأساليبها البيانية ، وربط كل الآيات بوجوه المناسبات والوقائع ، ليبين أن القرآن يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل وفي الحياة .

وبين ابن باديس أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي يجعل الإنسان متفكرا في مخلوقات الله وما فيها من حكم ونعم ، وفي معاني أسمائه وصفاته ، وفي أسباب ثوابه وعقابه ، بعد تلاوة وتدبر آياته بتبصر في عقائده ، والتمسك باللغة العربية وطرق دلالتها على المعاني، لأنه اشتمل ((على أفضل الأفكار اللسانية، من تهليل ، وتكبير ، وتحميد ، وتسبيح ، وتمجيد ، واستغفار ودعاء ، وعلى الأسماء الحسنى ، والصفات للرب تبارك وتعالى.)) (2) .

وركز ابن باديس على ضرورة تلاوة القرآن لتحصيل التوبة ، لأن القلوب تعتريها الغفلة والقسوة والرذائل ، ولا تسلم من هذه الإصابات إلا بالتلاوة (3) التي تجعل الأفراد يحضرون قلوبهم لسماع آيات القرآن وفهمها ، ويحملون أنفسهم على الإتعاظ بها (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس، م س، ص51 .

(2) عبد الحميد بن باديس، ن م ، ص39 .

(3) ن م ، ص44 .

(4) ن م ، ص388 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن ابن باديس صنف الجماعات التي تعتني بالقرآن عند تلاوة آياته ، فشخص كل مجموعة على حدة كما يلي :

1 ـ جماعة معرضة وهي غير مؤمنة .

2 ـ جماعة مقبلة تنقسم إلى جماعتين : جماعة مقبلة بظاهرها دون باطنها وأفرادها يتصفون بالنفاق ، والجماعة الأخرى مقبلة بظاهرها وباطنها فيها المستمع ، المستبصر ، الحاضر ، المتدبر ، وفيها الغافل ، وغير المتدبر ، وغير السامع والمبصر (1) .

أيد ابن باديس المقبلين بظواهرهم وبواطنهم المستمعين ، المتأملين ((فكانوا مباينين لأهل الأعراض من الكافرين والمنافقين ، و لأهل الغفلة ، وعدم التدبر من المؤمنين .)) (2) .

وكان ابن باديس حافظا لكل ماورد في القرآن الكريم ، وقادرا على جمع ما يرتبط بموضوع علمه وبحثه الخاص بواقعه الاجتماعي بمسائله الاجتماعية ومشاكلة الخلقية ، وابتعد عن النظريات العلمية والفلسفية ، ولم يهمل ضرورة العلم بمقاصد الشرع ، وأحوال الفرد والمجتمع والبشرية وما فيها من صلاح وفساد ، فبين أنه في القرآن الكريم ناحية أعظم وأهم وهي الناحية العلمية لجميع الأمم في كل قطر وفي كل زمن بعظمته وقدسيته وجلالته التي تتمثل في :

ـ تفسيره للأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها ، وتشخيصه للأخلاق الفاسدة وسوء أثرها .

ـ دعوته إلى النظر ، والتفكير ، والتدبير .

ـ إبرازه أسرار الأمم الخالية والكتب الماضية وأسرار العمران والإجتماع ، وماتصلح عليه حياة الفرد والمجتمع .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 387 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 388 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ أصوله الخاصة بالعدل ، وقواعد العمران ، ونظم التعامل .

ـ داؤه الشافي لكل أمراض المجتمع البشري .

ـ تفريقه وتمييزه بين الحق والباطل ، والهدي والضلال (1) .

ـ مضمون نظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والإحسان ، كالحقائق الكونية التي كانت مجهولة منها الزوجية في كل شيء ، وسبح الكواكب في الفضاء ، وسير الشمس الى مستقر مجهول معين عند الله لها ((الى ما تقصر عن عده الألسنة وتعجز عن الإفهام)) (2).

وبين ابن باديس أن كل آيات القرآن الكريم هي شفاء يستشفى بها المؤمنون (3) ، لاعتقاد الحق ، وللإرتباط باليقين ، لأن الأخلاق ناشئة عن العقائد ولازمة لها ، ((ومن طلب شفاءها في غير القرآن فإنه لا يزيدها إلا امرضا.)) (4) .

ثم تناول موضوع استخراج أصول وفنون الهداية ، بين أن ذلك لا يكون إلا من القرآن الكريم ، لتقوم الحجة ، وتتم الحكمة ، وتظهر الفائدة (5) ، ويتم العمل بتفهم مضمون الآيات حتى لا تظل على طرف الألسنة ، وتكون معانيها نصب أعين الجميع ، وتطبق على أحوال الفرد والمجتمع ((فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه .

وإذا نزلت نازلة طلبناه فيها حكمها ، وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا.)) (6) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 227 ، 257 .

(2) ن م ، ص 40 .

(3) ن م ، ص 224 ، 225 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 227 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 248 ، 249 .

(6) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 293 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتركيز ابن باديس على ضرورة تفسير القرآن تفسيرا حسنا ، وشرحه أحسن الشرح مع تقريبه إلى الأذهان بصحة الادراك وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفته وتطبيقه ، جعله يهتم بدور أهل العلم بالقرآن الكريم في عملية تعميم العقائد على المسلمين دون الاعراض عن أدلتها والذهاب مع أدلة المتكلمين ذات الاصطلاحات الصعبة (1) ، لأنه لا تكاد تخلو آيات القرآن الكريم من معالجة أمراض العقول والنفوس والأبدان كعقائد السوء ، ونزعات الشكوك ، وجمود النظر ، وانحطاط الصفات . . . ((فما تقابل حق وباطل ، وما تعالجت حجة وشبهة إلا وفي الكتاب الحكيم مايفرق بينهما . وإنما يتفاوت الناس في إدراك ذلك منه على حسب ماعندهم من قوة علم ، وصدق بصيرة ، وحسن إخلاص. فعلينا - إذن - أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل اليه.)) (2) .

وبناء على ماتقدم نستنتج أن القرآن الكريم عند ابن باديس هو مصدر دين الله ((الاسلام)) الذي وضعه لهداية عباده على يد نبيه محمد - ص- خاتم الأنبياء ، وهو ليس بكتاب فلسفة أو طب أو هندسة أو فقه ، وليس بكتاب يتحدث عن نظريات العلوم وأنواع المعارف ، لأنه كتاب الإسلام الذي فيه العقيدة الإسلامية وماتشمله من أفكار كلية شاملة عن الإنسان والكون والأخلاق والحياة ، وهو مصدر الترابط الروحي والتماسك الأخلاقي بين أفراد المجتمع ((كل شيء في القرآن ، كل مايحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق ، وأخلاق الصدق ، وأحكام العدل ، ووجوه الإحسان كل هذا فصل في القرآن تفصيلا ؛ غاية كل فصل غاية البيان والأحكام.)) (3) .

---

(1) تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 158 ، 159 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 248 .

(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 64 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتمد ابن باديس على القرآن الكريم كمصدر ومنهج بفكرة خاصة تتمثل في أنه لا تعارض بين الدين والعلم والأخلاق إطلاقا ، لذلك لم يركز في تفسيره للقرآن الكريم على النزعة العلمية بل طبق المنهج الديني الأخلاقي العلمي بالتوحيد والقيم الأخلاقية والحقيقة العلمية، لأن كل تقدم علمي وتطور اجتماعي يتطان دائما بنهضة دينية ((... نهضتنا نهضة بنيت على الدين أركانها ، فكانت سلاما على البشرية ... لا يخشاها — والله — النصراني لنصرانيته ، ولا اليهودي ليهوديته ، بل ولا المجوسي لمجوسيته ، ولكن — يجب والله — أن يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله والخائن لخيانته.)) (1).

وعندما يطالع الدارس تفسير ابن باديس للقرآن الكريم ، يجد ، قد اهتم كثيرا بالجانب الأخلاقي في مضمون علمي ، وبين تأثير القرآن على المجتمع والحياة من الوجه الأخلاقي بآثار معجزته الأصيلة في القيم الأخلاقية وفي العلم كله ، وأثبت أنه ابتعد عن الاشتغال بمباحث الإعراب وقواعد النحو ، ولم يتأثر بجدل المتكلمين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق بعضها على بعض، لكنه لم يهمل فنون اللغة العربية بمعانيها وبقواعد النحو ، لمعرفة الكون وسنن الله تعالى ، واعتنى بأسرار الخلق وظواهر الطبيعة ، للحث على التأمل والبحث والنظر، وليبلغ الفرد درجة التطور جسدا وروحا ونفسا وعقلا .

إذن ابن باديس لم يشكك في قيمة القرآن الكريم ولم يبعد ، عن الحياة بالتلاوة والايمان والعلم والعمل ، للأثر الإيجابي في سلوك وتفكير ووجدان الإنسان ، بعد أن اعتبره غير منفصل عن الأخلاق في حياة الناس .

---

(1) قول عبد الحميد بن باديس من كتاب (((ابن باديس وعروبة الجزائر)) ، لمحمد الميلي ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هكذا ، ركزابن باديس على الناحية الدينية والإعتقادية ، والأخلاقية ، والعلمية ، التي تبين مهمة كتاب الله ، بطريقة تثبت صدق القرآن وصلاحياته للحياة بالايمان العقلي البعيد عن النظريات العلمية وآراء المذاهب ، بعلوم القرآن الدينية ، الاعتقادية العلمية ، وسائرعلوم الدنيا ((تتناول القرآن العظيم دواء من عند ربنا : شفاء لأمراض عقولنا وأمراض نفوسنا ، وأمراض مجتمعنا ، فنتطلب ذلك منه ، بتدبر آياته وتفهم إشاراته ووجوه دلالاته)) (1) .

2 ـ السنة النبوية :

وصف ابن باديس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة للعالمين ، مرسل من العزيز الرحيم ، منه الرحمة والعدل والفضل والإحسان ، شديد الشفقة على الخلق ، ينذر الغافلين ، يتخلق بالقرآن الكريم ويهتدي بما فيه ، يدعو إليه ويبينه للمؤمين بقوله وفعله ، لأنه برهانه وحجته ومعجزته (2) .

وبين ابن باديس أن الرسول ـ ص ـ كان يذكر قومه على وفق هداية القرآن الكريم ، تذكيره كان كله بآياته ، يتلوها ويفسرها بالبيان القولي والبيان العملي ، تطبيقا لأمر الله تعالى ((فذكر بالقرآن من يخاف وعيده)) (3) .

وأوضح ابن باديس بتحليل أخلاقي أن وظيفة الرسول ـ ص ـ هي بيان لما أنزل إليه ، ولم تكن مقصورة على التبليغ فحسب ، فسماها سنة نبوية صحيحة ((تفسير وبيان القرآن الكريم)) (4) المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ((فالله

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 232 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 480 ، 484 .

(3) سورة ق آية ، 45 .

(4) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 132 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صل على هذا النبي الكريم العظيم الرحيم الذي علمته مالم يكن يعلم وكان فضلك عليه وعلينا به عظيما ، فكم من علم وأسرار انطوت عليها أحاديثه الشريف قد أتت على عالم تعرفه البشرية إلا بعد حين.)) (1) .

إذن السنة النبوية عند ابن باديس هي الاقتداء بالرسول ـ ص ـ واتباعه باقتفاء آثاره، لأن الطريق القويم يكون بالكتاب المبين ودلالة النبي ـ ص ـ لكن بعد تصفحنا لشرحه للحديث النبوي الشريف وجدنا أنه لم يتناول موضوع التدوين الذي يتمثل فيما حفظه لنا السلف من صحاح ومسانيد (2) ، بل اعتمد على صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وأبي داود ، وابن ماجة ، والنسائي ، وموطأ الإمام مالك ((كان صلى الله عليه وآله وسلم يذكر بقوله وعمله وهديه وسمته ، وكان ذلك كله منه على وفق هداية القرآن وحكمته)) (3) .

إن السنة النبوية كمصدر عند ابن باديس هي اتباع حكمة الرسول ـ ص ـ التي تنير القلوب وترشد العقول وتقرب العباد إلى الله بعد أن تشربت روحه القرآن كلام الله المنزل بواسطة الملك وحيا ، ومنهج تطبيقها يبدأ بالارشاد والهداية بأقرب الأفراد ، ثم من بعدهم على التدرج الخاص بالجماعات والأسر والأمة .

والبعد الأخلاقي الذي حدده ابن باديس من السنة النبوية هو جعل الفرد متمسكا بالقيم الأخلاقية الإسلامية التي تثبت له أن الرسول ـ ص ـ كان مذكرا للمؤمنين والكافرين ، ولم يطع الكافرين ، سلوكه كان على الصراط المستقيم وثابتا عليه ، لم تقف أمامه قوة المنافقين ، ولم تغشله حادث

(1) عبدالحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 82 .

(2) ابن باديس في موضوع السنة النبوية رغم وضوح مفهومه لها كمصدر ومنهج ، لم يتطرق لأنواع المسانيد وأصحابها بتفصيل ، للتفريق بين مصدر الحديث الصحيح والحديث الضعيف، لكنه تعمق في إبراز ماثبت عن الرسول كقدوة للأمة الإسلامية والبشرية جمعاء .

(3) عبدالحميد بن باديس، ن م ، ص 04 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهما كان مصدرها ، وشخصيته لم تغيرها حالة الرخاء والشـدة ((فكان في كرم خلقه ، وتمام زهده وعظيم تألهه وتوجهـه لربه ، بعدما فتح الله له الفتـح المبين ، ودخل الناس أفواجا في الدين ، كما كان أيام كان وحيدا بين أعظـم أعدائه من المشركين ، وما هذا شأن البشـر وطبعهم لولا عصمـة وتأييـد رب العالمين.)) (1) .

أعطى ابن باديس أهميـة خـاصة لموضوع اتباع الرسول ـ ص ـ بمنهج دعوة الخلـق لله ، لأنه كما اتبع المسلم رسالة الرسول ص ـ التي جاء بها من عند الله ، كذلك من واجبـه اتباع سبيلـة في القيام بشرائع هذه الرسالـة علمـا وعملا ، في أبـواب العبادات وأحكـام المعاملات ، وفي تطبيق أصول وفروع الإسلام على الحياة ((هذه هي سنته التي كان عليها أصحابه ، وأهل القرن الثاني من التابعين ، وأهل القرن الثالث من أتبـاع التابعين : تلك القرون المشهودة عليها بالخيرية على غيرها بلسان معصوم.)) (2) .

إذن المهتدون هم المتبعون للنبي ـ ص ـ يتلون القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ويوضحون الدلائل الشرعية ، لا يغفلون ، ولا يتهاونون عن العمل الصالح لأن القرآن الكريم وبيانه القولي والعملي من سنة الرسول ـ ص ـ ((من حاد في التذكير عنهما ضل وأضل ، وكان ما يضر أكثـر مما ينفـع ان كان هناك من نفـع.)) (3) ، وبعبارة أوضح أكد ابن باديس على ضرورة التمسك بفكرة عدم العدول عن الإسلام واهمال سبيلة لتجنب الوقـوع في الضلال والكفر ، وضـرورة أخذ مسلك سبيل السنـة النبويـة كمصدر ومنهـج حتى لا يكون للفرد مصير الكفار (4) بابتعـاده عن ظلم نفسه وتفريطـه في سبيل نجاته وهو يعلم أن البيان النبوي راجع الى القرآن .

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 486 (يقصد بكلمة تألهه : التخلق بأخـلاق اللـه .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 256 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 31 .

(4) ن م ، ص 277 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبناء على ماتقدم نستنتج أن ابن باديس كان يهدف إلى نشر مجموعة من القيم الأخلاقية وهي كما يلـي .

1 ـ الأخلاق الإسلامية في السنة النبوية هي وحدها التي تثبت الإهتداء بهداية القرآن والاقتداء بهدي الرسول الكريم ـ ص ـ والسير بسيرة السلف الصالح .

2 ـ التمسك بحكمة سيرة الرسول ـ ص ـ يكون بمعرفة كيف كان يتخلق بالقرآن ، ويهتدي بما فيه ، وينذر بـــه .

3 ـ الإبتعاد عن ما أحدثه المحدثون يكون بالتمسك بطريقة القرآن والمواعظ النبويــة لأن دعوة الرسول ـ ص ـ كانت ((مبنية على الحجة والبرهان ، متمثلة على الحق والبرهان، فكان يستشهد بالعقل، ويعتضد بالعلم ، ويستنصر بالوجدان ، ويحتج بأيام الله في الأمم الخاليـة ، وما استفاض من أخبارها ، وبقي من آثارها من أنباء الأولين.)) (1) .

3) رجال السلف الصالح ((القدوة الصالحة في الأخـلاق)) :

درس ابن باديس سلوك رجال السلف الصالح ، ولم يقتصر على تتبع الأخبار واستيعاب الحوادث وإنما ركز على أصل القصد وايضاح الغرض ، للاستفـادة منهم في التطبيق الصحيح لهدي القرآن الكريم وسيرة النبي ـ ص ـ .

وبين أن مصدر أعمال رجال السلف الصالح يكون بالعرض التـاريخي الصحيح الخاص برجـل أو امرأة من أبنـاء وبنـات الإســلام ، للأهميـة الخاصـة بـتراجم رجـال ونساء السلف الصالح ومالهم من أعمال في سبيل الإســلام .

ثم فسر الهدف من هذا المصدر في كونـه يتمثل في تثبيت القلوب وإعانتها على التهذيب وترويضهـا على القدوة ((وينفخ روح الحياة وما حيـي خلف إلا بحيـاة سلف ، وماحيـاة السلف إلا بحيـاة تاريخهـم ودوام ذكرهــم.)) (2) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 524 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 79 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاريخ رجال السلف الصالح عند ابن باديس يعبر عن مسيرة الإسلام عبر القرون ، والتناول الموضوعي لهذا النوع من التاريخ الإسلامي هو ذلك الفهم العميق لكل حوادثه والتفسير العقلاني لكل الثمار الناتجة في كل حقبة مع استخلاص الحكمة التي تصلح للإستخدام في عملية تحصين وتوجيه الخلف ((فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة التي كانت تمثل الكمالات الإنسانية بأنواعها ، وتتفاوت في بلوغ الغايات منها لتكون قدوة لمن يجيء بعدها كل بما فيه من استعداد لما خلق له من أنواع الكمال.)) (1) .

وفي هذا السياق أنجز ابن باديس عملا هاما ساهم به في التعريف برجال ونساء السلف الصالح ، بباب جديد في الشهاب سماه ((رجال الإسلام ونساؤه)) وفتح مبادرة الكتابة لكل كاتب يعرف بأبناء الإسلام عبر التاريخ الإسلامي ، ليكونوا قدوة للخلف الصاعد في التمسك بالإسلام والتضحية في سبيل الله .

وجهده المنظم من أجل جمع آثار السلف الصالح ووضعها في يد الطلاب والدارسين جعله يهتم كذلك بالرجال الذين أسهموا في إنجاح التطور الحضاري والفكري ، يدمج موضوع السلف الصالح في برامج التعليم العربي الحر (2) ، ويركز على مقاومته للغزو ، وبطولاته أيام الفتوحات وازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

إن الاعتناء بمصادر السلف الصالح عند ابن باديس ليس التاريخ للحوادث في حد ذاتها (3) ، أو الإعتناء بالطابع السياسي ، ولكنه في جوهره وصميمه الإهتمام بالتطور الشامل بكل أبعاده الدينية والأخلاقية والثقافية والحضارية .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 104 .

(2) راجع الفصل الخامس ، فقرة التربية والتعليم حيث تناولت فيها هذه النقطة بتركيز في محور برامج التعليم ص 126 .

(3) ابن باديس في هذا الموضوع عندما يتناول ترجمة السلف الصالح يكتب فقرة خاصة تحت عنوان القدوة ، عبرة ، حكمة ، نتيجة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاغ ابن باديس ترجمة كل رجل أو امراة من السلف الصالح بأسلوب فني في التعبير مضمونه الطابع الإسلامي الأصيل الذي يبعد الفرد عن الجمود ، لبلوغ أعلى الأعمال في العلم والمعرفة والعمران والتفقه في الدين (1) .

لكن الشيء الكامل الذي اعتنى به ابن باديس في هذا الموضوع هو الرجال والنساء في آن واحد ، بالنسبة للنساء حلل دور المرأة المسلمة واستعدادها للتضحية والإستشهاد بالعلم والعمل والشجاعة من أجل انتشار الإسلام وبناء مجتمع إسلامي ، فدفعت ثمنا غاليا بأعمالها التاريخية الخالدة .

ولرفع قدرات النساء المسلمات في عصره أعطى ابن باديس درسا خاصا في الجهاد بأم حرام بنت ملحان مع زوجها معاوية في جزيرة قبرص (2) ، والربيع بنت معوذ (3) التي شاركت في الحرب مع الرجال ، وسمية بنت خباط (4) العجوز الضعيفة المثال الحي في الصبر والثبات واليقين ، وهند بنت عتبة (5) التي اتصفت بالصراحة والجرأة والأنفة ، والشفاء بنت عبد الله القريشية العدوية (6) التي كان عمر بن الخطاب يرعاها ويفضلها ويقدمها في الرأي لمعرفتها وفضائلها ، والخنساء (7) التي فقدت أفلاذ أكبادها الأربعة ، يقول ابن باديس: ((هؤلاء السيدات الصحابيات رضي الله عنهن قد كن يشاركن الرجال في الحرب وهي أبعد الأشياء عن طبعهن ويقمن معهم بما يليق بهن فلنا فيهم وفيهن القدوة الحسنة

---

(1) راجع الفصل الأول ، فقرة العامل الديني حيث بينت اهتمام ابن باديس برجال الفكر والمعرفة ص 20 .

(2) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 82 .

(3) ن م ، ص 103 .

(4) ن م ، ص 118 .

(5) ن م ، ص 118 .

(6) ن م ، ص 124 .

(7) ن م ، ص 223 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن نشرك معنا نساءنا فيما تقوم به من مهـام مصالحنا ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في الحياة — على ما يفرضه عليهن الإسلام من صون وعدم زينة وعدم اختلاط ، ولن تكمل حياة أمة إلا بحياة شطريها : الذكر والأنثى .)) (1) .

واهتم ابن باديس بالرجال من منظور إسلامي موضوعي ونزيه ، فأبرز مسؤولياتهم على جميع المستويات العلمية (2) ، والدينية والسياسية ، ومسؤولية خاصة بتطبيق ماجاء في رسالة الإسلام .

تناول عبادة بن الصامت (3) الذى رفض ولاية مواليه لما لاحظ منهم الشر ، وسعد بن الربيع (4) الذي لم ينسيه الألم الذي أصابه في سبيل الله مابقي عليه من واجبات ومسؤوليات لدينه ، والحجاج بن علاط (5) الذي كان فقيها في الدين وبعيدا عن الإمارة ، وبلال الحبشي (6) الثابت في الدعوة وقوي القلب والمثل الصحيح لكل من أصيب وعذب في الحق ، وعكاشة بن محصن (7) الذي اتصف بالخوف من الحساب والحرص على الكمال والرغبة في الفوز بأعلى الدرجات ، ونعيمان بن عمرو النجاري الأنصاري (8) خيار الأئمة وأهل الصدق والقوة في الحق ، والنعمان بن عدي العدوي (9) الذي لم يؤثر عليه العزل من منصبه بين البصرة والواسط فبعد نزوله بالبصرة بقي يعمل للإسلام في أيام العزل مثل أيام الولاية ((هكذا كان

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 113 .
(2) راجع الفصل الأول فقرة العامل الديني ((التحقيقات التاريخية والعلمية)) التي درسها ابن باديس .
(3) آثاره ، ج 4 ، ص 81 .
(4) ن م ، ص 83 ، 84 .
(5) ن م ، ص 86 ، 87 ، 88 .
(6) ن م ، ص 89 إلى ص 104 .
(7) ن م ، ص 106 .
(8) ن م ، ص 110 .
(9) ن م ، ص 120 ، 121 ، 122 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحابـة يبذلون في حفظ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أرواحهم والتابعون لهم من المسلمين هم الذين يبذلون في حفظ دينه من بعده كل عزيز فحياته ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ في أمته ببقاء دينه فيهم قائما . والحمد لله أنه لا تزال طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون.)) (1) .

ان تاريخ السلف الصالح عند ابن باديس الكنز الدائم لمعرفة فقهه في الدين وتسييره سياسة الأمة وتدبيره شـؤونها ، وجمعـه بين العمـل الديني والغني ، فترقوا جميعهم في مادياتهم وروحـانياتهم بأصـول الإسـلام .

لكن العناية بالسلف الصالح لم يعتبرها ابن باديس أنه سجين الماضي بل ميز مافيـه من إيجابيات وسلبيات دون أن يجعله حقبا متصارعة فيما بينهما بل بين أن اختلاف الأفكار والطباع ، كان نتيجة اختلاط الأمم والحضارات ، فاختلفت الفرق الإسلامية في كثير من المسائل ، لم يتنكر مجهوداتها ، لكنه أكد أن كل فتنة كانت بين الفرق الإسلاميـة ناشئة عن مخالفة ماجاء في القرآن الكريم وماكان عليه النبي ـ ص ـ وأصحابـه (2) .

إذن رجال السلف الصالح مصدرهام من مصادر الثقافـة العربية الإسلامية ، عبر فيه النساء والرجال عن إيمانهم وأعمـالهم وجهادهم كما عبروا عن رفضهم للباطل والظلـم .

والطريقة الصالحـة للإنتفـاع بهذا المصدر بعد نشره والتعريف به تتمثل في تحليل نظرة السلف إلى الحياة والوجود وجهاده وتصـوره للقيـم الأخلاقيـة والعلاقـات الإسلامية فـي الفكر والعمـران .

(1) عبد الحميد بن باديس، آثاره ، ج 4 ، ص 84 ، 85 .

(2) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 243 الى 247 ، مقال ابن باديس تحت عنوان ((مناظره بين سلفـي ومعتزلـي)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبناء على ماتقدم نستنتج أن ابن باديس أراد إبراز مجموعة من القيم الأخلاقية التي اتصف بها السلف الصالح وهي كمايلي :

1 ـ جمع الفقه والعمل والتقوى والعمران وصفاء الروح في كل الأعمال .

2 ـ فضيلة تحمل مسؤولية ماجاء في رسالة الإسلام هي القدوة والأسوة في الجهاد بالمعرفة والجرأة والأنفة .

3 ـ أساس تطبيق ماجاء في الإسلام هو الفقه في الدين، والبعد عن فتنة الإمارة، والثبات في الدعوة بالصبر واليقين والرغبة في الفوز بأعلى الدرجات .

4 ـ الشخصية الوطنية :

الشخصية الوطنية عند ابن باديس تتمثل في اللغة العربية والعقيدة الإسلامية والتاريخ المشترك وفي التفاعل المنسجم بين كل أفراد المجتمع الجزائري من خلال هذه المقومات .

وحلل ابن باديس التناقض بين الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية القائم في محاولات القضاء على الشريعة الإسلامية ورفض الذاتية الجزائرية ، لأن ((هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولاتريد أن تصير فرنسا ولاتستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها ، وفي دينها ، لاتريد أن تندمج . ولها وطن محدد معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية.)) (1) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس، آثاره ج 3 ، م س، ص 309 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتبر اللغة العربية هي الرابطة بين الماضي الجزائري وحاضره الأعز ومستقبله السعيد ، لأنها لغة الدين والشخصية الوطنية ولغة الوطن المدروسة (1) ، وبها يفهم الجزائري بأن الأمة الجزائرية إسلامية الدين عربية اللسان ، يستحيل أن تكون متخلية عن الإسلام ولا تفهم حقائقه إلا باللسان العربي .

استعمل ابن باديس منهجا خاصا لإعطاء الشخصية الوطنية دورها كمصدر أساسي لتأصيل الهوية الوطنية في كل أنحاء الجزائر المستعمرة ، بمسيرتها الحضارية منذ العهد القديم والاستقراء الواعي للأعمال التاريخية ، ودعم أصالتها العربية الإسلامية، وتوظيف إيجابيات التراث .

ومميزات هذا المنهج تتمثل في التحليل الدقيق الخاص بتبني الماضي وتجنب ضعف الحاضر الذي رسمه الإستعمار الفرنسي ، بعقلية علمية وتوجه ديني أخلاقي وطني وتصور معاصر ، لأن ((الأمة غير الناضجة تبدأ بمعارك الكلام لأنه رأس مال في متناول كل يد ، فإذا ماشعرت بالنضوج هزات بالكلام الضخم وبدأت سياسة ((العمل)) ولومن أدنى مراتبها . وأصغر درجاتها . ولو في دائرة متواضعة فقيرة الموراد ضيقة المجال ولكنها تمتاز بالثبات ، والعزيمة ، والصبر ، وقوة الاستمرار.)) (2) .

اهتم ابن باديس بالأسس التاريخية الجزائرية ليعطي صورة خاصة بالعهد القديم في محاربة السيطرة الأجنبية ، ويبين النمط الوطني الذي كان في نفسية الجزائري وبه حافظ على الكرامة والعزة والفضائل الإنسانية ، وقاطع ديانه وسياسة المحتليين، وليفسر مميزات المجتمع الجزائري في عصر الحضارة العربية الإسلامية بالعقيدة الإسلامية والعلم والأخلاق الفاضلة ((اسأل المؤرخ الفنيقي ، أو الروماني ، أو العربي ، أو التركي إنك لا تجد وصف الجزائري إلا واحدا في كتب أولئك الأقوام

---

(1) الشهاب ، ج 12 ، م 09 ، قسنطينة ، نوفمبر 1933 ، 481 والبصائر ، العدد 71 ، الجزائر ، 22 جانفي 1939 ، ص 05 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، م 09 ، ج 13 ، قسنطينة ديسمبر 1933 ، ص 533 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغابرين : وصف لا يزول : محافظ ،محافظ إلى الأبد .)) (1) .

بين ابن باديس بأن الجزائر كانت مازيغية منذ قديم عهدها ، وجميع الأمم التي اتصلت بها لم تستطع ابعادها عن تقاليدها وأخلاقها ، ولم تريد الادماج لأن لها وطن في اطار جغرافي محدود هو الوطن الجزائري لذلك كانت تبتلع الفاتحين ، ولم تتكيف مع أنماطهم في المبادئ والأهداف .

أبرز مساهمة الجزائر قديما في الحضارة الانسانية التي تمتد إلى آلاف السنين بصفة خاصة في المملكة النوميدية في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ، ومن القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي تصدي المجتمع الجزائري للسيطرة الرومانية والوندالية والبيزنطية (2) ، ((وان أمة من الأمم التي اتصلت بها مااستطاعت أن تقبلها عن كيانها ولا أن تخرج بها عن مازيغيتها أو تدمجها في عنصرها.)) (3) .

وحلل ابن باديس المرحلة التي عاشتها الجزائر في القرن الثامن الهجري مبينا تقبل الجزائريين للفتح الإسلامي رغم أن البداية كانت صعبة نظرا للحركات الإستعمارية التي كانت تتعاقب على الجزائر ، لكن هذه الظروف لم تتحول إلى حقد بل تأكدت النوايا المثلى وسمو الرسالة السماوية ، فقال ابن باديس: (... لما جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية لا لبسط السيادة . وإقامة ميزان العدل الحقيقي بين جميع الناس.)) (4) .

رأى ابن باديس أن الإمتزاج الذي كان بينهم جعلهم في مجالس العلم ، وفي السياسة وقيادة الجيوش ، وتقاسموا بأخوة كل مرافق الحياة (5) ، فانطلقت به في الجزائر حركة ثقافية واجتماعية واقتصادية ساهمت في بناء وتقوية الحضارة العربية

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 143 ، قسنطينة ، 19 أفريل 1928 ، ص02 .
(2) الشهاب ، ج 11 ، م 11 ، قسنطينة ، فبراير 1936 ، ص49 .
(3) عبدالحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبدالحميد بن باديس ، م س ، ص199 .
(4) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص199 .
(5) ن م ، ص200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإســلامية وتعزيز المكاسب التاريخيـة في ظل الدول المتعاقبة عليها في عهد الرستميين والزيريين والحماديين وبني عبد الواد الزيانيين .

ولم يهمل ابن باديس دور المجتمع الجزائري في الحفاظ على تقاليده وإثرائهـا بأخلاق ولغة القرآن الكريم ، ومهمـة العنصر البشري الحضاريـة بنفسـه المتزنة،بأعمـاله ومعاملاتـه وفكره ، و الاتحاد المطلق في العقيدة واللغة والأدب والفؤاد ، لأن الإسلام علم الجميـع في الميدان كيف لا يفرقون بين الأجناس ولا يفاضلون بين الألوان والفئـات .

وأوضح ابن باديس أن عملية امتزاج عنصـر العرب بالسكـان الأصليين كانت حتمية بعـد ترسيخ الإسلام في نفوس الجزائريين بذكر الحجـج والأدلة ، وبسنة خاتم المرسلين في الدعوة إلى الله كمـا قصها القرآن الكريم ، واستشهـد بالحديث النبوي الشريف الـذي فيـه حكم الله بما يكون بـه الانسان عربيـا ، وهو الحكم الذي صدقته وأيدته الطبيعة والتاريـخ على حد تعبـير ابن باديس ، فقال :((خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ((يأيها الناس : إن الرب واحد ، والأب واحد وان الدين واحد ، وليست العربيـة بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هي اللسـان فمن تكلـم بالعربية فهو عربي.)) رواه الحافظ ابن عساكر بسنده ، عـن مالك عن الزهري عن أبي سلمى بن عبد الرحمٰن . وسبب ورود الحديث نفى أحد المنافقيـن العربيـة عن سلمان الفارسي وصهيب الرومـي وبلال الحبشـي رضي الله عنهم.)) (1) .

ففي نظر ابن باديس هذا الحديث النبوي الشريف هو القول العـادل للتكلم بالعربيـة والتعبير بها ((حوربـت فيكم العروبـة حتي ظن ان قـد مات منكم عرقها وفسخ فيكم نطاقها.)) (2).

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 201 .

(2) البصائر ، عـدد 83 ، الجزائـر ، 30 ديسمبر 1937 ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان مفهوم الشخصية الوطنية عند ابن باديس لا يختلف في مضمونه العام عن الشخصية الإنسانية التي تفاعلت فيها ثقافات وحضارات الأمم .

اعتبر أفكار ثقافة فرنسا الخاصة بتقسيم الجزائريين إلى عرب وبربر تحطيما للكيان العربي الإسلامي بإبعاده عن تفاعله الحقيقي مع كل امتداداته الحضارية ، للدسائس الانفصالية ، وللإرتماء في أحضان الثقافة الأوروبية ((ان أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزئريا أمه الجزائر وأبوه الاسلام . وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله ، وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم.)) (1) .

إذن أبرز ابن باديس الشخصية الوطنية بأسس تاريخية لغوية دينية حضارية أخلاقية، وعرف العصر القديم في صورة بناء إنساني ، ومن صنع الجزائري الذي اتضح طابعه الإنساني وخصائص كرامته في علاقته ومواقفه من الشعوب الإستعمارية ، بالمعاني الإنسانية في التفاعل مع النفس والآخرين .

واعتنى بالتاريخ العربي الإسلامي بالجوانب الخاصة بالوحدة الوطنية ، بحكم وحدة الوطن، ووحدة الفكر والغاية ، وأخوة النفس ((ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دمها ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها اتحادا يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال)) (2) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، م س ، ص50 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص48 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفسر تبلور الملامح الأساسية للشخصية الوطنية من خلال القيم العربية الإسلامية، لتكون وقاية من كل محاولات المسخ ، ولتوضيح الصراع الحضاري مع المحتل الاستعماري الاستيطاني الذي ركز أفكاره وجهوده على تحطيم الكيان الحضاري الوطني .

وبناء على ماتقدم نستنتج أن ابن باديس اعتمد على الشخصية الوطنية كمصدر للتأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية كأداة لاكتساب الوعي الثقافي والحضاري، والمنبه الأساسي لإبراز الأثر العميق الخالد الذي خلفه الدين الإسلامي في الجزائر ، ووسيلة لمحاربة العرقية التي أرادت فرنسا إدخالها في الجزائر بحجة دراساتهم الانثربولوجية (أ) التي بينت أن الجزائر هي خليط من دماء كثيرة ، لكن في الحقيقة هذه الظاهرة موجودة في فرنسا تعامى الدارسون عنها .

وخلاصة القول هو أن ابن باديس أبرز المقومات الأخلاقية التي تصنع الشخصية الوطنية، وشخصها في الدعائم التي تنهض عليها ((الإسلام ، اللغة العربية ، التاريخ الوطني بكل مراحله)) والقيم الفكرية التي تتطور مع الأجيال وتتطلب متطلبات التقدم لتحقيق الذات في حياة جزائرية اجتماعية عربية إسلامية تتوزان فيها وتنسجم مطالب الروح والنفس والعقل والجسد .

(أ) راجع الفصل الرابع ، فقرة الإصلاح الإجتماعي ، ص 117 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5 _ الحكمــة الاسلاميـــــة :

عرف ابن باديس الحكمة بأسلوبه الأخلاقي الهادف تعريفا إسلاميا خالصا ، هـــي ((الفقه في الدين والعمل به.)) (1) و ((العلم الصحيح الثابت ، المثمر للعمـــل المتقـــن المبني على ذلك العلم.)) (2) .

ويبن ابن باديس أن النبي _ ص_ اعتبر الشعر حكمة (3) ، إذا تميز بالخلـق الكريم والعمـل الصالـح ، وبيان في عقيدة الحـق ، والعلم والتجربة ، كشعر أمية بن أبـــي الصلت (4) الذي كاد أن يسلم على حـد تعبير خاتم الرسـل والأنبياء محمـــد _ ص_ ، وشعر لبيد (5) رضي اللـه عنـه .

نستنتج من هذا التعريف أن الحكمة عند ابن باديس هي ثلاث درجات :

1 _ اما أن تكون الفقـه في الدين الإسلامي والعمل به بالمعرفة الصحيحة والسلوك المستقيم ، للتكامل العلمي والعملي بعد معرفة الأصول التي يتم بها تحقيق هذا التكامل بالرؤية الصحيحة التي تقوم عليها العبادات والمعاملات بكتاب العلم والعمل ((القرآن الكريم)) (6)

2 _ وتطلـق على وجود أثر للإيمـان بالله بتعاليم الإسـلام التي نقلت الإنسـان إلـــى الهدايـــة .

3 _ وهي سداد في الرأي والإتزان في التفكير وبعبارة أدق هـــي المعرفـــة بالله التـي

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 483 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 534 .

(3) ن م ، ص 535 .

(4) الشاعر هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي ، لم يسلم رغم أنه أدرك الإسلام بعقله وفطرته وحواسه ، مات سنة 09 هـ .

(5) الشاعر هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العمرى أدرك الإسلام ، وحفظ القرآن ، وهجر الشعر ، مات وعمره 31 سنة ، وأصدق كلمـــة قالها شهد على صدقها الرسول _ ص_ ((ألا كل شيء ما خـلا اللـه باطـل.)) .

(6) ن م ، ص 484

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتضمن المعرفة بالوجود وبالخير والعدل والإحسان والحق حسب ما شرعه الإسلام ((فالعقائد الحق والحقائق الراسخة في النفس رسوخا تظهر آثاره على الأقوال والأعمال — حكمة — والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة — وهي علم وعمل نفسي — حكمة . والبيان عن هذا كله بالكلام والواضح الجامع حكمة .)) (1) .

واستنادا إلى حكمة القرآن الكريم يبين ابن باديس ضرورة الإهتداء بهدايته ، لأن حكمته تتشخص في تقوية العقول والقلوب باليقين وبالعلم والحق .

ورأى ابن باديس أهمية الإقتداء بحكمة الرسول — ص — التي كان يدعو إلى سبيل ربه بها ، بأدلة العقائد ، وببراهين الحق ومحاسن الأخلاق والأعمال الصالحة (2) ، لمعرفة حكمته التي تتمثل في تحرير الفكر من كل ما يضعف المنطق والقدرة في الحياة والوجود ، وفي تسديد الرأي وتقويم العقائد بعد أن وجه الناس الى عبادة الله وحده ، وهذب الأخلاق ، ونظم المجتمع الإسلامي بقواعد الحياة والعمران والعدل .

إذن الحكمة عند ابن باديس لم تكن محدودة في تصور الأخلاق ، وليست بمفاهيم مجردة بل هي الربط الوثيق بين المعرفة والأخلاق وبين العلم والتطبيق في الطريق الاقوم حسب ما أوحى به الإسلام الناس من قبل الله تعالى برسوله للإيمان الصادق والعمل الخلقي في الاعتقاد ، وفي التفكير ، وفي الأعمال .

الانسان الحكيم عند ابن باديس هو المتمسك بالقرآن الكريم ((العلم الصحيح المثمر)) (3) ، يجعله بعيدا عن الجهل والضلال ، ويدرك الحقائق بمنهج قويم

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، م س ، ص 534 .

(2) ن م ، ص 534 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 478 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلق حكيم ، يتكلم بالتفكير والعمل ، ويعمل ببصيرة وقوة عقلية (1) ، ليصيب في كل أفعاله ((بالحكم البالغة في آيات القرآن العظيم.)) (2) .

أعطى الشيخ عبد الحميد بن باديس للحكمة مضمونا إسلاميا مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية ، لتزكو بها النفس بمعرفتها للفضائل وكيفية اقتنائها ، وبتحديدها للرذائل وكيفية تجنبها وتوقيها .

الحكمة عند ابن باديس تركزت على الجانب الإنساني في الدعوة الإسلامية ، لجعل الإنسان يتحرر بها من كل العوامل التي تحد من خصائصه الإنسانية ، وتضعف تفكيره ونفسه في الحياة وما تستهدفه من قيم أخلاقية ، لأن الإنسان هو ذلك المخلوق الذي ميزه الله جل جلاله بميزة العقل ، وهو مطالب بتكريم نفسه بمكارم الأخلاق ، وتقوية فكره بالعلوم والمعارف وصحيح الإعتقادات ، ودفع الجوارح إلى طريق الأعمال الصالحة ، وكل هذا لا يكون إلا بالحكمة الإسلامية النابعة من صميم رسالة الإسلام بالفكر والإرادة والضمير الخلقي (3) .

إذن عبر ابن باديس عن الحكمة الإسلامية بطريقته الخاصة وهي أن أشرف حالة للإنسان تتمثل في التمسك بهذا النوع من الحكمة في تفاعله مع مجتمعه ، وهي حالة انفراده للرب والتوجه إليه بالجوارح والعقل والسلوك ، وأفضل شيء بعد ذلك هو الإعتناء ببقاء المجتمع (4) ، بشخصيته الوطنية والأعمال التي يركز عليها رقيه ، ليكون مسلما حقيقيا وإنسان العمران (5) ، ببلوغ الرقي المادي والأدبي ((احذر من الخيانة ! الخيانة المادية في النفوس والأعراض والأموال، والخيانة الأدبية ببيع الذمة والشرف والضمير.)) (6) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 400
(2) ن م ، ص 538 .
(3) ن م ، ص 206 .
(4) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص 98 .
(5) آثاره ، ج 3 ، ص 177 .
(6) ن م ، ص 178 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة القول فإن مصادر الأخلاق عند ابن باديس هي القرآن الكريم والسنة النبوية ورجال السلف الصالح والشخصية الوطنية والحكمة الإسلامية ، لأنه اعتمد على تطهير العقائد من الشرك ، والأخلاق من الفساد ، والأعمال من المخالفات .

ومنهجه استند إلى البينة ، ولم يأخذ فيه إلا باليقين الراسخ في العقائد الإسلامية، للإبتعاد عن الإعتقاد بالباطل في أمر الإسلام ، وللمعرفة الصحيحة الخاصة بالعقائد المبسوطة في القرآن الكريم وبيانها وتفسيرها في السنة النبوية الصحيحة .

واستعمل العقل والحس والمشاهدة كدلالات صالحة تسمح له بتحليل ربط الظواهر والأحداث بعلائقها الثابتة والمتغيرة بالفكر للوصول الى البراهين ، واهتم بالظاهر والباطن في ظواهر شؤون الحياة ، وتمسك بالحكمة التي توصله إلى براهين لاتتنافى مع الواقع والسلوك الثقافي والحضاري المستقيم .

بقي أن نعرف ماهو هدف الاخلاق عند ابن باديس؟ هذا ماسنحلله في الفصل القادم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدد ابن باديس هدف الأخلاق في الإصلاح العقائدي والعقلي والاجتماعي ، بالفضيلة والعلم وعقائد الإسلام ومقومات الشخصية الوطنيـة ، لتغيير البيئة الدينية والفكرية والإجتماعية من الإنحطاط والانحرافات إلى بث الخير بين الناس وتطوير الحيـاة في نطـاق العـــدل والإحســان والعفاف ، وبتصفحنا لإنتاج ابن باديس حددنا عناصر الأهداف الأخلاقية عنده وهي:

1) الإصــلاح العقــائـدي :

ان مفهوم الإصلاح العقائدي عند ابن باديس هو تطبيق ماجاء به الاسلام ، لتحديد الطريق المستقيم في الحياة والوجـود ، ولا يقف هذا المفهوم عند حد العلم به ، وبما جاء فيه ، وانمـــا يجب أن يتجـاوز العلم إلى الإيمان والتطبيق ((فياأيهـا العاقل المفكر! هل فكرت يومـــا ما في نفسك وفي الآفاق! وهل اهتديت بتفكيرك إلى الكريم الخلاق ؟ وهل أدركت في وقـــت من الأوقات لم خلقت ولـم خلقت ؟ وهل تبين لك الحق ببرهانه وقام لديك الدليل الاقناعي والشاهـــد الحسي بما أوجب لك العلم الصحيح فآمنت ذلك الإيمان الصحيح فكنت من الموقنين ، وأسلمت وجهك وقلبك للـه رب العالمـين.)) (1) .

بين ابن باديس أن الفروض التي فرضها الإسلام على الإنسان تهدف إلى تحقيق التوبـــة الصادقة والعمل الصحيح الذي يدل على صدقـه ، ليكون في طريق العقيدة الإسلاميـة الصحيحة فيما ينوي وفيما يسلكه في العبادات والمعاملات ، وليبتعد عن الغفلة والأوهام والجهـــالات والقسوة ، لكن معرفة ابن باديس الدقيقة لأخطـار الأعمال والأوضاع والعقائد التي اخترعهـــا الفرد من عند نفسه ليقترب بها إلى الله ، جعلته يبرز الأثر السلبي للسلوك الفاسد الذي لا يعبر عن العمل بطاعة الله والإيمـــان بـه ، وطـالـب أن يكـون أهـــل الإســـــلام كلهم مؤمنين ، يقتصـرون في عبـاداتهم على ماثبت في القرآن الكريم بترتيله وتدبر معانيـــــه

(1) عبدالحميد بن باديس ، الاسلام دين خالد ، البصائر ، العدد 3 ، الجزائر ، 17 جوان 1936، ص01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتزام حدوده ، للسعي في سبيل العمل الصالح لأن القرآن ((يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل .)) (1) .

والذي يثبت لنا اعتناء ابن باديس بهذا السلوك الأخلاقي لتطبيقه في الواقع هو حرصه على نشر فكرة تعليم الفرد الإيمان الصحيح الذي يبدأ بتطهير العقائد من الشرك ، والأخلاق من الرذائل ، والأعمال من الإنحرافات ، بالكتاب والسنة ، وسيرة السلف الصالح ، للقضاء على جمود النظر ، واعتقاد الباطل ، والشك في العدل والحق ، وفساد الإدراك وشبح التقليد الأعمى ، ووهم القلق ، والغوض في الأعمال بعد انحطاط الصفات الحسنة (2) ، وفكر في القضاء على أعمال المشركين والمنحرفين على أفكارهم وتصرفاتهم ، بصفة خاصة الذين يعتقد فيهم الفرد الصلاح والنفع من الأحياء والأموات لإعطاء النسل ، وجلب الخير ، وكذلك الذين يذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب ، والناس الذين يحلفون بالله ثم يكذبون ويحلفون بمن يمجدونهم ويعظمونهم من الأموات والأحياء فلايكذبون ، قال ابن باديس عن الكثير من الصالحين رحمهم الله عندما شيدت عليهم القباب وقصد إليها الناس لقضاء والحاجات بأنهم ((برآءمن إثم ذلك كله وإنما إثمه على فاعليه)) (3) .

ورأى ابن باديس أن عملية إفناء عبادة الأوثان وإبعاد الفرد عن التوجيه بشيء من دعائه لغير الله ، وجعل تصرفاته منبعثة من قوة الإيمان بالله ، أساسها القضاء على الكلمات التي تجعل كلمة الله مهجورة ومنسية وثقيلة على أسماع الفرد ، والتي تعني أن مانقوم به هو بمشيئة الله وتصرف الشيخ الغلاني ((فإلى التوحيد أيها المسلمون ، وإلى الارشاد أيها العاملون .)) (4) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 64 .
(2) ن م ، ص 226 .
(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 187 .
(4) عبدالحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 114 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن ضرورة اجتناب الكلام السيء واتباع محصل السعادة والسلام بالقول الحسن ، المسلك الصحيح للقاء الانسان مع ربه في كل العبادات والمعاملات ، لأن كلمة السوء والشر تتردد على الشفاه بعد أن يتم الإبتعاد عن استعمال العقل والرؤية عند كل كلمة تقال ، وخطر السوء بالكلام هو العائق الأول في قيام إيمان الفرد بالله على الأدب الاسلامي ((فحذر الله تعالى عباده من كيده حتى يحترسوا منه إذا تكلموا ، واذا سمعوا فيتباعدون عما فيه احتمال السوء ، فضلا عن صريحه ويحملون الكلام على وجه الحسن عند احتماله له ، ويتجاوزون عن سيئه الصريح ماأمكن التجاوز)) (1) .

ولم يهمل ابن باديس إبراز الظواهر المختلفة التي تجعل الفرد يعرف ويتمسك بالمظاهر والأعمال البعيدة عن القيم الأخلاقية الإسلامية ، بتشخيصه أسباب هجر أبناء الأمة الإسلامية للقرآن الكريم والسنة النبوية بعد أن أدخلوا فيهما أعمالا أبعدتهما غاية البعد عن روح الإسلام ، فلم يفهموا الشرائع والأحكام الإلهيه في هداية القرآن ، وابتدعوا كلاما ليس له صلة بالقرآن والسنة وتخلوا عن التفقه فيهما ((فالمسلمون التابعون لنبيهم — صلى الله عليه وآله وسلم — كما يدعون إلى الله على بصيرة ، وينزهونه يباينون المشركين فى عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم ، يطرحون الشرك بجميع وجوهه ، ويعلنون براءتهم وانتفاءهم من المشركين)) (2) ، ثم بين أن المؤمن الصالح يعتمد على الأدلة التي تثبت اليقين ، يقرأ القرآن ويطبق أصول أحكامه وأمهات مسائل الحلال والحرام دون أن يتأثر بالفروع الفقهية الجافة ، ويجعل سلوكه متحليا بالأخلاق الإسلامية وغير ممتزج بالغلو والتنطع والبدع ، يتأمل فى الكون وفي عجائبه ومصادر النعمة ، ويفكر في آيات القرآن (3) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 175 ، 176 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 531 .

(3) ن م ، ص 282 ، 283 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستنتج مما سبق أن الدعوة الإسلامية الصحيحة التي كان يهدف إليها ابن باديس في المجتمع الجزائري تكون بالعلوم التي تفقه الفرد في الدين ، وتعرفه بعظمة الله ، لأن العلم الإلهي أساس سائر العلوم للإستدلال على وجود الله ، ووحدانيته ، وعلمه ، وحكمته ، ورحمته ، للقضاء على الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه ، ولتقريب المسلم إلى أصل دينه ((فالفقيه الذي يبين حكم الله وحكمته ، داع الى الله ، والطبيب المشرح الذي يبين حقائق العضو ومنفعته داع إلى الله . ومثلها كل مبين في علم وعمل.)) (1) ، لإبعاد الشبه عن الإسلام بإبراز حججه ونشر فضائله وقيمه الأخلاقية ، وليتمسك الفرد بضرورة رؤية حكم الله قبل فعل أي شيء بعد أن يكون قد آمن بما جاء في الوحي في مجالس الوعظ والتذكير .

وأساس الدعوة عند ابن باديس للتغلب على المشاكل التي تعترضها هو تربية الفرد بالعقائد والأخلاق ، وتحبيبه للأعمال الصالحة ، وتحذيره من المحدثات التي تسبب الشقاوة والشر ، وتوجيهه إلى مسلك تطبيق ما دعاه إليه الإسلام مع ترك الأسباب التي تشقى بها البشرية ((فالمسلمون أفراد وجماعات ، عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله ، وأن تكون دعوتهم على بينة وحجة وايمان ويقين ، وأن تكون دعوتهم وفقا لدعوته وتبعا لها.)) (2) ، لكن مع التفريق بين الصادقين والكاذبين ((الصادق يعتمد على الحجة والبرهان ، فلا تجد في كلامه كذبا ولا تلبيسا ولا ادعاء مجردا ، ولا تقع من سلوكه في دعوته على السواء ولا تناقض ولا اضطراب .)) (3) .

هكذا ، أراد ابن باديس أن يكون الفرد بعيدا عن اتباع أهوائه ومألوفاته ، وعن الظلام وكل حالات الكفر والإنكار ، بالإرشاد والحكمة والعلم والإحسان ، لأن حالات الشبهات وثورات الشهوات تجعله لا يتبع هداية الله بل يأخذ طريق الزيغ والضلال (4) ((فالعبد

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 525 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 525 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 528 .
(4) ن م ، ص 551 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محتاج دئما إلى كتاب الله ، وماثبت عن سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليهتدي إلى مايرضي الله ، مما شرعه له من أحواله وأفعاله ، والى مايدفع عنه شبهاته ، وينقذه من شهواته ،ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما ، وذلك الإتباع لهما إلى الله ، ليفتح له أبواب المعرفة ، ويمد له أسباب التوفيق.)) (1) .

ويبرز لنا تفكير ابن باديس الخاص بالبعد الإسلامي للمجتمع الجزائري ببعده الأخلاقي في الطريقة والأساليب التي تطور الشخصية الوطنية بأصول الإسلام في العقائد والأخلاق والأعمال ، وبمفهوم الإسلام الذي يمجد الفكر ويحث على الإجتهاد ، ويطور الشخصية الوطنية (2) ((فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه واذا عرضت شبهة أوورد اعتراض طلبنا فيه الرد والابطال واذا نزلت نازلة طلبناه فيها حكمها.)) (3) .

نستنتج مما سبق أن قاعدة الإصلاح العقائدي عند ابن باديس تتشخص في دعوة المسلم إلى مادعا إليه الاسلام بشرح أحكامه من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، وابعاده عن الطرائق الكلامية المعقدة ، بالانفراد للرب ، والتفكير في مخلوقاته ومافيها من نعم وحكم ومعجزات ، وقراءة القرآن باللسان والقلب لأجل فهم الشرائع الإلهية (4) ((فليعلم إخواننا المسلمون أن الإسلام دين له عقائد وأخلاق وأحكام وأن على المسلم أن يعرف من ذلك ، ألا يكون المسلم مسلما إلا به وأن عليه أن يقوم بذلك في أهله وبنيه وبناته ومن في رعايته وكفالته ، وليعلموا أن من لم يعرف شيئا من ذلك ليس له من الإسلام إلا اسمه وأنه لايجني من ثمرات الإسلام مايكون عضوا حيا في جسد الإسلام وأنه لا يرجى منه المسلمين أدنى خير وأنه ينقلب شرا على الإسلام والمسلمين بعرض قليل يلوح له به.)) (5) .

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 554 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، أيها المسلمون احفظوا الاسلام على ابنائكم اذا كنتم مسلمين ، الصراط ، العدد 04 ، الجزائر 09 اكتوبر 1933 ، ص 01 .

(3) تفسير ابن باديس ، م س ، ص 295.

(4) ن م ، ص 38 ، 39 ، 42 .

(5) عبدالحميد بن باديس ، الصراط ، العدد 04 ، م س ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهدف الذي حدده ابن باديس بشمولية هو جعل الفرد يعرف مفهوم الإسلام وتطبيقاته عند المسلمين والكفار ((ففي ذلك ما يثبت القلوب ويعين على التهذيب، ويبعث على القدوة وينفخ روح الحياة.)) (1) ، لأن الانسان عندما يكون شديد الشعور بالله ، لا يميل إلى غرائزه، ولا يستجيب لمطالب النفس الأمارة بالسوء ، ولا يكون ميتا على كتاب الله ويحقق السعادة التي تصون المجتمع من الخرافات والأضاليل ((فمما تقدم يستنتج كل منصف أن الإسلام يبدل العقول من الجمود إلى النظر ، والأفكار من الأوهام إلى الحقائق والأخلاق من الهمجية إلى الكمال ، والأمم من الإنحطاط إلى المدنية والرقي.)) (2) .

ان البعد الأخلاقي الذي حدده ابن باديس بالإصلاح العقائدي له انعكاسات على تفكير الانسان وحياة المجتمع بقوة الايمان والمنطق والتقييم ، ونجد هذا البعد حسب رأيه يتمثل في إبعاد النشء عن تتبع ماوجده بعيدا عن مانا له الإنسان من تفكير وماوهب من عقل ، ليعرف القيم الأخلاقية والمثل العليا في الحياة ، بنظرة لاتفصل الإسلام عن العلم ، ولا تقيم العلم بقيمة أرفع من الإسلام (3) .

وقسم ابن باديس منهج فهم الإسلام إلى قسمين الأول سماه بالوراثي ، يؤخذ بدون نظر وتفكير (4) ، لا يسمح للفرد استيعاب رسالة الإسلام في إطارها العام ، ولن يفهمها كوحي ، ولا يدرك أهدافها ، ولا يقف على مبادئها بعد الإعتقاد بها ((الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم ، لأن الأمم لاتنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتفتح أنظارها.)) (5) .

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 79 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، الفكرة الإسلامية ، الشهاب ، العدد 09 ، قسنطينة ، 07 ديسمبر 1925 ، ص 04 .

(3) تفسير ابن باديس ، م س ، ص 149 وما يليها .

(4) ، (5) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 241 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقسم الثاني هو الذاتي ، يبنى على الفكر والنظر ، يكون به التعبير الصادق الخاص بالإصلاح العقائدي بعد أن يتزود الفرد بطاقات الإيمان بالله والحرص على البقاء في المستوى الفاضل بالتفكير والتدبر والإدراك لأدلة الأحكام ((اذا إ فنحن ـ المسلمين ـ مطالبون دينيا بأن نكون مسلمين إسلاما ذاتيا.)) (1) .

وبناء على ماتقدم يتبين لنا أن ابن باديس هدف إلى ثبات ربط صلة الجزائري بالقيم الأخلاقية الإسلامية وبالحضارة العربية الإسلامية ، ولابعاد فكرة تهميش الإسلام عن مجال حياة المجتمع الجزائري ، ولنشر السلوك الرفيع وآدابه ، وليكون الفرد ذا عزم وارادة على تطبيق مايجب عليه عمله في بيئته الاجتماعية بالحكمة والعلم في ظل توازن روحي ونفسي وفكري .

2) الإصلاح العقلي :

أعطى ابن باديس قيمة خاصة للعلم ، وعرفه تعريفا أخلاقيا ، فقال : ((والعلم ، إدراك جازم مطابق للواقع عن بيئة ، سواء أكانت البينة حسا ومشاهدة ، أو كانت كدلالة الأثر على المؤثر والصنعة على الصانع . فاذا لم تبلغ البينة بالادراك رتبة الجزم فهو ظن . هذا هو الأصل . ويطلق العلم أيضا على مايكاد يقارب الجزم ويضعف احتمال النقيض جدا.)) (2) .

نستنتج من هذا التعريف أن ابن باديس قد رأى في العلم السبيل الصحيح لظهور التقدم وانتشار المعرفة بجميع أنواعها في عالمي المحسوس والمعقول وقسمي العلم والآداب ، ويقف الفرد خاشعا ومتذكرا أمام معجزة القرآن العلمية مهما ترقى في العلم وتقدم في العرفان (3) ، وتكون معلوماته الكثيرة مثمرة بعد إدراك العلل والخصائص واستغلال المضمون بالعقل الذي يبصر بعيوب النفس ، ينظر

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 242 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص 150 . وآثاره ، ج 1 ، م س ، 262 .

(3) تفسير ابن باديس ، ص 60 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصحح ، يستدرك ويكتشف ، وينير بالتفكير في معلوماته وعلمه ، لأن العجب أصل الهلاك ، يبعده عن التفكير في الظواهر الطبيعية والنظر في العلوم الانسانية ((إذا أعجب المرء بنفسه عمي عن نقائصها ، فلا يسعى في إزالتها ، ولهي عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها ، فعاش ولا أخلاق له ، مصدرا لكل شر ، بعيدا عن كل خير.)) (1) .

وتبين لابن باديس أن العقل لا ينجح في نشر مادعا إليه الإسلام بالفكر والرحمة وتناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويجر إلى الثغرة إلا إذا أخذ الحكمة من تاريخ المسلمين الحضاري ، الذين تقدموا في الحضارة و التحضر حتى سادوا العالم ، وتطوروا بالعلم بعد أن تمسكوا بكل أسبابها بأمر دينهم في التمسك بصحة واستقامة وتنظيم الإدراك للأمور ، بالارتفاع عن مستوى التأثر السلبي الخاص بالعمل في أمور الدين والدنيا بغير علم (2) ، ويتم تحقيق القاعدة الأساسية التي تساعد الفرد على التفكير واكتشاف المجهولات وادراك حقائق المعلومات لكي لا تتلاشى من الذهن ، بتقريبه إلى الله بمكتشفاته ومكتشفات من تقدمه ، لتصبح مادته واكتشافاته واستنباطاته العلمية قوة علمية أخلاقية تساعد مجتمعه على تجاوز طور الإنحطاط ، بتعليم القراءة والكتابة والدين واللغة والتاريخ في المساجد والمدارس رغم التهديد والوعيد (3) ((ان الله تعالى أعطانا العقل ، الذي به ندرك الآيات التي نصبها لنا ، لنستدل بها على وجوده ووحدانيته وقدرته ، وعلمه وحكمته ، ولطفه ورحمته ، وبالنظر في هذه الآيات نصل — بتيسير الله — بعقولنا إلى إدراك بدائع عجيبة ، وأسرار غريبة ، ماتزال تتجلى لنا مادمنا نتأمل فيها . ومايزال الإنسان يكتشف منها حقائق مضت عليها أزمان ، وهو يعدها من المحال ، ويجتني منها فوائد ماكانت تخطر له — في أحقابه الماضية — على بال.)) (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، م س ، ص 164 .
(2) ن م ، ص 82 .
(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 190 ، 243 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص 569 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستنتج مما سبق ان ابن باديس فكر في أهمية توجيه تفكير الفرد ليخدم كل الأمور المفيدة ، ليصل إلى درجة التمدن والرقي ليسير مع العصر بما يناسب أسباب الحياة الفاضلة وطرق المعاملة الحسنة ودفع الظلم والإعتداء (1) ، ليكون عصريا في فكره وعمله ، بعيدا عن التوحش ، ينظر للحياة نظرة الإستقرار ، ويقاوم الخرافات التي تكون قد تراكمت في القلوب والعقول .

وركز ابن باديس على شيء هام يخص العقل عندما يقف عاجزا أمام بعض أسرار الخلق ، والقدر والشرع ، فكر في جعل الفرد هو الناظر في خلق الله وقدره وشرعه وآياته ، ليكون علمه وعمله في خلق الله بالبحث والاكتشاف والتحليل والاستنباط واستجلاء الحقائق الكونية واستخراج الفوائد العلمية والأخلاقية ، والمنهج الذي ظهر له صالحا لهذا الموضوع يتمثل في فهم نصوص الآيات والأحاديث ومقاصد الشرع وآثار أئمة السلف ، لمعرفة الأحكام والعقائد والآداب ((حتى اذا بلغ الى حكم لم يعرف حكمته وقضاء لم يدر علته ذكر عجزه فوقف عنده فلم يكن من المرتابين ولا من المتكلفين . ولم يمنعه عجزه عن تعليل وتبين وجه ذلك القليل عن المضي في التفهم والتدبر لما بقي له من الكثير.)) (2) .

إذن كان ابن باديس مهتما بفكرة إبعاد التقليد الأعمى عن مجتمعه ، لأن الإنسان الذي يتبع ماليس به علم يعتقد الباطل ، وسلوكه يصبح ممزوجا بالأوهام والشكوك والخرافات والضلالات ، لا يربط عمله بالعلوم وصحيح الإعتقادات ((نهينا عن أن نتبع ماليس لنا به علم ، فالذي نتبعه هو مالنا به علم ، أي لنا به علم يقتضي اتباعه ، بأن يكون من عقائد الحق ، وأقوال الصدق ، وأفعال السداد: فأما ماكان من عقائد الحق في أمر الدين ، أوفي أمر الدنيا ، فلاحظر في اعتقاد شيء منه وأما ماكان من أفعال السداد فكذلك.)) (3) ، لكن على أهل العلم

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 178 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . . ، م س ، ص 474 .

(3) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 156 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجب القيام بتعليم العامة لعقائدها الدينية الاسلامية بأدلة عقائد القرآن الكريم (1) .

لم ينكر ابن باديس ضرورة الاجتهاد في مجتمعه بتفهم وتدبر آيات القرآن الكريم ، وبإدراك تنبيهاته ووجوه دلالاته ، ليكون المجتهد صاحب حكمة وموعظة حسنة ، يفهم القرآن ككتاب وهداية ، ويقاوم ظلم الاستعمار (2) ، ويجابه ويتحدى خصوم الإسلام ولغة الإسلام (3)، يقول ابن باديس عن حكم المجتهد : ((... هو متبع العلم ، وذلك من ثلاثة وجوه : الأول: أن كل دليل يكون ظنيا بمفرده ـ يصير يقينا إذا عرض على كليات الشرع ومقاصده ، وشهدت له الصواب ، وهذا هو شأن المجتهدين في الأدلة الفردية .

الوجه الثاني : أن المجتهد يعتمد في الأخذ بالأدلة الظنية لما له من علم بالأدلة الشرعية الدالة على اعتبارها .

الوجه الثالث : أن تلك الأدلة بمفردها تفيد الظن القوي ، الذي يكون جزما ويسمى ـ كما تقدم ـ علما ، فما اتبع المجتهد إلا العلم.)) (4) .

نستنتج من قوله أنه كان يهدف إلى جعل الفرد يتبع الاجتهاد الذي يعتمد على البرهان اليقيني ويقوم على الدليل القاطع ، يؤمن بالعلم ويرجع إلى القرآن دون أن يستغني عن العلم ويتهجم على ما جاء في الدين ((لقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ومما حكات المتكلمين ومناقضاتهم ، فما ازدادوا إلا شكا ، وما ازدادت قلوبهم إلا مرضا ، حتى رجع كثير منهم أواخر أيامهم إلى عقائد القرآن ، وأدلة القرآن فشفوا بعد ما كادوا كإمام الحرمين ، والفخر الرازي.)) (5) .

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ... م س ، ص 158 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 29 ، قسنطينة ، 03 جوان 1926 ، ص 01 .

(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 243 . والبصائر ، العدد 1 ، الجزائر ، 20 مارس 1936 ، ص 01 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. م س ، ص 159 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 293 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يترك ابن باديس العقل تائها بل بين له أن استجلاء الحقائق من آيات القرآن لا يدفعه إلى الإحاطة بكل الحقائق ، ومدركاتها لا تكون جميعها يقينيات ، لتجنب الفتنة بالمدركات ، ولكي لا يخرج بعلمه وعمله إلى إنكار الخالق ، وليعرف أن خطر الإعجاب بالعقل يدفعه إلى الظنون البعيدة عن اليقين والثوابت ((ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها ، وقد تشهد آثارها ، ولا تستطيع أن تعرف كنهها ، كحقيقة الكهرباء في الكون وحقيقة الروح والعقل في الانسان . فمثل هذه الحقائق المنغلقة التي يرتد عقل الإنسان إليه عنها خاسئا وهو حسير ـ هي التي تعرف بقدره ، وبعظمة هذا الكون ، وفخامة أمره ، فيقف بعقله إلى حد النظر والإعتبار ، والإستدلال ببديع الصنعة وعظيم النعمة على حكمة الله البالغة ، ومنته السابغة ، دون خلط للأوهام بالحقائق ، ولا فتنه بالمخلوق على الخالق.)) (1) .

يتضح لنا من قول ابن باديس أن إيقاف العقل عند حده ليس المقصود تجميده لكن تنبيهه إلى قدرة الله التي ليست كقدرتنا ، وليجمع بين النظر والاستدلال ، والتسليم والاذعان ويؤمن بالغيب فيما استتر ليكون ((عمله في قدر الله هو الإعتبار في تصاريف القدر ، والاتعاظ بأحوال البشر ، واستحصال قواعد الحياة من سير الحياة . فإذا رأى من تصاريف القدر مالم يعرفه وجهه ولم يتبين له ما فيه من عدل وحكمة واحسان ورحمة . فليذكر عجزه.)) (2) .

هكذا ، الهدف الذي حدده ابن باديس من الإصلاح العقلي يتمثل في جعل عقل الإنسان يزيد علما وايمانا ، ويسلم من الغرور والعجب والكبر والأوهام والفتنة ،

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 470 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 473 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكون على استعداد كامل لتلقي العلوم والمعارف ، يحترم العلم والعلماء ، ويبتعد عن الأنظار السطحية بالبحث عن الحقائق لسماع وإسماع الحق وقبوله من القرآن الكريم ((يتعلم الانسان حتى يصير عالما ، ويصير معلما ، ولكنه مهما حاز من العلم وبلغ من درجة فيه ، ومهما قضى من حياته في التعليم وتوسع فيه وتكمل ، فلن يزال بحاجة الى العلم ، ولن تزال أمامه فيما علمه أشياء مجهولة ، يحتاج إليها.)) (1) .

3) الإصلاح الاجتماعي :

بين ابن باديس أن الشريعة الإسلامية قد جاءت لإصلاح الفرد والمجتمع ، أقامت لهما كل الدلائل اليقينية على وجود الله ، للإيمان به على أنه الحقيقة المطلقة لا شك ولا وهم ولا ضلال فيها ، ولتملأ الثقة في النفس وفي المجتمع بالإعتقاد فيه القدرة على كل شيء بدون حد ، وليتسم لهما تجنب توهم العقبات في الكون وفي الحياة ويكون تركيزها على المدنية والعلم بالأخلاق والقضاء على أسباب الإنحطاط ، وبالإيمان القوي والتقوى دون البأس من روح الله (2) .

وأوضح ابن باديس أن المجتمع عندما يحدد غايته بعبادة الله وفضائل القرآن الكريم ، يظهر فيه التعاون أفرادا وجماعات ، يطهرون العقائد من الشرك ، ويبتعدون عن ظواهر انتشار الفساد وكثرة الظلم وجهل أسرار العلم وسوء الفهم للسلوك الحميد (3) .

وأساس الإصلاح الإجتماعي الذي اعتمد عليه ابن باديس ليحقق به هدفه الأخلاقي هو ضرورة تنظيم الأوقات في جميع أمور الحياة الإجتماعية ، ليضبط المجتمع أعماله ويكثر سعيه والاتقان ، ويجعل لكل عمل وقته ، وبذلك يعقلن أمر الأفراد والجماعات ،

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، . ، م س ، ص 576 .

(2) ن م ، ص 196 .

(3) ن م ، ص 197 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسهل عليهما القيام بالكثير من الأعمال حسب التقدم المتسارع ، ويدركون مافاتهم بتثقيف العقل بالعلم ، وتقويم الأخلاق بالسلوك النبوي ، وتقوية البدن بتنظيم الغذاء ، وربط العلم بالصنائع (1) .

اهتم ابن باديس بأهمية نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعه لضمان التوازن الإجتماعي ، ولتحقيق القدرة الخلقية التي تؤهل الفرد في المجتمع للتمسك بالأخلاق الإسلامية (2) ، التي لاتدفعه إلى الرهبانية والإستعلاء على العمران وحاجات المجتمع (3) ، وليعرف بأن بنيان مجتمعه يتكون من الأفراد ككل متكامل على اختلاف سنهم ومستواهم وفئاتهم ، فالكل له مكانته ودوره في سد الثغرة التي هي أمامه ((ألا ترى أصابعك فيها القوي وفيها الضعيف ، حتى إذا شبكتها عسر ليها ، وقوى أمرها فكذلك المؤمنون باتحادهم فيهم القوي وفيهم الضعيف تكون لهم قوة عامة زائدة وكل واحد منهم بمفرده يمكن قهره فأما إذا اتحدوا فإنهم يكونون بقوة اتحادهم في مأمن من كل قهر)) (4) .

إذن تكون المصلحة العامة حاضرة في المجتمع حسب رأي ابن باديس بعد استبعاد عوامل الاختلاف ، وعدم الاندفاع بالحوادث الطارئة ، لأن المجتمع الذي ينال حاجيات الحياة وأمور البقاء والتطور ، يقوم فيه كل واحد من أفراده ((بما عليه من حقوق نحو غيره الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس . وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده بل هي خدمته للمجتمع كله . وبالأحرى ، هي خدمة له هو نفسه ، لأنه جزء من المجتمع . وما يصيب الكل يعود على جزئه)) (5) ،

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 214 ، 215 ، 314 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير ، المطبعة الجزائرية الاسلامية ، قسنطينة 1948 ، ص 35 .

(3) تفسير ابن باديس . . . ، م س ، ص 38 ، 64 ، 249 ، 250 ، 259 ، الشهاب ، ج 10 ، 05 ، قسنطينة ، نوفمبر 1929 ، ص 01 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 101 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص 116 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتم هذا العمل بواجب ترويض الفرد على التحرر من الأنانية وابـزاز العطاء الذي به تتلاحـم تركيبة المجتمع (1) ، وبعبارة أخرى من الواجب أن لا يتحول العمل من أجل المصلحة العامة إلى نزعة فردية ، بل يجـب تسييره بالعقل المرشـد في المقومات والمميزات وفي الحقـــوق المدنية والاجتماعية والسياسية ((علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب ، أكيد محتـم علينا مع جميـع المؤمنـين ، وأن فيه قوتنا وحياتنا ، وفي تركه ضعفنا وموتنا ، وأن نعلن ذلـك بألسنتنـا في كل مناسبـة من أحاديثنا ، وأن نعمل على تحقيـق ذلك بالفعـل باتحادنـا وتعاوننـا مع إخواننا في كل ما يقتضيـه وصف الإيمان الجامع العام.)) (2) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس كان يهدف إلى جعل الصدق أساس السلوك في المجتمع (3) ، ليبعد الفرد عن كل ماهو مذموم ويوصل إلى الشر والانبعاث فيه ، بالعمل الجماعي الذي يدفع الأفراد إلى الإحسان والبر والأعمال المستقيمـة البعيدة عن ارتكاب العظائم (4) ، لنشر الأخلاق في الإيمان والفكر واللسان والعمل ، في الجليل والحقير ، في أمور الدين والعلم ، وليسير سلوك المجتمع في الخط الذي رسمه الإسلام ، وحددته الشخصية الوطنية (5) .

غير أن تحقيق هذا الهدف جعل ابن باديس يبرز مفهوم حق المجتمع الجزائري الذي لا يتشخص في الأكل وتحسين مستوى المعيشة بل برفع المستوى العلمي والأدبي لكل الجزائريين ، وإحياء عشقهم للحرية لإعادة حمل لوائها ((ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الابد ، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تـــزداد تقلبـا مع التاريـخ.)) (6) .

---

(1) الشهاب ، ج 3 ، م 12 ، قسنطينة ، جوان 1936 ، ص 141 ، 142 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 102 .
(3) ن م ، ص 117 .
(4) ن م ، ص 116 .
(5) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 280 ، 281 . وتفسير ابن باديس .. ، م س ، ص 172 .
(6) آثاره ، ج 3 ، ص 320 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا الإطار حدد ابن باديس هدفه في توجيه مجتمعه إلى المستوى الذي يجعله يختار حقوقه ، بإحياء الواجب الوطني الذي يدفع الأفراد والجماعات إلى تحقيق مطالب الوطن وليس الخضوع لما يطلبه الاستعمار وتميل إليه الغرائز ((والإخلاص أن تعمل لوطنك ولو أنكرك وأنكر عملك أبناء وطنك ، وتكريس العمل أن تكون جميع أعمالك عائدة بالخير على وطنك فتستطيع أن تنفع الناس كلهم دون أن تضر بوطنك فتكون قد خدمت وطنك بما زرعت له من محبة في قلوب من أحسنت إليهم من الناس.)) (1) .

إذن أراد ابن باديس أن يحيا مجتمعه حياة اجتماعية جزائرية تتوحد بها الجهود والمقاصد، تشمل الرجل والمرأة ، لا يسير إليها أي أحد إلا من طريق احترام الشخصية الوطنية والتمسك بمقوماتها (2) ، بإحياء دور الإسلام الإجتماعي ، ونشر فكرة فعالية اللغة العربية كأداة للتفكير والتعبير ، وتعميم المفهوم الصحيح للتاريخ الجزائري على كل الجزائريين ، لتهيئة الظروف التي تساعد على تحقيق الإصلاح والتحول الإجتماعي بالخضوع لمتطلبات سيادة الوطن الجزائري ، لأن تغيير البنيات الاجتماعية والثقافية وطرق التفكير ، وتقويم العادات والأخلاق يتمان بالعمل الكبير الذي يقوي الشعور الحي والإحساس الطاهر والحكم الصادق ويدفع المجتمع لعظائم الأمور ((... فقد نفضت الأمة عن رأسها غبار الذل وأخذت تنازل وتناضل وتدافع وتعارض . وشعرت بوحدتها فأخذت تطرح تلك الفوارق الباطلة ، وتتحلى بحلل الأخوة الحقة ، وتنضوي أفواجا تحت راية الإسلام والعروبة والجزائر .)) (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 228 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد 07 ، الجزائر ، 30 اكتوبر 1933 ، ص 06 . وآثاره ج 3 ، م س ، ص 243 ، 352 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، ص 212 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هدف الإصلاح الاجتماعي عند ابن باديس هو حفظ كرامة المجتمع الجزائري ، وصيانة استقلاله ، وجعله يستقر في الإعتقاد الصحيح والنظرة السليمة للحياة ، بالاسلام والشخصية الوطنية ، بالإعتماد على الذات وابراز الوحدة بين الأفراد والجماعات في كل جهات الوطن ((نقصد بالحياة الإجتماعية مظاهر القوة أو الضعف في الأمة من آداب قائمة وأخلاق فاضلة ثابتة وتقاليد جارية ومعاملات مستمرة وشعور حي في الأفراد والجماعات.)) (1) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس حدد مجموعة من القيم الأخلاقية خاصة بالإصلاح الاجتماعي ، وهي كما يلي :

1 ـ مصدر المعرفة الصحيحة واليقين هو الإيمان بالله وبوحي رسالة الاسلام .

2 ـ السلوك الخلقي في المجتمع ينبع من الدين الاسلامي ومثالية العقل الانساني .

3 ـ علاقة الأفراد بعضهم ببعض أساسها هداية الله لأن القرآن الكريم ضد إفناء دور الفرد في المجتمع بين له الحكم الصحيح عند اختلافه مع الأفراد والجماعات في العمل الصالح .

4 ـ من حق المجتمع الجزائري أن يفتش عن أسباب الضعف فيه للتفوق في العلم وفي مجال الطبيعة ، وعن عوامل وجود الاستعمار الفرنسي للقضاء عليه وللأخذ بأسباب القوة .

وخلاصة القول أن هدف الأخلاق عند ابن باديس هو إبعاد الغلو عن الفقه في الدين وفي الكتاب والسنة ، بملازمة مجالس الطاعة والإرشاد ، ومحاربة الجمود والخمول في المجتمع ، للسيطرة على المادة وأنواع الأحياء ، وللنظر في جميع المحسوسات ،

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، في الحياة الاجتماعية ، الشهاب ، ج 01 ، م 12 ، قسنطينة ، أفريل 1936 ، ص 07 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للوصول إلى تحصيل المجهول من المعلوم ، وتأكيد تمسك المجتمع الجزائري بالاسلام وثقافته الوطنية على ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية والتطورات العلمية في الحياة المعاصرة .

خلاصة الباب الاول
=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =

من خلال ماتقدم من محاولة إبراز الأخلاق النظرية عند ابن باديس انتهيت إلى نتيجة هي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس رأى ضرورة الربط بين الأخلاق الدينية والأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية ، وأخلاق السياسية ، وأن نظرته إلى معنى الأخلاق كانت أخلاقية إسلامية وطنية ، وأفكاره كانت معتمدة على البرهان العقلي بأحكام القرآن الكريم ، واستند إلى التاريخ الإسلامي ، فاستفاد من السلف الصالح وشخص المصادر التي اعتمد عليها بمنهج تحليلي أساسه الأخلاق الإسلامية والعلم والثقافة العربية الإسلامية .

وقد قام ابن باديس بتحليل الأخلاق كما صورها القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ويعمل الاستعمار على تحريفها وإبعادها عن أهدافه في الحياة ، فسلك طريقة أخلاقية خاصة في طرحها وشرحها ملائمة لواقع مجتمعه المستعمر ، واستطاع بمنهجية إبراز هدف تقوية صلة المسلم بالإسلام ، ووفق في الجمع بين الدين والسياسة وبين العلم والأخلاق لتغيير وضع المجتمع الجزائري بالتوجيه الإسلامي الذي يربط بين الفرد والله تعالى ويكون له الأثر الأخلاقي في علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، بالإبتعاد عن الأفكار الخاطئة والجمود في التمسك بالقيم الأخلاقية الاسلامية .

وبوجه عام فإن الأخلاق النظرية الباديسية تعتبر في نظري تجديدا لفعالية مقومات الشخصية الجزائرية ، ولاحتضان القيم الأسلامية والدفاع عنها .

إذن ماهي الوسائل التي استعملها ابن باديس لتطبيق هدفه الأخلاقي ؟ وكيف كانت مواقفه الأخلاقية في السياسة والدين والثقافة التي نستطيع بها معرفة البيئة التي طبق فيها هدفه ولو نسبيا ؟ هذا ماسنحلله في الباب الثاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البـــــاب الثـــانـــي :

الأخــلاق العمليــة عنــد الامام عبد الحميــد بن باديـــس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس :

وسائل الأخلاق العملية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدرك ابن باديس طبيعة الضعف الذي أصاب المجتمع الجزائري ، والقيم الأخلاقية الإسلامية التي تربي الغرد على فكرة صحيحة وتبعده عن دائرة المجتمعات البعيدة عن التطور والسير وفق متطلبات العصر (1) ، واعتمد على وسائل أخلاقية عملية وهي التربية والتعليم ، والصحافة ، والمسجد ، لأن تلك المرحلة فرضت عليه إعطاء الأولوية لإبراز هوية الجزائر ودفع النغرة التي أرادتها فرنسا بين الجزائريين ((والشيخ عبد الحميد بن باديس من المدرسة التي ترى أن الإصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أن الأخلاق تنبع من الداخل ، وأن الوسيلة هي تطهير القلوب ، وتغيير النغوس ، وهذا يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية.)) (2) .

ولم ينكر ابن باديس أهمية وضرورة ودور المؤسسات الاجتماعية بمحركها ومسيرها ((الغرد)) ، بمجموعة من المتطلبات في الميادين الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لأن إصلاح الغرد بجميع مقومات مجتمعه لا يكون صحيحا إلا إذا كان عميق الجذور في أوساط مختلف الغئات وهذه الأخيرة بدورها لا تستطيع التمسك بالقيم الأخلاقية إلا إذا توفرت لها المساجد والمدارس والعلماء والإمكانات المادية وكل الوسائل التي تضع في الحسبان ظروف الاستعمار الصعبة .

سلك ابن باديس بوسائل الأخلاق العملية طريقين وهما :

1 ـ إصلاح أخلاق الغرد من الشرك والفساد والخرافات .

2 ـ إصلاح الغرد من آثار سياسة التجهيل والتنصير والفرنسة ((أما من جهة الأخلاق فقد أحيا للجزائريين أخلاقهم الإسلامية ، واستنبطها من القرآن الكريم ، وعالج بها آفاتهم العائلية والاجتماعية وأصلح بها نفوسهم.)) (3) .

---

(1) راجع خطاب الرئيس في عام 1937 ، كتاب قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 161 الى ص 166 .

(2) د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، ص 100 ، 101 .

(3) د . محمود قاسم ، الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، م س ، ص 86 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 ـ التربيـة والتعلـيم :

بدأ ابن باديس نشاطه التربـوي بعد رجوعـه من الحجـاز ، فاتخذ من الجـامع الأخضر ومسجد سيدى قموش ، ومسجد سيدى بومعزة وسيدي عبد المؤمن ، ومدرسـة التربية والتعليـم وكتاب سيدى فتح الله (1) مركزا للتربيـة والتعليم ، وأول خطوة قـام بها تتمثل في دعـوة العلمـاء إلى التعلـيم السني السلفي ، للتجديد والاصلاح دون طلب المنزلة (2) ، ولاحياء القلوب والتنـاصح بالعلم ، لأنه قصد بالوحدة بينهم تبـادل المعلومات والمعارف وما وصـل إليه تفكيرهم ، بالتنـاصح والتشـاور ، وبالعلم في التفقـه ، لمعرفة معنى الفكرة والحادثة وأصلها وصحة وجهها ، بعد تجاوز الإختلافات في منهج التعليم ، وفي الأهداف المحـددة وفي طريقة التأثـر بالسلف الصالح ، وفي تشخيص الظواهر والآفات التي يعاني منها المجتمع الجزائري ((حق علينا ــ معشر الجزائريين ــ اليم أن نتدبر تلك العبر وأن نزدجر عمـا في مصائب الفرقـة من خطر ، فقد قامت بين كتابنا خلافات في مسائل دينيـة أدت إلـى افتراقات حزبيـة ، حتى خرجت ببعض الكتاب من الجانبـين إلى مراماة بسهام الشتائم وقذائف السباب ، مما لا ترضيه مـروءة ، ولا يسيغة عقل ولا دين.)) (3) .

كان ابن باديس يعلم طول النهار البنين والبنات الذين لا يذهبون إلى المدارس الفرنسيـة جميع المواد الثقافيـة والتثقيفيـة ، وساعة ونصف ساعة للتلاميذ الذين يتعلمون في المـدارس الفرنسيـة أيام الاحد والخميـس التى كانت أيام الراحة للمدرسة الفرنسيـة ، وكان يقـدم صبيحـة يوم الأحـد دروسـا دينيـة اجتماعيـة وطنيـة للعمـال .

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 190 . ود . عمار الطالبي ، ج 1 ، ص 141 .

(2) راجع شعر ابن باديس ((السياسة في نظر العلماء)) ، الشهاب ، ج 6 ، م 13 ، قسنطينة ، أوت 1937 ، ص 1 . ونداء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، البصائر ، العدد 32 ، الجزائر ، 28 أوت 1936 ، ص 01 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، دعوة الى الحسنى هل من مجيب ؟ ، الشهاب ، العدد 102 ، قسنطينة ، 23 جوان 1927 ، ص 02 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأسس عبد الحميد بن باديس مع مجموعة من العلماء مكتبا للتعليم الإبتدائي في مسجد سيدي بومعزة ، وبعد مدة حول المقر إلى بناية الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة 1917 ، ثم تحول هذا المكتب إلى جمعية التربية والتعليم الإسلامية في مارس 1931 ، فكان قانونها الأساسي الذي حرره ابن باديس ينص في مادته الثالثة على أهمية إرسال التلاميذ على حساب الجمعية إلى المعامل الكبرى والكليات ، وتأسيس مكتب خاص بالتعليم وناد للمحاضرات ومعمل خاص للصنائع (1) ، وينص كذلك بأن الذكور يدفعون حسب طاقاتهم أجور التعليم أما الإناث يتعلمون مجانا .

قام ابن باديس قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمهمة التعليم الديني واللغوي والاجتماعي في المساجد بالمحاضرات والدروس والحوار المباشر حول المواضيع المطروحة ، وأهم المواد التي كان يدرسها هي الأدب العربي ، وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وتفسير القرآن الكريم الذي أتم ختمه تدريسا بعد خمسة وعشرين عاما ، وشرح الحديث النبوي الشريف ، ووجه الفرد إلى التفقه في الدين ، وأرشده إلى الطريق الأخلاقي الذي يجنبه مصدر الشر وأساس الرذيلة بنور العقل الذي يبصره بعيوب النفس ونقائص بشريته (2) ، نهاه عن الشرك بعبادة الله بالقلب واللسان والجوارح ، وأبعده عن الخرافات التي كانت المانع من اكتساب الفضائل .

لقد كان ابن باديس واعيا بأن الاصلاح بالتربية والتعليم لن يكون سهلا مع الإدارة الفرنسية ولو على المدى القريب ، فجاء برخصة من عندها بواسطة كاتب عمالة قسنطينة ((آلم أريب)) (3) للحفاظ على سلامة الطلاب الوافدين على حلقات العلم من كل أنحاء القطر بعد أن أخذ درسا في معارضة نشاطه التربوي عن طريق مفتي قسنطينة المولود بن الموهوب (4) .

---

(1) د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، ص 114 .
(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 178 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 50 .
(4) د . عمار الطالبي ، ج 1 ، م س ، 111 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن المرحلة الأولى من أعمال ابن باديس التربوية (1914 — 1931) حدد فيها للفرد فكرة حب الوطن بعبادة الله وحده ، وبالتمسك في كل شيء بالشخصية الوطنية مع الاعتماد على التفكير والعلم ، لكن الذي يجب التركيز عليه هو أنه في عام 1930 حين انطلقت الاحتفالات بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر (1) ، كان ابن باديس يفكر في تجديد أساليب التربية والتعليم ، لتنمية الجوانب الدينية والوطنية والانسانية والارادية بعد أن روض الفرد على منهج الإيمان القوي بالله جل جلاله ، والإيمان بذاتية الجزائر، رغم أن الظروف لم تسمح له أن يكون حرا ، لأن العلماء انتخبوه رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من شهر ماي 1931 ، فظل يشغل هذا المنصب حتى وافته المنية يوم 16 افريل 1940 (2) ، ولم يرفض ثقل هذه المسؤولية ، لأنه أخذ درسا من التاريخ الاسلامي وهو أن سعادة وشقاء وارتفاع وانحطاط المسلمين يكمن في قيام العلماء بواجباتهم في الإصلاح (3) ، ووفاء بالعهد الذي قاله للشيخ الابراهيمي بالمدينة المنورة هو الالتزام بـ ((تربية النشء على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل .)) (4) تحت مسؤولية جمعية دينية تربوية تهذيبية .

إن هذه المسؤولية جعلت ابن باديس يركز على جعل الفرد يتفوق في الفقه على يد العلماء لأنه رأى الضعف يكمن في إهمال التعليم النبوي في شكله ومضمونه ، في مادته وصورته ، وجعل العالم يطبق التعليم السني السلفي ، ليسمع الشعب الجزائري بالمحاضرات والدروس والخطب الدينية منزلة القرآن والسنة ، لتوحيد الطائفة التي أعدها الإستعمار الفرنسي لخدمته، بتقريبها إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقيم الأخلاقية الإسلامية والأصول العامة للثقافة الإسلامية .

(1) راجع وقائع احتفالات فرنسا بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر في كتاب د . أبوالقاسم سعد الله ج 2 ، م س ، ص 327 .
(2) آثاره ، ج 2 ، ص 457 (راجع القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) .
(3) عبدالحميد بن باديس ، إلى علماء الزيتونة ، البصائر ، العدد 11 ، الجزائر ، 20 مارس 1936 ، ص01 .
(4) محمد البشير الابراهيمي ، أنا ، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، ماي 1985 ، م س ، ص21

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا العمـل فرض على ابن باديس إسناد مهام التدريس إلى طلبته الذين تخرجوا علـى يده بجامع الأخضر ، في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لتقويـة صلة الفـرد بالإسلام ووطنه ، بفهم سعادة أخذ أسباب الحياة بالفكر والعادات الحسنة والسلوك البعيد عن التواكل (1) ، وواصل تعلميه للصغار والكبار في المساجد ، بإلقـاء المحاضرات والدروس في مواضيع الفقه والثقافة العربية الإسلامية (2) ، لتعميق الإيمان بالله وليقيم الفرد بنفسـه علمـه وعملـه ثم يجعلهما نعمة على مجتمعه بعد تحطيمـه الحواجز والعقبات والتي تتمثـل في الشرك بالله والخلاف الذي يفرق المسلمين .

أدخل ابن باديس على التعليم المدرسي الحديث في مدارس جمعية العلماء المسلميـن الجزائرييـن المواد التاليـة :

ـ المنطـق والحسـاب .

ـ النحو والصرف والأخلاق الإسلامية والفرائض .

ـ الفقه على المذهب المالكي وأصول الفقـه .

ـ التاريخ والجغرافية والأناشيد الوطنيـة .

ـ تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (3) .

والكتـب التي استعملها في التدريس هي كما يلـي :

ـ القرآن الكريـم .

ـ الموطأ في الحديث للإمام مالك بن انـس .

ـ ديوان الحمـاسة لأبي تمـام .

ـ ديوان المتنبـي .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، العلماء والاصلاح الإسلامي ، البصائر ، العدد 11 ، الجزائر ، 13 أوت 1936 ، ص 01 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، التعليم في جامع الزيتونة ، الشهاب ، ج 08 ، م 11 ، قسنطينة ، نوفمبر 1935 ، ص 449 الى ص 453 .

(3) البصائر ، العدد 47 ، الجزائر ، 11 ديسمبر 1936 ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ مقدمة ابن خلـــدون .

ـ العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي .

ـ كتاب الشفاء للقاضي عياض ((لقد وضعت هذه الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللســان العربي وتكميل معلومات من تعلموا باللســان الأجنبي كما خصصت دروسا للكبار.)) (1) .

وطبق ابن باديس نظاما خاصا يراقب به التلاميذ في التحصيل العلمي كوسيلة تسهل التنظيم، وتساعد على تحقيق نتائج المضمـون التربوي الذي اعتمدت عليـه مدارس التعليم العربي الحر.

إن نظرة ابن باديس الأخلاقيـة الإسلامية الشاملة جعلته لا يهمل المرأة الجزائرية بل ينظر إليها بأفكار الأخلاق النسوية الإسلاميـة ، لأنها في عصره كانت نوعين : الأول يعرف القــراءة والكتابة ، والآخر متعلم بعض الشيء ((ان العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقتـــه في الخلقـة والتكليف وشركيته في البيت والحياة.)) (2) .

اهتم ابن باديس بتعليمها ليجعلها الكائن المتميز المتفوق في العلم بصورته النظريـــة العقلية في الواقع (3) ، وأمر المسلمين إرسال بناتهم إلى مدارس جمعية العلماء المسلميـــن الجزائريين ليتعلمن مجانا ، والأب الذي لم يرزقه الله جل جلالـه الإناث ، أمره بدفع أجـر البنت التي تتعلم القراءة والكتابـــة (4) .

نستنتج من هذا الموقف أن ابن باديس قد أدرك أهمية تزويد المرأة الجزائرية بطاقات جديدة هي طاقات الإيمان بالله والحفاظ على الدين واللغة والقومية الجـزائريـــة ، للحـــرص علـى البقـــاء الإســـلامي الفـاضــل ((فعلينـا أن نعلمهـا كـل ما تحتـاج

---

(1) آثاره ج 4 ، م س ، ص 332 .

(2) آثاره ، ج 3 ، ص 467 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، حق النساء في التعليم ، الشهاب ، ج 2 ، م 15 ، قسنطينة مارس 1939 ، ص 64 الى 66 .

(4) محمد الصالح رمضان ، تلميذ ابن باديس ، القبة (الجزائر) ، 12 ماي 1984 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه للقيام بوظيفتها ، وتربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لانصف رجل ونصف امرأة ، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها)) (1) .

علمها القراءة والكتابة لتكون جزائرية بدينها الاسلامي ولغتها العربية وقوميتها العربية الاسلامية ، وعرفها بحقائق الماضي وحاضرها (2) ، لأن المرأة ذات المستوى المقبول في العلم وغير المتمسكة بعناصر شخصيتها الوطنية لا تستطيع تربية أولادها تربية صالحة بحفظ أمانة الأجيال الماضية وتبليغها للأجيال الآتية ، فالأم الأمية عند ابن باديس ((خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها.)) (3) .

وحدد ابن باديس للمرأة برنامجا خاصا (4) بالمواد التالية :

- عقائد وأخلاق الاسلام .
- اللغة العربية .
- الكتابة والقراءة .
- حرف يدوية .
- مبادئ التربية ورعاية الطفولة .
- التدبير المنزلي .
- الحساب ، التاريخ ، الجغرافية (5) .

إذن بهذه المواد بين ابن باديس للمرأة الجزائرية عملها العظيم في الحياة ، في حسن تدبير المنزل والنفقة فيه وتربية النشء ((لا بقاء لأمة من الأمم إلا بانتظام أسرها وحفظ نسلها ، وقد خصص الله المرأة للقيام بهذين الأمرين العظمين ، وزودها

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 469 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 10 ، م 05 ، قسنطينة ، نوفمبر 1929 ، ص 13 ، 14 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 14 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 156 الى ص 159 .
وآثاره ، ج 2 ، م س ، ص 202 . والشهاب ، ج 3 ، م 05 ، قسنطينة ، أفريل 1939 ، ص 110 الى 112 .
(5) الشهاب ، ج 3 ، م 07 ، قسنطينة ، أوت 1931 ، ص 531 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الرحمة والشفقة ما يعينهـا عليهما ، وانما تقوم بهما إذا جمعت ما بين العفة في نفسها ، والاقتصـاد في نفقتها ، والتفرغ للقيام بأولادها.)) (1) ، وعلمها أخلاق النبي ـص ـ ، لإبعادها عن الفتن والانحرافات ، ولتحافظ على النسـل بالقضاء على الزنا (2) ، لأن توجيهه كان باسم هداية الله والتنوير، وكل مايرسمه العقل البشري الصادق الذي يحفظ المستقبل من الإنحطاط بالرجال العظماء والنساء العظميات (3) .

إذن تربية وتعليم المرأة عند ابن باديس السبيل الهام الذي يجعل جو العمل صالحـا ومثمرا بين الرجل وبينها كزوجة (4) ، وبهما تكون الأسرة الجزائرية غير متبقية في تخلفهـا وجمودها ، تتحرك في طريق مستقيم ، للسعي نحو تحقيـق غاية المجتمـع الجزائري في مرحلـة إستعماريـة كان فيها وجود المرأة محدودا في التربية والتعليم .

وبناء على تقدم نستنتج أن وسيلة التربية والتعليم التي استعملها ابن باديس اعتمدت على الإستخدام الأمثل للإمكانات المتاحـة ، للوصول إلى أفضل وأجود النتائج بأقل المـوارد الممكنـة (5) .

اهتم ابن باديس بهذه الوسيلة بدوره البارز المتمثل في إبعاد النشء عن العوامل التـي تجعله مقطوع الجذور ومفصول الحياة ، وفي ترويضه على التعامل الذكي مع واقعه المستعمـر المشخص، ليفهم مشكلـة الجزائر الواقعية ، ولم يهمل الجانب البيداغوجي الذي يجعل الفـرد غير بل عن ذاته ، لم يفصله عن ماضيه ، ولم يعزله عن مجتمع الكبار ، وأبعده عن المحيط الذي ينسيه جذوره الثقافية الاجتماعية ((إن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم أولغتهم أودينهـم أو تاريخهم أو شـي مـن مقـومـاتهـم . فهـي محـاولـة فاشلـة . . . والواقـع دل على هذا)) (6) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 164 .
(2) ن م ، ص 170 .
(3) الشهاب ، ج 8 ، م 11 ، قسنطينة ، نونمبر 1935 ، ص 449 .
(4) الشهاب ، ج 3 ، م 07 ، قسنطينة ، اوت 1931 ، ص 531 .
(5) الشهاب ، ج 8 ، م 10 ، قسنطينة ، جويلية 1934 ، ص 352 الى ص 369 .
(6) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد 66 ، الجزائر ، 07 جويلية 1937 ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمل ابن باديس بالتربية والتعليم لبناء بيئة تربوية جديدة تؤدي إلى بناء جيل جديد يقف في وجه القوة الاستعمارية الفرنسية بقيم أخلاقية متجددة ، لذلك كان نشاطه التربوي متصلا بالحياة والمجتمع ، لنقل التفكير من الجمود والخرافات والمجردات إلى الاطار المشخص الذي يجعله قادرا على قبول المقومات الثقافية والاجتماعية وفهمها وتطويرها برؤية ثقافية وحضارية .

طور ابن باديس البرامج ، وحسن المناهج ، وحارب مظاهر الكسل والنقص في السلوك العملي والأخلاقي ، وجعل قاعدة نشر العلم والفضيلة تتمثل في القيم التي كونت الأمة الجزائرية والحضارة العربية الإسلامية ، وفي العلم والقيم الروحية والفكرية والثقافية والقومية والإنسانية التي تقاوم الجهل والرذيلة .

وبين أن المدرسة التي أسستها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليست مجرد جهاز خاص بتلقين المعارف بمناهج تقليدية ، لكنها أداة فعالة لتحقيق تطوير السلوك الثقافي والحضاري الجزائري بأسس عميقة ، لاتقتصر على إخراج الفرد من الأمية بل تعلمه ليكون جزائريا عربيا مسلما يتفاعل مع اهتمامات أفراد مجتمعه المستعمر ، وليدرك متطلبات إخراجه من هذه المرحلة بتقدير التحديات التي تواجهه ((أجل ! إن شبابنا لا يفتأون في أيام الدراسة يبدون على غير وعي منهم من الحماس العظيم وقوة العزيمة وبعد النظر مايحملها على الإعتقاد بأنهم سيصبحون عامة النهوض وخير من أنجبتهم الجزائر ، وأقدر أناس على سد حاجات البلاد ، وتركها ترتع في بحبوحة السعادة.)) (1) .

تكفل ابن باديس بالتعليم الديني والتوجيه الأخلاقي السياسي (2) ، ووفر الشروط اللازمة في مدارس التعليم العربي الحر (3) للتثقيف والتكوين الديني السليم ،

(1) عبدالحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 172 ، قسنطينة ، نوفمبر 1928 ، ص 15 .
(2) عبدالحميد بن باديس ، الصراط ، العدد 03 ، الجزائر ، 25 ديسمبر 1933 ، ص 01 .
(3) راجع الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة والشروط اللازمة لهذا التعليم ، الصراط ، العدد 04 ، الجزائر ، 09 أكتوبر 1933 ، ص 03 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليكون الفرد متمكنا من علوم الدين ومتفهما لمشاكل الحياة ، فأعاد له دوره ومكانته الروحية وتماسكه مع مجتمعه ، وأعطاه حكمة العناصر الأساسية الخاصة بشخصيته الوطنية التي كونت وحدة مجتمعه وصانت الجميع من الضياع والتفتت ، لكي لا يستطيع الاستعمار الفرنسي بديانته المسيحية وثقافته الفرنسية يحل محل دعائم الوطن الجزائري في الماضي والحاضر وعلى وجه التحديد تجاه المستقبل في العرف والتقاليد والأخلاق ، لتكون حياته أخلاقية خالصة تحرص على مقاومة وإفناء القيم التي أرادها الاستعمار ، يقول ابن باديس عن مسؤولية العلماء في هذا الموضوع مايلي : ((مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة ، وأن حسابهم على ذلك لشديد طويل ، ذلك بما كتموا من دين الله ، وبما خافوا في نصرة الحق سواه ، وبما حفظوا على درجاتهم عنده ، وبما شحوا ببذل القليل من دنياهم فيما يرضيه ، وبما بذلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يغضبه ... ونصحوا لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم ، فقامت بهم حجة الله ، وتدوالت بهم أجيال المسلمين إرث النبوة ، واتصل بهم سند الحق . وانفضحت بهم شبه الباطل ، أولئك هم الطائفة لن تزال ظاهرة على الحق ...)) (1) .

وقام ابن باديس بالعمل على تعميم اللغة العربية لسان الأمة الجزائرية ، فاكتشف النشء نفسه من خلال استعماله لها كأداة للتفكير والتعبير بعد أن استفاد من عطاآتها في صيانة الثقافة الوطنية ، يقول ابن باديس عن الذين يتكلمون باللغة الفرنسية في الوقت الذي اكتسبت فيه اللغة العربية في مدارس التعليم العربي الحر القدرة على التعاطي مع العصر في الثقافة والعلم مايلي : ((ومارأيت أسخف من هؤلاء الذين يتكلمون الفرنسية لغير ضرورة كأنها لغة آبائهم وقومهم ولغة دينهم من غير أن يردهم

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، العلماء والإصلاح الاسلامي ، البصائر ، العدد 11 ، الجزائر ، 30 مارس 1936 ، ص 01 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن هذا الغنى لا دين ولا قوميـــة فإن كانوا مسلمين فالعربيـــة هي لغة الاسلام ، وان كانوا جزائريين وطنييـــن فالعربيـــة هي لغة الجزائر والعربيـــة هي أهم قوام للقومية الجزائرية .انكانوا يغيرون على دينهـم فليغيروا على العربية وان كانوا يخدمون دينهم ووطنهـم فليخدموا العربيـة واذا هؤلاء على هذا الحال فسيأتي يوم يصيرون فيه كاليهود لا لغة لهم ولا دين . ولا هم مسلمون جزائريون .)) (1) .

إذن تطوير وسيلة التربيـة والتعليم ورفع مستواها العلمي ونشر الوعي بأهميتهـا توقف عنـد ابن باديس الى حد كبير على ترتيب الامكانات الماديـة والطاقات البشريـة وتطـوير مضمون البرامج (2) وعلى التخطيط الدقيق الذي حدد به المدارس التي يجب إنشاؤها في كل أنحاء القطر لتتولى مهمة تكوين الفرد دينيـا وسياسيا وعلميـا وأخلاقيا ، بالمربي الذي جعل هدفه الأعلى رعاية وتوجيـــه وتشجيـع كل النشئ بدون تمييز بالمواد الدينيـة والعلمية والوطنية (3) .

هكذا ، فان نهوض وسيلة التربيـة والتعليم بوظائفها العلميـة والعمليـة من أعمال ابن باديـس الأخلاقيـة التي برهن بها على سهولة إيجاد العمل النظري امتداداته السليمة في التطبيق .

2) الصحافـــة :

استعمل ابن باديس الصحافة كوسيلة خصبة يتناول بها المواضيع الدينيـة والاجتماعية والثقافيـة والوطنيـة برأي مدروس وفكرة مدققـة ، لبث روح المقاومـة وتحـرير الفكر من قيد الثقافة الفرنسيـــة ، فعن عظمة هذه المسؤوليـة في توضيـح معنـى الخيـر والشـر والغايـة التي ينبغـــي أن يقصـدهـا الفـرد ، قـال ابـن باديـس : ((باسم الله ، ثم باسم الحـق

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 135 ، قسنطينة ، 16 فبراير 1928 ، ص 19 .
(2) الشهاب ، ج 12 ، م 10 ، قسنطينة ، نوفمبر 1934 ، ص 518 وما يليها . وآثاره ، ج 3 ، م س ، ص 243 .
(3) آثاره ، ج 3 ، ص 190 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوطن ،ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون ،والمبدأ الذي نحن عليه عاملون.)) (1) .

أسس ابن باديس جريدة المنتقد ،فصدر منها أول عدد في الثاني من شهر جويلية 1925 ، وصفها بلسان حال الشباب الناهض في الجزائر ، وحدد فيها المبادئ التي عزم أن يسير عليها (2) ،وسماها بمبادئ الصحافة الحرة الصادقة التي لا يمكن الاستغناء عنها ،وهي كما يلي:

1 ـ في المبدإ السياسي بين للفرد بأن الشعب الجزائري هو حاليا في نطاق المستعمرات الفرنسية ، دينه الاسلام ،والدولة التي تتجاهل دين الجزائر تسيئ بسياستها إليه ، والاسلام بالنسبة للجزائريين لا يعتبر وسيلة سياسية بل هو قوام لهم ،وهو النظام المحكم الذي يسيرون عليه ،ولا يمكن التقصير في خدمته بنشر مبادئه وتطهيره من آثار الحركة الصليبية .

وأبرز ابن باديس أنه سيعمل لوحدة الأمة الجزائرية وإحياء قوميتها في نفسية وفكر كل أبنائها مع ترغيبهم على العمل والعلم وصهر أفكارهم وعواطفهم لخدمة الإنسانية ويبغضون من يبغضها ،وطالب الاستعمار الفرنسي ضرورة إشراك الجزائري سياسيا واقتصاديا في إدارة شؤون الوطن الجزائري ،ليكسب مفتاح المقاومة المباشرة في مؤسسات فرنسا نفسها .

2 ـ وفي المبدإ التهذيبي بين بأن عمله سوف يتوجه إلى تغذية عقول أبناء الوطن الجزائري بالأدب الراقي والعلم الصحيح ، بالمقالات العلمية والأدبية ،وبمقاومة كل معوج من الأخلاق في فساد الأخلاق وانتشار البدع .

---

(1) آثاره ،ج 3 ،م س،ص 277 .
(2) ن م ،ص 277 الى ص 281 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 ـ وفي المبدإ الانتقادي قال بشجاعة مطلقة بأنه ينتقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء وكل من له شأن عام من الفرنسيين والوطنيين هذا بمناهضة المفسدين والمستبدين وبمناصرة الضعيف والمظلوم .

إذن الانتقاد عند ابن باديس يتمثل في اخذ طريق الحقيقة المجردة من الاغراض الفردية وفي الصدق والنزاهة في الكلام .

بدأ ابن باديس تطبيق هذه المبادئ في أعداد المنتقد ، وجعل الاستعمار الفرنسي بمضمون مقالاته يدرك بأن هدف الجريدة هو تعبئة الشعب ونشر منهج النقد والانتقاد السياسي والثقافي الذي لا يريد بقاء الفرد بأعماله الشريرة بعيدا عن الرشد في أخلاقياته فأوقفها بعد أن صدر منها (18) عددا بمرسوم إداري فرنسي .

ولم يفشل ابن باديس بعد هذا القرار الخاص بتوقيف جريدته لأنه أصدر جريدة أسبوعية جديدة تحت اسم ((الشهاب)) في نوفمبر 1925 ، وكتب في رأس الصفحة الأولى من العدد الأول ((تستطيع الظروف أن تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا)) ، ثم بين ضمنيا كل من يشك في الخير كأنه قد شك في قيم الاسلام ومقومات الجزائر ، لأن السلوك الأخلاقي الذي سلكه تطلب منه احترام تعاليم الوجدان بتلبية صوت الضمير ، يقول ابن باديس عن السياسة في الصحافة مايلي : ((مهنة شريفة في ذاتها وموضوع واسع فالتصدي للبحث فيه من جميع نواحيه داعية إلى إشغال أعداد من هذه المجلة ، والى قتل وقت ليس باليسير ، والى تحمل مجهود ليس بالهين .)) (1) .

قبل أن تصبح جريدة الشهاب مجلة شهرية في فبراير 1929 ، تناول فيها المواضيع

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، هل السياسة منافيه للسلوك الحسن ؟ ، الشهاب ، العدد 157 ، قسنطينة 26 جويلية 1928 ، ص10 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجتماعية(1) ، والسياسية (2) والثقافية(3) والاقتصادية (4) ، وكان تحليله مركـزا على ضرورة تجنب الظواهر الفاسـدة وما يترتب عنها من تحولات في العلاقات .

وجه ابن باديس كل الجزائريين إلى أخذ الحذر من الإدارة الفرنسية ، ونظر إلى ماكسان حوله ومافيه ، وتجاوز كل الأماني الخيالية والأوهام ، وكان متكاملا بين وظائفه النفسية وأصالته ومحيطه وحاجاته وأهدافه ، وكل المواضيع التي كتبها كان يهدف بها جعل الفرد يرعـى بسلوكه الشخصي والجماعي تكيف وجدانه دون أن ينحرف مع معطيات الوسط الاجتماعي الـذي هو تحت سيطرة فرنسا ، لأن الأمر ليس سهلا ويسيرا ، يتطلب مجابهة الصعاب دون الفـرار منها أو الدوران حولها ، بالحل المبتكر الذي يرقى إلى مستوى الواقع المحلي بأعرافه وتقاليده وقيمـه وأهدافـه .

ودافعت مجلة الشهاب عن حقوق الوطن الجزائري ، وحثت الفرد على الوعي بمسؤوليتـه الخاصة بالايمان والتطلع إلى الشخصية الوطنية التي ينبغي عليه التمسك بها قدر المستطاع في عمله وعلمـه وتصرفاتـه لأن ((الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا.)) (5) ، وجعلت الجزائريين يتمسكون بقيمهم الدينية الاسلامية ، وبالتراث التاريخي ، وبمميـزات الجزائر العربيـة المسلمة التي تبعدهـم عن الاستسلام والخضوع للواجبات المفروضة من غير تبصر ، فعن صدى هذه المجلـة قال ابن باديس: ((جاء أحد الأعضاء (6) بمقالات مترجمـة من مجلة ((الشهاب)) فيها الإشادة بالعروبة والإسلام والمحافظـة عليهمـا وعدم الاندماج في الأمة الفرنسيـة فسألنا عما فيها فأجبته أن مجلـة ((الشهاب)) ليسـت مجلة الجمعية وانما هي مجلتي وأنا أجيبك عنها بصفتي الخاصة : أولا ـ أنا لا أثق بترجمـة

---

(1) راجع عبد الحميد بن باديس ، مظاهر العداء نحو المخلصين ، الشهاب ، العدد 29 ، قسنطينة ، 03 جوان 1926 ، ص01 .

(2) راجع عبد الحميد بن باديس ، محفل حاشد في سبيل المسألة الجزائرية ، الشهاب ، العدد 135 ، قسنطينة ، 16 فبراير 1928 ، ص19 .

(3) راجع عبد الحميد بن باديس ، بمخالطة المتمدنين نرتقي في المدينة ، الشهاب ، العدد 16 ، قسنطينة ، 25 فبراير 1926 ، ص01 .

(4) راجع عبد الحميد بن باديس ، العامل الأهلي ، الشهاب ، العدد 170 ، قسنطينة ، 01 ، نوفمبر 1928 ، ص.08 .

(5) آثاره ، ج 3 ، م س ، 320 .

(6) أحد الاعضـاء يقصد به عضو لجنة البحث البرلمانيـة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المترجمين في الإدارة لأنني جربت عليهم الخطأ والاقتصار على مالا يفهم المراد بل يفهم خلافه لأن الكلام يبين بعضه بعضا . وثانيا أنا أقول لكم كما أصرح دائما: إننا عرب مائة في المائة ومسلمون مائة في المائة لانتنازل عن شيء من ذلك.)) (1) .

وأوضح ابن باديس للفرد عن طريق شعارات صحافته العامل التاريخي وعامل الحياة الراهنة فكانت مجلته تحمل شعار ((مجلة إسلامية جزائرية ـ شهرية ـ تبحث في كل مايرقي المسلم الجزائري.)) ثم كتب شعارا آخر ((مبد أنا في الإصلاح الديني والدنيوي لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.)) ،وفي أركان الغلاف الأربعة كتب ((الحرية ،العدالة الاخوة ،السلام)) ،وفي الصفحة الداخلية الأولى على الجانب الأيمن كتب الآية ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين.)) (2) ، وعلى الجانب الأيسر كتب آية أخرى ((أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.)) (3) ،لكنه في عام 1935 حذف ((الحرية ،العدالة ، الاخوة ،السلام)) ،وفي عام 1937 غير شعار مجلته الذي كان في أسفل الغلاف الخارجي ((الحق ،العدل ،والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات.)) واستبدله بالشعار التالي : ((لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله.)) .

إذن أراد ابن باديس بهذه الشعارات تنبيه الفرد إلى ضرورة أخذ مسلك الابتعاد عن السهولة المفرطة التي تجعله منصرفا عن مجابهة الوضع السياسي والثقافي دون مراعاة التخلف الذي أرادته الادارة الفرنسية في تسيير شؤون المجتمع وفي فهم الثقافة الوطنية بمنظار شمولي .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ،م س ، ص 147 ، 148 ،وراجع الشهاب ،ج 3 ، 13 ،مقال ابن باديس ((التعليق عن أحد النواب الفرنسيين في مجالس النيابات المالية الذي أراد تعطيل الشهاب (عدد ماي 1937 ،ص 165 ، 166) .

(2) سورة يوسف الآية 16 / 108 .

(3) سورة النحل الآية 16 / 125 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ابن باديس يكتب المقالات في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تولى رئاستها ما بين 1931 و1940 ، وهي السنة ، الصراط ، الشريعة ، البصائر ، بين فيها أن إصلاح الجمعية هو مبدأ وفكرة (1) وخطتها مستقيمة ، وغايتها نبيلة (2) .

دافع ابن باديس على مبادئ وأصول ومؤسسات الجمعية (3) ، لجعل الفرد يفكر في كيفية تشخيص تصرفات وآفات فرنسا ، ولدفعه نحو الخلاص من أمراضها ، وللرقي بمواقفه وسلوكه نحو الكمال الذي يتشخص عنده في تلك المرحلة في رفع المستوى الخلقي والعقلي والعملي .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس قد أخضع أفكاره لمبدإ الرؤية الواقعية ، ولم تتحكم فيه الانفعالات النفسية ، وابتعد عن كل ما هو عاطفي وغوغائي في تحليل المواقف والوقائع والحقائق للنفاذ إلى الواقع الجزائري وإدراك تناقضاته وا ستخلاص الدلالات الأخلاقية والثقافية والسياسية التي ساعدت الاستعمار الفرنسي في أعماله الاستيطانية ، واستعمل طريقة التأمل والإستدلال ، وحرص على التعامل مع الموضوع الإعلامي بنزاهة ، وترك الحقيقة الخالصة تفصح عن نفسها ((عزمنا على خدمة الوطن من هذه الوجهة وجهة الصحافة وبهذا البرنامج ونحن نعلم ان خدمته على هذا النمط ليس من ابداع الفرد والافراد القليلة ، ولكن أبرزنا عزمنا من القوة إلى الفعل ثقة بأن الأمة ـ وان بلغت من الانحطاط ما بلغت ـ لا تخلو من أولى الاحساس والشعور بالواجب . وما ظهر مشروعنا في عالم الوجود حتى رأينا من الأدباء والمفكرين أرباب الأقلام البليغة والأفكار السامية ما شجعنا وحقق آمالنا وأقام الدليل على أن المعدن الجزائري معدن ذهبي لا ينقطع وان دق.)) (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، السنة ، العدد 11 ، الجزائر ، 19 جوان 1933 ، ص01 الى ص03 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، الشريعة ، العدد 01 ، الجزائر ، 01 جويلية 1933 ، ص01 ، ص02 .
(3) وراجع على سبيل المثال :
ـ البصائر ، العدد 32 ، الجزائر ، 28 أوت 1936 ، ص01 .
ـ البصائر ، العدد 100 ، الجزائر ، 10 فبراير 1938 ، ص01 .
ـ البصائر ، العدد 103 ، الجزائر ، 08 افريل 1938 ، ص01 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 15 ، قسنطينة ، 18 فبراير 1926 ، ص02 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصدى ابن باديس لشائعات الإدارة الفرنسية (1) ورجال الطرق الصوفية (2) الموجهة ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ليكون الاستعداد شاملا لدى كل أفراد المجتمع الجزائري في معارضة كل مواضيع الاعلام الفرنسي الذي لم يستند إلى أسس منطقية رصينة بعد أن فسر كل الأحداث والأوضاع والحالات تفسيرات غير صادقة ، لتفكيك الأواصر الإجتماعية وانهيار صرح الوحدة الوطنية .

التزم ابن باديس بالشروط المنهجية التي تتيح له تناول الموضوع من الوجهة التكاملية للحدث ، وصياغته له كانت علمية بعد أن نسب له ما يتسع من تحليل ونقد بالأفكار والآراء التي تدافع عن نظرته الأخلاقية ، وخاطب مستويات فكرية متفاوتة ، وأبرز منهجية مقاومة الإعلام الفرنسي الذي يختار المناسبات والطرق المشوقة التي تهيئ للشعب تقبل الشائعات والأكاذيب ((بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها .)) (3) .

وابتعد ابن باديس عن التفاصيل المملة بل اعتمد على التعبير الواضح ، بتحليل التكامل بين الأفكار الأخلاقية الفرنسية وآراء رجال الطرقية لإفهام الفرد مقاصد وأهداف الإستعمار الفرنسي بالرأي المدروس والفكرة الصليبية التي يحرص على إيصالها إلى المجتمع الجزائري ، لأن ابن باديس سلك في انتقاده ((... الصدق والاخلاص والنزاهة والنظافة في الكلام .)) (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد الأول الجزائر ، 27 ديسمبر 1935 ، ص 02 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 2 ، م 09 ، قسنطينة ، فبراير 1933 ، ص 88 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 92 .
(4) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 281 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزود ابن باديس الفرد والمجتمع بدراسات إسلامية وتحقيقات تاريخية ، وحلل لهما حقد وبغض ومبادئ ووسائل الاستعمار الفرنسي ، وأبعدهما عن العزلة الخاصة بالتوجيه الاسلامي بالأسلوب البعيد عن الصراخ والشتم المباشر قصد تكوين الرأي العام الذي كان ينشده والمتمثل في التأثير على أفكار وسلوك النشء وحمله على الإنسجام مع القيم الأخلاقية الإسلامية والنمط الثقافي الوطني .

ولم يتأثر ابن باديس بالمشاكل والأزمات التي تعرض لها في صحافته ، والمحيط الاعلامي الفرنسي لم ينقص من عزيمته في تطوير مضمون الشهاب وصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لأنه فتح باب الكتابة للعلماء والأساتذة والطلاب للإسهام في الانتاج الفكري والثقافي والأدبي بعلاقات واضحة في التعامل الإعلامي .

إذن ابن باديس طور صحافته بمنهج التطوير النوعي ، واعتبرها أداة التبليغ والتوجيه والتربية والتكوين والتثقيف ، تعبر عن قيم الاسلام ، وتعمل على تعميقها وتعميمها .

3) المسجد :

بين ابن باديس أن المساجد في الجزائر قبل مجيء الاستعمار الفرنسي كانت مفتوحة للوعظ والارشاد وتعليم الأخلاق الاسلامية ، وطلب من الإدارة الفرنسية احترام فتح المساجد في وجوه العلماء بدون إذن خاص(1) لأن النبي – ص – كان ((يجلس في المسجد النبوي لأصحابه ويجلسون إليه حلقة فيعلمهم القرآن والحكمة ويعظهم ويرشدهم.)) (2) ، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع : ((فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم ،

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 196 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير ، م س ، ص 68 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاجة الاسلام اليه كحاجته الى الصلاة ، فلا اسلام بدون تعليم ، ولهذه الحاجة مضى النبي صلى الله عليه واله وسلم ـ على عمارة المسجد بهما ، فما انقطع عمره كله عن الصلاة ، وعن التعليم في مسجده ، حتى في مرضه الذي توفي فيه . ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الاسلام يقفون الاوقاف على المساجد للصلاة والتعليم ومن اظهر ذلك واشهره اليوم ، الجامع الازهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين .)) (1) .

إذن أراد ابن باديس ان يجعل المسجد في فترة الاستعمار الفرنسي مركز العبادة وتعليم النشئ والكبار وارشادهم ووعظهم ، فعمل على بث فكرة تعدد وظائف المسجد لتحويله من مقر الصلاة الى مدرسة دينية وطنية ذات مضمون اخلاقي ديني سياسي .

اعتمد ابن باديس في عمله داخل المسجد على التعليم الديني (2) ، ليتمكن الفرد من العمل في سبيل تحقيق أهداف المجتمع الجزائرى ، لأنه المركز الديني الوطني الذى يربط بين عبادات وأعمال وأفكار الناس التي تتخطى الحواجز الفرنسية .

ومن هنا كان التعليم المسجدي المتمثل في ((مجالس التذكير)) من ضروب التربية والتكوين للناس ، لنشر الافكار الأخلاقية الدينية الوطنية التي تحيط الأفراد والجماعات بوقائع وأمور مجتمعهم ، ولتكوين المناخ الأخلاقي الذي يضع الفرد والمجتمع أمام الهدف المقصود من وراء هذا العمل الديني الأخلاقي الوطني ((ولا بد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كله فصارت حاجة المسلمين إليه حاجتهم إلى الاسلام وصار اعراضهم عنه ، هو اعراض عن الاسلام وهجر له ، ما انتهى المسلمون اليوم الى ما انتهوا اليه الا بذلك الهجر ، وذلك الاعراض ، ولن يوحي لهم شيء من السعادة الاسلامية الا اذا اقبلوا

---

(1) اثاره ، ج 3 ، م س ، ص 225 .

(2) راجع التعليم المسجدى ، على علواش ، م س ، ص 80 ، وما يليهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة وكما كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يفعل من اقامتهما مسجده ...)) (1) .

إذن المسجد عند ابن باديس هو مدرسة التربية والتثقيف الشامل بما يقدمه للناس من إرشاد ووعظ ومعارف ، يقع على عاتقه مسؤولية توعية المجتمع وامداده بالأفكار الإصلاحية والرأي الأخلاقي المدروس والفكرة الوطنية التي تشارك الجماعات والأفراد طموحاتهم ومطالبهم .

استطاع ابن باديس بالمسجد التغلب على كثير من الصعوبات وخاصة فيما يتعلق بنشر الأخلاق الاسلامية وأخلاق السياسة ، لأن تعدد نشاط وبرامج التعليم المسجدي رغم مضايقات الإدارة الفرنسية (2) كان له الدور الأساسي في توسيع مجال العمل الأخلاقي المباشر الذي يتماشى مع مختلف فئات المجتمع ، فكان له التأثير والفعالية في إبراز الهدف الأخلاقي والعمل الثابت لتحقيقه .

واذا كان ابن باديس بالمسجد جمع بين أعمال عدة منها التعليمي والتثقيفي والديني والأخلاقي وغير ذلك من الأعمال الوطنية ، فكر في كيفية إنشاء كلية دينية جزائرية يتخرج منها الفقهاء الذين يعلمون الأمة دينها الإسلامي ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع: ((فكلية تخرج المعلمين الدينيين ، ومعلمون في المساجد التي لنظر الحكومة والتي لنظر الجماعات تلك هي الحالة التي يجب أن تكون عليها الأمة الجزائرية المسلمة لتبقى مسلمة . أما كيف يكون التعليم وما هي الفنون التي تعلم والكتب التي يتعلم فيها فهو موضوع مستقل لا يحسن أن يتناوله بالبحث إلا لجنة من أهل العلم.)) (3) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس اهتم بالمسجد ليكون وسيلة أخلاقية تسهل له التحكم في فرصة التغلغل الجماهيري ، لزيادة حجم الإقبال على الصلاة والتعليم والتثقيف

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 226 .
(2) ن م ، ص 188 ، 227 .
(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 228 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مختلف فئات المجتمع وعناصره ، لأن المسجد بعنصره البشري وببرامجه المتنوعة والكتب المتوفرة يساعد على إنجاح الدور التربوي والديني والأخلاقي الذي يوجه الأحداث والموضوعات والآراء والأعمال في الحياة والوجود .

وخلاصة القول ان وسائل الأخلاق العملية عند ابن باديس كانت ضرورية ليتمسك المجتمع الجزائري بالأخلاق اللازمة له التي تصون له مقوماته الروحية والثقافية والحضارية والمعنوية ، لكن كيف كانت مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة ؟ هذا ما سنحلله في الفصل القادم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس :

مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ عبد الحميد بن باديس أول جزائري تناول فكرة الوطن الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين بخطاب أخلاقي صريح الدعوة إلى استقلال الجزائر ، ليعزز في مجتمعه روح التعلق بالوطن ، وليعد المناخ الملائم الذي به يهيئ أسباب النجاح ، بعد أن ظنت فرنسا أنها قد جعلت الجزائر مقاطعة تابعة لها بقراراتها العديدة وخاصة منها المؤرخة في 22 يوليو 1934 التي اعتبرت الجزائر ملكا لفرنسا ، ومرسوم 04 مارس 1848 الذى أعلن بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وقرار تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات في عام 1870 وغيرها من الدساتير التي كانت ترمي إلى محو الإطار الجغرافي الجزائري والقضاء على الوحدة الثقافية واللغوية والدينية .

1 — ابن باديس والسياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر :

كان ابن باديس بمواقفه الأخلاقية في السياسة المصلح الذي حارب السياسة الفرنسية بالتعليم المدرسي ، وبتوجيهه ووعظه وارشاده في المساجد ، وبنظرته الشاملة للواجب الوطني المتمثلة في تقوية صلة الجزائري بوطنه ، وللنهوض بفكرة وطنية متجددة تتشخص في ضرورة التحويل الإجتماعي الذي يقتضي تأمين الحياة الكريمة لكل الجزائريين بالتربية والتعليم والقيم الأخلاقية والفكر والعدل الإجتماعي حسب متطلبات تلك المرحلة الاستعمارية

لكن قبل الدخول في تحليل موقف ابن باديس تجاه السياسة الفرنسية تقول بأنه يوجد فرق كبير من ناحية المنهج بين الخطاب السياسي الناشر لفكرة الاستقلال في أوساط الجزائريين وبين الخطاب الأخلاقي بأسلوب وطني عند ابن باديس الذي يهدف إلى إيجاد الصيغة النهائية التي توحد الحركات السياسية الجزائرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأ ابن باديس يحارب السياسة الغرنسية عندما أصدر جريدة ((المنتقد)) في عام 1925 ، بفكرة سياسية وطنية وهي أن الفرد لا يعيش الحياة الكريمة إلا بحياة قومه ووطنه وما يتضمنه من دين ولغة وثقافة وتاريخ ، يقول في هذا الخصوص: ((إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل ، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه)) (1) .

وكانت محاربة ابن باديس للسياسة الغرنسية بمنهج يتناسب مع أسس نشر مقومات الشخصية الوطنية ، لأن الحفاظ عليها ليس أقل ضرورة من المطالب السياسية المباشرة الخاصة بالإقتصاد وتحسين الحالة الاجتماعية ، وأول خطوة قام بها هي اهتمامه بالوعي الوطني المتمثل في إبراز القيم الأخلاقية التي تبعد الفرد عن الخيانة والجمود (2) ، كما غرس ابن باديس في مجتمعه فكرة مناهضة الغزو الاجنبي التي ظهرت منذ العهد القديم متأثرة بالمحيط الجغرافي وبالمجال الفكري والسياسي الذي ساد المنطقة التي تحيط بالجزائر (3) .

بين ابن باديس أن الجزائر كانت أمازيغية في قديم عهدها ، بحثت عن السبيل السياسي لبناء قوة ذاتية بالاعتماد على النفس ، والقضاء على الأطماع الأجنبية ، وقامت بتسخير الإمكانات والوسائل السياسية والعسكرية لصيانة وحدة الوطن الجزائري ولم تخضع للكنيسة الرومانية بل وظفت عقيدة حب الوطن والعادات الحسنة لمقاومة أطماع الغزاة .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 33 .

(2) ن م ، ص 142 .

(3) الشهاب ، العدد 143 ، قسنطينة ، 19 أفريل 1928 ، ص 02 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستنتج من أعمال ابن باديس أنه اعتمد على تعبئة النشء والمجتمع بالوعي الوطني في العهد القديم ، وجعلهما يفكران في الطرق التي حققت بها الجزائر العدل والسلم ودفع الأذى والعدوان ، وطرق كفاحها في سبيل التآخي دون أن يغريها الانتصار وتهمل ثقافتها وأعمالها وأهدافها .

وأبرز ابن باديس ملامح وسمات الوعي الوطني في ظل الاسلام (1) والتي تتمثل في التماسك الثقافي والحضاري العربي الإسلامي ، وتقاسم الآلام ، والتطلع نحو الآمال باللسان العربي والدعوة الإسلامية الإنسانية المتمثلة في قول ابن باديس :

أشعب الجزائر روحي الفداء لما فيك من عزة عربية

بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية (2) .

كما بعث ابن باديس في شخصية الجزائري صفات الأجداد الخاصة بالدفاع عن الأرض الجزائرية وحرصهم على الشخصية الوطنية التي صهرها التاريخ في إطار جغرافي واضح بالإسلام واللغة العربية والتقاليد الحسنة والعدل والكفاح ضد أي عدوان ، لتأكيد الوحدة الوطنية في السياسة قصد مشاركة كل الجزائريين في صنع مصير الجزائر ، لأن الوضع الاستعماري حسب رأي ابن باديس السياسي في الميدان لا يظل على حاله بل من الممكن أن تظهر قيم أخلاقية يتحقق بها استرجاع استقلال الوطن الجزائري (3) .

إن القاعدة السياسية الأساسية التي انطلق منها ابن باديس لإفساد السياسة الفرنسية تتمثل في إحداث تحولات عميقة في عقلية الفرد ، لتكوين وعي وطني جديد

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص200 ، 201 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، م س ، ص176 .
(3) آثاره ، ج3 ، ص320 ، 321 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في السلوك الأخلاقي السياسي ، يدفعه إلى تقويض هياكل الاستعمار بعد تجاوز كل التناقضات التي أرادت فرنسا فرضها بأساليبها وأفكارها وقوانينها الأساسية .

وقام ابن باديس بفرز الوطنيين من جهة والذين يريدون جر شعب الجزائري وتوجيهه إلى السياسة الفرنسية من جهة أخرى ، بقاعدة التطور السياسي للدولة الجزائرية وتقدم الوظيفة الاقتصادية ، وامتداد البعد الحضاري العربي الإسلامي في كل أنحاء الوطن الجزائري، والعلاقات الهامة مع الأمم (1) .

نستنتج مما تقدم أن ابن باديس اهتم بنشر فكرة سياسية تاريخية تحارب سياسة فرنسا في الجوهر ، لينطلق الفرد بطاقاته التي يحطم بها القيود ويتحدى الموت بعد أن يأخذ الشجاعة من السلف الذي واجه هزات الغزاة التي كانت تهدف إلى افناء الجزائر وصرفها عن مسارها العربي الإسلامي .

وأمر ابن باديس الشباب المتعلم (2) تسخير معارفه لفائدة مجتمعه بالالتزام الكلي بمقوماته، يضبط معرفته بالخلق الحسن ، يوجه العلم لتحقيق مطامح وأهداف وطنه ، بمنهج ميداني يوصل الجميع إلى بناء مؤسسة تربوية جزائرية وطنية موحدة (3) تجعل النشء يستفيد من تعليم متكامل المواد حسب البيئة التي يعيش فيها ، ويعرف بأن الشعوب بمقوماتها ومميزاتها وملامحها وأبعادها الحضارية تختلف عن بعضها البعض كما يختلف الفرد عن الفرد الآخر ، وكل هذا يكمن في العقيدة واللغة والتاريخ والعادات والشعور الموحد بين الذين تجمعهم هذه المقومات والمميزات (4) .

---

(1) الشهاب ، العدد 135 ، قسنطينة ، 26 فبراير 1928 ، ص03 . وجريدة البصائر ، العدد 83 ، الجزائر ، 30 سبتمبر 1937 ، ص01 . وكتاب ابن باديس وعروبة الجزائر ، م س ، ص65 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، مؤتمر المعلمين الأحرار ، البصائر ، العدد 80 ، الجزائر ، 03 سبتمبر 1937 ، ص01 ، وراجع الفصل الخامس فقرة التربية والتعليم .

(3) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 2 ، م 2 ، قسنطينة ، مارس 1931 ، ص115 ، 116 .

(4) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص352 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة المعادية لسياسة فرنسا يمكننا تشخيصها في مساهمته الخاصة في تأسيس الجمعيات والمدارس والمساجد وفتح المكاتب والنوادي ، ثم تأكيده لأهميتها كأداة فعالة تحقق تحولات سياسية وثقافية يدرك بها الجزائري أن حقوقه المدنية والإجتماعية والسياسية تتحكم فيها الإدارة الفرنسية (1) ، وبذلك تطور التعليم ، وتزايد عدد الوافدين من الطلاب على المدارس الحرة ، ومنحت دور التعليم بكل من تلمسان وقسنطينة وميلة ، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تغلق المدارس وتتشدد في تسليم رخص التعليم (2) .

اهتم ابن باديس إذن في محاربته للسياسة الفرنسية باستيعاب القاعدة النظرية التي ينطلق منها التصور الصحيح للوطن طبقا للشخصية الوطنية التي تعتبر الإنسان صانع العزة والتحولات في التاريخ ، لبلوغ الرقي الأدبي والمادي .

لم يكن ابن باديس بعيدا عن مايجري في الواقع من أعمال ونشاطات سياسية ، وكان يتابع باستمرارما في الحياة السياسية من انقسامات وتناقضات وضغوط الإدارة الفرنسية ، فكل هذا جعله يوجه دعوة خاصة إلى كافة التنظيمات السياسية الجزائرية لعقد مؤتمر إسلامي جزائري تدرس فيه القضية الجزائرية بفكرة وحدة الصف الجزائري خارج أية صلة بالنظام الإستعماري بعد أن ازدادت حالة الجزائريين تدهورا وسوءا في كل حقول الحياة(3) وتبخرت وعود فرنسا الخاصة بالإصلاحات الإجتماعية والاقتصادية . وهكذا نشرت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي الجزائري يوم 03 جوان 1936 في جريدة

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص352 ، 353 .

(2) راجع الصراط ، العدد 07 ، الجزائر ، 30 أكتوبر1933 ، ص06 . والبصائر ، العدد 100 ، الجزائر ، 10 فبراير 1938 ، ص01 .

(3) ان أوضاع الجزائر المؤلمة والمزرية جعلت الإدارة الفرنسية تساعد العدد الكبير من الخبراء في السياسة والاقتصاد ، وتخطط لإعداد مشروع إصلاحي يناسب الاندماجيين ، فوضعت مشروعا سمي بمشروع بلوم فيوليت الذي لم يجد نفوذه في الأوساط الجزائرية المتمسكة بذاتية الجزائر ، راجع :

A-) AGERON (Charles Robert), T2, p419, 432.

B-) Kaddache (MAHfoud), T1, p228, 230

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((لاديفانس)) الوطنية الناطقة بالفرنسية ((la defense)) لصاحبها الأمين العمودي ، وبعد الاعداد والتنظيم انعقد المؤتمر في نادي الترقي بالعاصمة يوم 07 جويلية 1936 بحضور اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين المعروف بدعوته إلى الإندماج ، والحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لكن حزب نجم شمال افريقيا كان غائبا لأنه اعتقد المؤتمر لم يتقيد بمبدإ استقلال الجزائر .

تقدم ابن باديس أثناء اشغال المؤتمر بمطالب خطية باسمه الخاص (1) وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وشملت المطالب التي كانت باسمه الخاص محورين (2) هما:

((_ 1 _ الأوضاع والمعاهدات الخاصة :

لا تحقق المساواة المطلوبة إلا برفع جميع الأوضاع الخاصة مثل المتصرفيات ومجالس (الكرمينال) والمعاملات الخاصة ، بل الأنديجينية وعطيات (أ) الجندية وزيادة مدة الخدمة العسكرية والبرنامج الخاص بالتعليم في المكاتب الابتدائية وغيرها وحرمان عمال الجزائر من كثير مما يتمتع به العمال الفرانساويون .

2 _ النيابات :

لا يمكن للأمة الجزائرية أن تنال حقها من الحياة على الأرض الجزائرية مادامت لا تمثلها في جميع المجالس الإقليمية فأول مطلب في النيابة هو تسوية نواب الجزائريين بنواب الفرانساويين في جميع المجالس ثم مطلب توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين بحيث يشارك في انتخاب النواب البرلمانيين مشاركة فعلية جميع سكان الجزائر على اختلاف أجناسهم وعقائدهم مع بقاء المسلمين على جميع ذاتياتهم الاسلامية .)) (3) .

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 324 .
(2) (3) ن م ، ص 325 .
(أ) هكذا ورد النص من المصدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المطالب التي قدمها ابن باديس بوصفة رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهي تتعلق بالدين واللغة وهذا نصها :

((اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية ، وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الديانة :

1 – المساجد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2 – التعليم الديني :

تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3 – القضاء :

ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية المشار إليها في الفصل السابق وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء منها تدريس تلك المجلة ، والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية ، وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها .)) (1) .

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 328 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأسفر المؤتمر على مطالب أخرى كإلغاء القوانين الإستثنائية التي تطبق إلا على الجزائريين، وإلحاق الجزائر بفرنسا بإلغاء الولاية العامة و مجلس النيابات المالية ونظام البلديات المختلطة، والقيام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية (1) ، لكن ابن باديس رأى أن المؤتمر حقق مبادئ الشهاب المتمثلة في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية (2) .

ووجد ابن باديس نفسه أمام أمر الواقع بعد زيارته مع وفد المؤتمر الاسلامي الجزائري باريس يوم 18 جويلية 1936 ، لأن ورقته (أ) لم يقبلها (دلاديه) وزير الحرب الفرنسي رغم وجود مطالب اتحاد المنتخبين المسلمين في وثيقة المؤتمر ، فبين ابن باديس أن الشعب الجزائري لا يريد الحقوق البسيطة على أيدي رجال الإدارة الفرنسية بل ينالها على الرغم منهم عندما قال (دلاديه) : ((إن لفرنسا مدافع طويلة)) ، ورد عليه ابن باديس: ((ان لدينا مدافع أطول.)) ولما تساءل عن أمر هذه المدافع أجابه : ((إنها مدافع الله)) (3) .

نستنتج من هذا الحديث التاريخي أن ابن باديس قد اكتشف التكامل والاتفاق بين سياسة الحكومة الفرنسية في باريس وسياسة المعمرين في الجزائر ، وأن التأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية وتقويتها بالإسلام واللغة العربية ورفع مستوى التعليم هو((العدو اللدود لفرنسا)) .

قال مالك بن بني في كتابه شروط النهضة (4) بأن حركة ابن باديس قد انزلقت في مستنقع السياسة عام 1936 ، ورأى ابتعاد ابن باديس عن التفكير المنهجي الدافع الأساسي الذي جعله يسافر إلى باريس ، ولم يرجع بشيء جديد إلا بإخفاق المؤتمر وبتشتيت الجمعية .

---

(1) راجع النص الكامل لمطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري ، الشهاب ، ج 4، م 12 ، قسنطينة ، جويلية 1936 ، ص 236 ، 237 .

(2) آثاره ، ج 3 ، ص 333 إلى ص 341 .

(أ) ورقتــــه تتمثل في التمسك بالشريعة الاسلامية ولغة الاسلام .

(3) الشهاب ، ج 7 ، م 12 ، قسنطينة ، أكتوبر 1936 ، ص 304 إلى ص 311 .

(4) مالك بن بني ، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1981 ، ص 25 إلى ص 27 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل صحيح أن كل مطالب المؤتمر لم تركز على الهوية الوطنية الجزائرية ؟ وهل انحرف ابن باديس عن الشخصية العربية الإسلامية ؟ وهل الرجل القوي لا يستمر في خطه المستقيم بقوة الإرادة والشخصية والقدرة على التطور رغم الظروف الصعبة ؟ وهل كان بوسع ابن باديس أن يظل معلما جامدا ؟ وهل كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشتتة في حياته ؟

إن الإجابة على هذه الاسئلة تجعلني استنتج أن مالك بن نبي لم يحلل الأحداث التي مربها ابن باديس في المؤتمر الاسلامي الجزائري في تلك المرحلة ، ولم يدرس بعمق وطنية ابن باديس التي دفعته إلى العمل الذي يقضي على الاستعمار الفرنسي بعد مواجهة التناقضات الداخلية في الأفكار والوسائل بصورة تفرض في المرحلة الأولى على فرنسا الاعتراف بمطلب الجزائريين في صف واحد ، بقيم أخلاقية تعزز العمل الإيجابي الذي يحث عليه الفكر السياسي الجزائري الخاص باستقلال الجزائر في الحركة الوطنية .

لم يركز مالك بن نبي على اهتمام ابن باديس الخاص بجمع كل الحركات السياسية الجزائرية في بوتقة واحدة بالمؤتمر الاسلامي الجزائري الذي كان جزائريا رغم غياب حزب نجم شمال افريقيا وحضور الحركات السياسية الأخرى ، وأهمل رغبة ابن باديس الخفية المتمثلة في جعل المؤتمرات التي تجمع كل الحركات السياسية كتطور نوعي في حركة الوحدة الوطنية بتأكيد تجاوب الشعب الجزائري في توجيهه للأحداث(1) .

غير ابن باديس شعار الشهاب بعد رجوعه من باريس ، فبعد أن كان ((الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات.)) أصبح

---

(1) راجع موقف ابن باديس السياسي بعد سجن مصالي الحاج حيث عبر عن وحدة أبناء الوطن الجزائري . آثاره ،ج 3 ،م س ، ص 375 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله)) وبدأ يسيء إلى فرنسا مباشرة بعد تخليه عن (التقية) التي كان يستعملها ، بمبادئه الجريئة واعتنائه في الجانب العملي بفكرة الاعتماد على النفس، ليفكر الفرد دائما فيما ينفع الجزائر حسب الظروف الجديدة ، والدليل على ذلك أن الاستعمار الفرنسي رفض مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري المتمسكة بالشخصية الوطنية وفي هذا يقول ابن باديس: ((أيتها الأمة الجزائرية ، أيها النواب الكرام إ بمحضر الوفد كله في وزارة الحربية الفرنسية من السنة الماضية قال لنا دلادي وزير الحربية رئيس الحزب الراد يكالي سوسياليست أقول لكم بصراحة : ((اني (أ) أعارض كل المعارضة في إعطائكم النيابة البرلمانية ما دمتم على حالتكم الشخصية الاسلامية)) (1) .

نستنتج مما سبق أن نية ابن باديس كانت تهدف إلى تكوين صف واحد يشمل كل الحركات السياسية ، لقيادة الجزائر وتنظيم شعبها في نطاق خصائص الوحدة الوطنية ، وتتجسد قوة قيادتها في وحدة قيادة الحركات السياسية التي تزداد ثراءا وقوة بالممارسة والفعالية في الميدان .

وهاجم ابن باديس كل من يصور الرأي العام الاسلامي الجزائري بصورة اعتبار الجزائر فرنسية لا وطن لها (2) ، كما عارض كل من أنكر الأمة الجزائرية العربية المسلمة بتاريخها الحافل بالأعمال الجليلة ، بوحدتها الدينية واللغوية ، وبأخلاقها وثقافتها وتقاليدها .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 175 ، 176 . البصائر ، العدد 71 ، الجزائر ، 18 جوان 1937 ، ص 04

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 309 .

(أ) هكذا ورد في المصدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الموقف دفع ابن باديس إلى التأكيد على إرادته واستطاعته على العمل الدائم الذي يحافظ على ذاتية الجزائر ومافيها من مميزات الدين واللغة والثقافة بدون أن ينسلخ عنها طوعا أوكرها أو اختيارا أوخوفا (1) .

ورفض مشروع بلوم فيوليت الذي لم يحترم حقوق الجزائريين المطلوبة وأنكر الاسلام واللغة العربية قصد القضاء على الذاتية الاسلامية والشخصية القومية (2) ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع : ((والجنسية السياسية أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ماكان عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتراكا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما . ومن الممكن أن يدور الاتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسية القومية إذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة . فإذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلا بد لهما — مهما طال الأمد — من أحد أمرين : اما ان يندمج اضعفهما في اقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود . واما ان يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره — ولا بد — إلى الانفصال .)) (3)

هكذا ، حدد ابن باديس أهدافه الوطنية حسب الظروف التي كان يعيشها ، وعمل رغم الظروف الصعبة والمعقدة بفكرة عدم بقاء الأمة الجزائرية على حالها بعد تغيير السياسة العامة والخاصة بالجزائر ، واستمد قوته من ارتباطه المتين بمجتمعه ، وأراد جعل كل مناضلي الحركات السياسية بوحدة التصور لكل القضايا السياسية ، ينظرون نظرة

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 316 .
(2) نم ، ص 355 ، وكتاب قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 197 .
(3) آثاره ، ج 3 ، ص 352

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استقلال الجزائر رغم الجو السياسي الذي لم يكن صافيا في كل حقول الحياة ((وكما جعل الله للحياة أسبابها وآفاقها جعل للحرية أسبابها وآفاقها ، ومن سنة الله الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا على من تمسك بما لها من أسباب وتجنب وقاوم مالها من آفات .)) (1) .

— 2 — وحدة المغرب العربي :

اعتبر ابن باديس المغرب العربي وحدة متكاملة بحكم الدين واللغة والثقافة والحضارة والتاريخ ونمط التفكير والنظرة إلى المستقبل ، وبإحياء الكيان القومي الذي تعزز في حضن الحضارة العربية الاسلامية (2) ، بالمعنى الروحي والأدبي والأخوي ((. . . المغرب الادنى والمغرب الأقصى اللذان ماهما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابا وأخلاقا وتاريخا ومصلحة ثم الوطن العربي والاسلامي ثم وطن الانسانية العام .)) (3) .

نستنتج أن مفهوم ابن باديس لوحدة المغرب العربي وتصوره للتعاون بين كل شعوب الشمال الافريقي ينطلقان من اتحاد عربي إسلامي أساسه أخوة التعاون في الشدة والرخاء ، وجعل عقول أبناء المنطقة تستيقظ من سباتها وتنهض من كبوتها ، وتشعر بكرامتها ، وتتذكر ماضيها ((لفك قيودها ونيل حريتها وتبوء منزلتها اللائقة بها كسائر الأمم التي هي — في قوميتها وتاريخها .)) (4)

وبين ابن باديس أن إيصال النفع والخير لهذه الأوطان العزيزة عليه يكون بخدمة الوطن الخاص بمنهج محاربة الجمود والضلالات في عامة الناس ، وإفناء الأفراد والجماعات الذين يتسترون بالقرآن والعلم ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع : ((وما الصادقون إلا الذين يحافظون بأقوالهم وأعمالهم على إسلامك وعروبتك وجميع مقوماتك ويناضلون بالنفس والنفيس على جميع حقوقك ، وهم فيك اليوم إن شاء الله كثيرون وسيكونون أكثر والله أكبر .)) (5) .

(1) عبد الحميد بن باديس ، عيد الحرية ، الشهاب ، ج 10 ، م 11 ، قسنطينة ، جانفي 1936 ، ص 456

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 380 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 237 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 143 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 159 .
وراجع مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 109 ، والشهاب ، ج 1 ، م 12 ، قسنطينة ، أفريل ، 1936 ، ص 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن ركز ابن باديس في معالجته لوحدة الشمال الافريقي على الدعوة التي تكون بالتبصر والاتحاد والتثبت بتطهير العقائد من الشرك ، والأخلاق من الفساد ، بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح في كل وطن (1) ، و باستخلاص العبرة والنفع من الماضي ، والبعد عن الزهد والتشوية والمسخ والمحاكاة ، لأنه كان يهدف إلى تحقيق الأخوة التي تجعل أبناء المنطقة كجسد واحد ، غير محتقرين لأنفسهم وآخذين بأسباب القوة والعزة والسياسة في الدنيا ((... وما مثلنا في وطننا الخاص ـ وكل ذي وطن خاص ـ إلاكمثل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة . فبخدمة كل واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية . ومن ضيع بيته فهو لما سواها أضيع . وبقدر قيام كل واحد بأمر بيته تترقى القرية وتسعد ، وبقدر إهمال كل واحد لبيته تشقى القريـة وتنحط.)) (2) .

هكذا ، أراد ابن باديس انطلاق عملية بناء وحدة المغرب العربي بالإسلام ، والعروبة ، وبالاسهامات العلمية والفكرية والأدبية ، وبالسلوك العمراني وتسليط الضوء على مسار تاريخ المنطقة الذي يبرز الفكر والثقافة ونشر الدعوة الاسلامية وتعميم اللغة العربية ومراكز الاشعاع الثقافي والتربية والتعليم .

والذي يثبت حقيقة هذا الرأي اهتمام ابن باديس بإصلاح التعليم في جامع الزيتونة (3) ، لأنه رأى فيه القوة الحية التي تؤثر في العمل الثقافي الذي يضمن الوحدة بعمل حيوي أساسه الإستفادة من المعرفة العلمية والتقدم بها بأدوات البحث العلمي والإنجاز التربوي والثقافي ، كما اعتنى بالمجلة الزيتونية حاملة شعار الاصلاح الاسلامي العام (4) التي ركزت على تحطيم عوامل الانغلاق والتحجر والجمود الناتجة

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، إلى علماء جامع الزيتونة ، الشهاب ، ج1 ، م 12 ، قسنطينة ، أفريل 1936 ، ص 43 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 237 .

(3) راجع كلمة ابن باديس الخاصة بوجوه الإصلاح العملي بجامع الزيتونة ، آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 180 إلى 183 ، والشهاب ، ج 10 ، م 07 ، قسنطينة ، أكتوبر 1931 ، ص 601 الى 605 .

(4) راجع رأي ابن باديس بعد صدور المجلة الزيتونة ، آثاره ، ج 3 ، ص 126 إلى ص 129 . والشهاب ، ج 10 ، م 12 ، قسنطينة ، جانفي 1937 ، ص 440 الى ص 444 ، وراجع اهتمام ابن باديس بأبناء المغرب العربي في الشرق العربي : الشيخ الطاهر الجزائري وسليمان باشا الباروني الطرابلسي والشيخ الخضر بن الحسين التونسي والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي والشيخ ابراهيم اطفيش الجزائري ، آثاره ، ج 4 ، ص 144 ، 145 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن البنيات الدينية والثقافية الموروثة ، يقول ابن باديس عن هذه المجلة: ((وبعد فإن اسم الزيتونة اسم اسلامي علمي تاريخي عظيم فيجب أن تكون ((المجلة الزيتونية)) ممثلة له مجددة لعهده ، وان في تعاون أساتذة الجامع : شبابهم وشيوخهم على النهوض بهاما يحقق ذلك إن شاء الله ، وأنني أقترح على إخواني القائمين بها أن يضموا إلى قلم تحريرها رجالا من الزيتونيين الذين يعرفون بعض اللغات الغربية ولهم خبرة بحركات العصر من وراء البحر فإن العلم والآداب والفنون تراث الانسانية كلها لاتستقل فيها أمة عن أمة وأكمل الأمم إزاءها من تحسن كيف تحافظ على حسنها وتستفيد من حسن غيرها.)) (1) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس أراد من أبناء المغرب العربي فهم مكونات العالم الحديث لإثبات وجودهم في الصراع الثقافي ، وللتفتح الواعي على ثقافات العالم عن طريق اللغة العربية واللغات الاجنبية ، لأن اكتساب المناعة الثقافية يكون بكسب المعرفة العلمية الشاملة واستغلال القوى الابداعية المغربية ثم ضبط المنهجية الصالحة للعمل والتعامل والتفكير في حقول الثقافة والدين لمواجهة هجمة الاستعمار .

والقاعدة الأساسية التي اعتمد عليها ابن باديس لبناء المغرب العربي كمنطقة سائرة في طريق العمل للتحرر من الاستعمار تتمثل في مشكلة مواجهة التخلف الثقافي والانحراف الديني والجمود الفكري وما ألصق بالتراث من تشويهات ، للدخول من باب كبير يساعد كل الأقطار المغربية على نشر ثقافة عربية إسلامية متطورة واعطاء الدور الحقيقي للاسلام كمحرك للوحدة ((ان الاتحاد الاسلامي والوحدة العربية بالمعني الروحي والمعنى الأدبي وبالمعنى الأخوي هما مجودان ، تزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والاسلام . أما بالمعنى السياسي والمعنى العملي فلا وجود الى اليوم لهما .)) (2) .

بين ابن باديس ان الاتحاد السياسي والعملي في الشمال الافريقي غير موجود لأن المؤسسات السياسية ليست بين أيدي أبناء المغرب العربي لجمع كل القدرات ثم

---

(1) آثاره ، ج 3 ، ص 129 .

(2) ن م ، ص 379 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استغلالها لفائدة المجتمع المغربي ، والنظام الاستعماري (1) لم يضمن تحقيق المطالب والحقوق التي تتكيف مع تطوارت مطامع الفرد والمجتمع ((وما من علاج بعد هذا — والله — إلا تبديل السياسة العتيقة الرثة البالية بسياسة جديدة تعترف لهذه الشعوب بكيانها القومي ، وتفسح أمامها مجال العمل للتقدم والرقي ، وتنليها أعظم قسط من التحرير.)) (2) .

إذن وحدة المغرب العربي عند ابن باديس تتم بالوحدة الثقافية لأن الثقافة بمفهومها الشامل هي السلاح الحضاري السياسي الذي يعمق في المنطقة ضرورة تجنب مخاطر الانحراف والتفرقة بدعائم الثقافة العربية الإسلامية وهي الاسلام واللغة العربية والتاريخ بكل مراحله والتراث الفكري والثقافي والأدبي والأخلاقي بكل أنواعه وأصنافه ، لتتطور مع النشء وتتلاءم مع متطلبات إنهاء المرحلة الاستعمارية ، وليجعلها مرآة حقيقية في حياته المعاصرة تعكس مافيها من تطور لإبراز الذاتية ، وتسيير التفاعل الاجتماعي والتقدم الاقتصادي والعمل الفعال مع كل أبناء المنطقة بتوظيف حكمة وحدة الماضي في خدمة وحدة الحاضر والمستقبل ((حيثما توجهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ وجدنا هذا المغرب العربي — طرابلس ، تونس ، الجزائر ، مراكش — يرتبط بروابط متينة روحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان .)) (3) .

3 — وحدة الوطن العربي :

الوطن العربي عند ابن باديس هو الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، صهرته القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبح وطنا واحدا ، تربط بين أبنائه روابط الدين واللغة ، والتاريخ ، والجنس ، والثقافة ، والأمل ، والآلام ، فظهرت فيه الوحدة القومية والأدبية (4) ، لكن الوحدة السياسية فيه مفقودة لأنه غير حر

(1) راجع اهتمام ابن باديس بالإضراب التونسي بجامع الزيتونة والمشكل السياسي الذي نتج عن هيئة التشريع التونسية المختفية وراء الأوامر الفرنسية . الشهاب ، ج 1 ، م 12 ، قسنطينة أفريل 1936 ، ص 48 ، 49 ، 50 .

(2) آثاره ، ج 3 ، ص 380 .

(3) آثاره ، ج 4 ، ص 144 .

(4) آثاره ، ج 3 ، ص 398 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وضعه ، فيه أمم مغلوبة على أمرها تحت النفوذ الاستعماري ، لاتستطيع أن تضع أمرا لنفسها ، لذلك أصبحت أمرا غير ممكن ، والشعوب المستقلة بدأت بينها وحدة سياسية بعد أن أرادتها ((وقد وقعت في هذه الأيام ـ والحمد لله ـ فعلا بين المملكة السعودية والعراق واليمن ومن المنتظر انضمام مصر والشام إليهم يوم يتم استقلالهما .)) (1) .

ورأى ابن باديس أن وحدة الوطن العربي تكتسي أهمية حضارية تفرض على كل شعب أن يعمل في دائرته الخاصة بما يناسبه من خطط سياسية يستطيع تنفيذها بطرق معقولة مع الشعور الكلي بالوحدة القومية والأدبية (2) ، لثبات الإيمان الخاص بالوحدة ، ولتحمل مسؤولية التعاون بالمصلحة المشتركة التي لاتخضع للحسابات الظرفية ، ولا تؤثر عليها السياسة الاستعمارية ، تضبط العمل الموحد في المشرق والمغرب بعد حضور الإرادة السياسية التي بها يستكمل التحـــرر وتنجز الوحدة التي تهيئ كل الظروف للتقدم العمراني والحضاري والثقافي والاقتصادي .

والتـزام ابن باديس بوحدة الوطن العربي جعله يتضامن مع الشعب الفلسطيني فاعتبر رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واستنكر تزاوج الاستعمار الانجليزي والصهيونية لأنهما قذفا بقسم كبير من اليهود إلى داخل فلسطين والرحاب المقدس ، يقول ابن باديـــس عن فلسطين : ((إن الدفاع عن القدس من واجب كل مسلم .)) (3) .

إذن رأى ابن باديس بعد احتلال فلسطين من طرف بني إسرائيل ضرورة إخراج الصهاينـة المنبوذين من أمم العالم بالمقاومة (4) ، واحتجاجه كرئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تقسيم فلسطين يوضح نظرته التي تهدف إلى إيقاف ما يجري في فلسطين من أرواح ترهـق وصغار تموت ، وحرمات تنهك ، فوثيقة الاحتجاج كانت كالتالـــي :

---

(1) (2) عبد الحميد بن باديس ، آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 399 .
(3) ن م ، ص 415 .
(4) راجع الشهاب ، ج 6 ، م 14 ، قسنطينة ، أوت 1938 ، ص 01 إلى ص 04

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((وزير الخارجيـة الفرنسيـة :

باسم الأمـة الاسلاميـة الجزائريـة أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطيـن ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهـود والمواثيـق الدوليـة حفظ كيانه واستقلاله، وأعتبر هذا المشـروع ضدية قاضيـة على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عـديدة دفاع الأبطال عن شرفـه وحريتـه، واعتداء شنعيـا على جميـع الشعوب العربيـة الاسلاميـة ، وانتهاكا لحرمة الأماكن المقدسـة عند سائر المسلمين ، ولي الأمل في تدخل الحكـومـة الفرنسيـة بكـل سرعة لمنـع هذا التقسيـم.)) (1) .

نستنتج مما سبق ان ابن باديس كان يؤمن بضرورة إحياء العلاقات التي كانت بين أبناء الوطن العربي (2) مبنت فيه بالأمس مدنيات ضخمة غيرته وجعلته يحمل الرسالة الالهيـة إلى العالـم للنهوض بالبشريـة ، وانقاذها من الشر ، والوحـدة التي كانت منتشرة في أقطـاره تتمثـل في خدمة التحرر الذي يمثل الإطار المناسب للعمـل بشرف متأصل واستعداد كامل .

واهتم ابن باديس بالارادة التي تتجه نحو الأهداف التي تبلور وحدة الوطن العربي بتصـور سليم يهيء الأسباب لتعميـق استغـلال تطور جوهر الأحداث لصالح هذه الوحدة بالبعـد عن التعصب والبلايا والفتن ، وبنشر التسـامح العام، وقلع جذور الحقـد من قلوب متبعيه (3) ، ليصبح كل عربي مسلم في دعوته وأعمالـه يتصـف بالحكمـة وتوحيـد الجهود ، لا يهتم بالأمور الطفيلية وكل ماكان منتشرا في الجاهلية ومايريده الاستعمار كالحروب ، والجدل العقيم في أمور دينيـة وسياسيـة مختلفـة .

هكذا ، أراد ابن باديس بوحدة الوطن العربي ، تحقيق اعتناء الانسـان العربي بالاسـلام وبتاريـخ العرب ومدنيتهـم ، لكي لا يخضع للاستعمـار في نظامه ومقوماته ، وليبتعـد عن أسباب التخلـف ، يدعـم أسـس العمـل العربـي في ميـادين الحيـاة ، ويجعـل قضيـة فلسطين

(1) عبد الحميد بن باديس، البصائر، العدد 79، الجزائر، 20 أوت 1937، وراجع الفروق بين العرب واسرئيل حسب تحليل ابن باديس، تفسير ابن باديس، م س، ص 662، 663، 664 .

(2) راجع واجب المسلمين للعناية بتاريخهم ومدنيتهم، تفسير ابن باديس ص 658، 659 .

(3) آثاره ، ج 3 ص 488، الشهاب، ج 2، م 12، قسنطينة، ماي 1936 ، ص 51 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جوهر اهتماماته ، ليكسب قوة حضارية يشرع بها في احداث تغييرات كبرى ((ان عناية القرآن بإحياء الشرف في نفوس العرب ضرورية لاعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر .
وبهذا نستعين على فهم السر والحكمة في اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الاسلامية العالمية ، واصطفائه إياهم لإنقاذ العالم مما كان فيه من شر و باطل . وهذا الشر هو أن ما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها ، والاعتداء بها هو الذي هيأهم لذلك ، ولو كانوا أذلاء لما تهيأوا لذلك العمل العظيم.)) (1) .

4 ـ وحدة الأمة الإسلامية :

عمل ابن باديس على إبراز ضرورة التكامل بين أبناء الوطن العربي وأبناء الشعوب الاسلامية على أساس خدمة الإسلام والتحرر من الإستعمار ، وتجنب الصراعات التي تريدها الحركات التبشيرية (2) بالرجوع إلى مراحل ماقبل الاسلام التي تتميز بالتباين في المشارب والإدراك لقضايا الحياة (3) ، للعيش في سلم واستقرار ، وللوصول إلى أعلى درجات الرقي المادي والأدبي ((نحن المسلمين أعداء الظلم بطبيعتنا الإسلامية نرحم المظلوم ولو كان ظالمنا .)) (4) .

وبين ابن باديس أن أقطار الأمة الاسلامية على اختلاف انظمة الاستعمار الموجودة فيها ، بإمكانها تجاوز أحوالها الظرفية إذا كان كل الأفراد والجماعات يخدمون وطنهم ليس على حساب الغير وللإضرار بسواه لكن لنفعه ونفع ما اتصل به من أوطان إسلامية ، ليكون التقدم بقدر قيام كل واحد بأمره حتى لاتظل الأمة الإسلامية مستعمرة ومنحطة (5) .

إذن أراد ابن باديس ربط الأوطان الاسلامية بجهود كل واحد من أجل القضاء على الاستعمار ومخلفاته وروا سبه ، واعتبر الوطن الخاص القاعدة الفعالة لوحدة الأمة

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . م س ، ص 661 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 2 ، م 12 ، قسنطينة ، ماي 1936 ، ص 55 .
(3) اثاره ، ج 3 ، م س ، ص 488 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، م س ، ص 244 .
(5) راجع الشهاب ، ج 10 ، م 12 ، قسنطينة ، جانفي 1937 ، ص 428 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامية بالأخلاق الإسلامية وبتكوين الفرد المعبر في سلوكه تحمل مسؤوليته الخاصة بخدمة وطنه دون الاكتفاء بالإنتساب إليه ((فأحبب وطنك ولا تبغض أوطان الناس . انفع وطنك ولا تضر أوطانا أخرى . بل اجتهد لأن تكون مصدر محبة شاملة ونفع عام.)) (1)، لأن الوطن الخاص يتبوأ مكانة كبرى ضمن مجموعة أوطان الأمة الإسلامية بالمبادىء الإسلامية والقيم الأخلاقية المتصلة بحق المسلم في تحرره من الإستعمار واسترجاعه لسيادته ((وإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء.)) (2) .

لقد كان ابن باديس واضحا في موقفه الخاص بوحدة الأمة الإسلامية ، فعلى الرغم من أن عمله اندرج في إطار الاصلاح الإسلامي داخل الجزائر ، لكنه حث الجزائريين على ضرورة استبعاد عوامل الاختلافات الدينية والسياسية التي أرادها الإستعمار بين الشعوب الإسلامية (3) ، للتغلب على الظلم والتعاسة ، وللقيام بما فرضه الله بالسلوك الرفيع والآداب السامية ((فلا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير ، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف واجب الوطن الصغير.)) (3) فقسم ابن باديس فيما يخص هذا الجانب الناس الى أربعة أقسام :

1 ـ قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة ((وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان.)) (4) .

2 ـ وقسم يعرفون الوطن الكبير فيعملون في سبيله بكل ما يرونه يعود عليه بالخير والنفع ولو بإدخال الشر والرذائل والخسارة على الأوطان الأخرى ((بل يعملون على امتصاص دماء الأمم والتوسع في الملك لاتردهم الى القوة . وهؤلاء شر وبلاء على غير

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 228 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 481 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 367 .

(4) آثاره ، ج 3 ، ص 376 .

(أ) راجع سيرة الإصلاح الإسلامي ، ن م ، ص 494 ، 495 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أممهم بل وعلى أممهم فهم مصيبة البشرية جمعاء.)) (1) .

3 — والقسم الآخر لا يعرفون إلا الوطن الأكبر وأنكروا وطنيات الأمم ، أنكروا أديانها وجعلوها مفرقة ((وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة ما عرفته البشرية منذ آلاف السنين ودلائل الفشل على تجربتهم ...)) (2) .

4 — والقسم الأخير اعترف بهذه الوطنيات كلها ، وجسد سعادته وفضائله في بيته ووطنه وفي أمته ووطنه الكبير وفي الإنسانية كلها الوطن الأكبر (3) .

نستنتج مما سبق أن وحدة الأمة الاسلامية عند ابن باديس تبدأ بالمحافظة على الأسرة بجميع مكتوناتها وعلى أوطان الأمة بجميع مقوماتها واحترام البشرية بدون تمييز في جميع أجناسها وأديانها بتعاليم الإسلام التي ركزت على بناء الفرد والأسرة والمجتمع ، وعلاقة المجتمعات بعضها ببعض ((هذه وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته.)) (4) .

وركز ان باديس على إبراز المشاكل العديدة التي تعرقل قيام الوحدة الإسلامية التي تصون المسلم وتنشر العدل وتناشد العقل والفكر بالحكم الصحيح والتأمل المستقيم، فشخصها في دور الإستعمار الخاص بإبعاد المسلم في الأمة الاسلامية عن الإسلام وخدمة الوطن واتحاده مع المسلمين والتدبير والتآزر والتشاور ((سنحتفظ للمحسن بإحسانه وللمسيء بإساءته ، والخير أبقى وان طال الزمان به : والشر أخبث ماوعيت من زاد.)) (5) .

واعتبر ابن باديس قيام العالم والسياسي معا بدورهما أساس الوحدة الإسلامية ، بكشف آثار سلوك الاستعمار في كل الأوطان الإسلامية على امتداد فترة الاحتلال ، لتحقيق

---

(1) (2) (3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 367 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج7 ، م13 ، قسنطينة ، سبتمبر 1937 ، ص304 إلى ص307 .

(4) آثاره ، ج 3 ، ص368 .

(5) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص192 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحول فكري وثقافي ونفسي واجتماعي ، وهذا الموقف لا يكون مثمرا إلا بعد الابتعاد عن السكوت والتخوف والغش ((ان السكوت على أعمال الإدارة وعدم انتقادها لا يعد نصحا لها ولا مجاملة ولا احتراما ، وانما هو الغش نفسه والخيانة بعينها ، بواجب الصحافة وواجب النواب تنبيه الإدارة لمواقع الخلل وانتقادها نقدا نزيها يبين له أوجه الحق والصواب)) (1) ، يكشفان للمسلم أن الاستعمار لا يعتبر الاسلام قوامه وشرعيا لسلوكه ونظاما محكما يعمل عليه في حياته (2) ، ويبينان له حال الوطن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والأدبي ، ينتقدان الحكام والعلماء المستبدين والمفسدين ، يشرحان خطورة الخط السياسي الاستعماري في الوطن وفي مجموع الأوطان الإسلامية .

والمقصود من موقف ابن باديس حول هذا الموضوع هو تعبئة أوسع فئات الشعوب الإسلامية في كل وطن مسلم ، لتعميق وعيهم بمسؤولياتهم ، وبالدور الأساسي الذي يجب أن يضطلعوا به في عملية بناء الوطن الخاص ووحدة الأمة الاسلامية ، بالتنبيه إلى العوامل التي تشل العمل الصالح وتنشر الظواهر الفاسدة ، وبالبعد عن الإثم والعدوان ، وبتجنب أسلوب العمل المعتمد على الباطل وضر الأوطان الأخرى .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس رأى دور العالم والسياسي في بناء وحدة الأمة الإسلامية يكون بتحمل كل واحد منهما مسؤوليته ، بهدي العلم ، والشعور بالذات وبالمقومات والروابط ، بالنظر إلى الماضي وحالة الحاضر وإلى المستقبل ، ويتناولان ما في الواقع بعناية موجهة إلى أركان قوية في العمل والمتمثلة في إسماع صوت الواجب في الشؤون الدينية والسياسية والثقافية مع الصمود للوصول إلى الغاية وهي سعادة أوطان الأمة الاسلامية (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 2 ، م 09 ، قسنطينة ، فبراير 1933 ، ص 99 ، 100 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 378 .

(3) ن م ، ص 281 . وراجع الشهاب ، ج 3 ، م 12 ، قسنطينة ، جوان 1936 ، 141 الى ص 147 . والشهاب ، ج 7 ، م 13 ، قسنطينة ، سبتمبر 1937 ، ص 325 ، 326 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هكذا ، أراد ابن باديس بوحدة الأمة الإسلامية في مرحلة الحركة الإستعمارية الحديثة أن تدرج كل الاوطان أعمالها في إطار العمل الموحد والغاية المشتركة التي تجمعهم جميعا ، لأنها أصبحت ضرورة في عصر الإستعمار، بضبط اتحاد إسلامي موحد ، لإحياء روح الوحدة الدينية ((نحن نرمي إلى توحيد الثقافة الدينية العامة بين الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة ، والعمل على تغيير بعض المسلمين الذين صورت الأغراض لهم الإسلام الحنيف تصويرا عكسيا مخالفا لحقيقته فابتعدوا عنه وأصبحوا عالة عليه . فلا بد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي ، على النمط الذي يرضيه روح الإسلام ، وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من استعادة مجدها بين الأمم .)) (1) .

وفي هذا الصدد تمثل الوحدة عند ابن باديس إطارا هاما للتعاون السليم بين كل الأوطان بتحليل موضوعي لكل التجارب والأحداث التي مرت بها الأمة الاسلامية قصد الوصول إلى صيغة صحيحة للوحدة التكاملية التي تمكن المسلمين من أن يصبحوا قوة تشمل كل ميادين الحياة .

5 ـ الإنسانية :

بين ابن باديس بأن الاسلام الدين الصحيح الذي يحترم الانسانية في حد ذاتها ، ويدعو إلى التسابق في الخيرات ، للحفاظ عليها بالقيم الأخلاقية الإسلامية ((ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها)) (2) بالمميزات التالية:

1 ـ التساوي والأخوة بين جميع الأجناس بالأخوة الصالحة ((ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) (الحجرات 13) .

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 495 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 ــ التعاطف والتراحم بين الأمم بما يجمعها وحدة الأصل ووشائج القرابة من بعيد أوقريب ((ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام.))(النساء 01) .

3 ــ التضامن الإنساني لأن الإحسان إلى أمة معناه الإحسان للجميع والعكس صحيح ((من قتل نفسا بغير نفس أوفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .)) (المائدة 34) .

4 ــ التسابق في الخيرات بين الأمم ((لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ماآتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بماكنتم فيه تختلفون.)) (المائدة 50) .

5 ــ العدل العام مع الصديق والعدو ((ولا يجرمنكم شنآن قوم ألاتعدلوا .)) (المائدة09) .

6 ــ الابتعاد عن الاعتداء على البغيض والحبيب ((ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .)) (المائدة 03) .

7 ــ يعترف الإسلام بالأديان الأخرى ويسلم أمر التصرف لأهلها ((لكم دينكم ولي ديني.)) (الكافرون 106) .

8 ــ الإحسان العام ((ان الله يأمر بالعدل والإحسان.)) (النحل 90) .

9 ــ حسن التخاطب العام ((وقولوا للناس حسنا.)) (البقرة 82) .

نستنتج مماسبق أن دعوة ابن باديس إلى الإنسانية تتجه الى انسانية النفس وصفائها وابعادها عن دوافع الأنانية وتخليصها من الميل إلى الاعتداء ، للحفاظ على حرمات ووجود الآخرين ، ولوضع الفرد أمام الهدف الذي به يقترب إلى مصدر التنازع والتخاصم والتنافر والقتال ، وبعبارة أخرى جعل الفرد يرتفع فوق الأسباب التي تؤدي

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 234 ، 235 . والشهاب ، ج 10 ، م 12 ، قسنطينة ، جانفي 1937 ، ص425 ، 426 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلـــى ظهور التفاعل المنحرف في كل ميادين الحياة ، ويكون في مستوى السلوك المتصف بالإطمئنان النفســي والفضائل في علاقات الأفراد والأمم دون الميل إلى التوسع والاعتداء والاستعمار ، يقول ابن باديس عن الاسلام حول هذا الموضوع: ((علمنا أنه دين الانسانية الذي لانجاة لها ولا سعادة إلا به وأن خدمتها لاتكون إلا على أصوله ، وأن إيصال النفـــع إليها لا يكون إلا من طريقه ، فعاهدنا الله أن تقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته ، كـــل ماهو في سبيله ومن ناحيته . فإذا عشت له فاني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها ، فـــي جميع أجناسها وأوطانها ، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها ، وما كنا لنكون هذا إلا بالاسلام الذي ندين به ونعيش له ونعمل من أجله .)) (1)

وبين ابن باديس بأن الانسانية يلجأ إليها البائس ، تساعده على مقاومة بواعث ونتائج الكوارث ، واكتساب الطاقــة الحيوية للانتعاش وظهـــور بذور الرحمة التي تحقق له الآمال الطيبة ((والانسانية حسب شهادة بعض الفلاسفــة وجود روحاني ينهض داخل المرء ينفعل لها عند الحاجـــة ويرضخ لتعاليمها ...)) (2) .

إذن ابن باديس عندما حث مجتمعه على ضرورة التمسك بالإنسانية كان يعرف جيدا أنها ستنمـي فيه وحدة الفكر والعمل في الجهاد ضد الاستعمار في الوطن العربي والأمة الاسلامية وفي كل الدول المستعمرة ، لأن الذي كان يقصده دائما هو احترام الإنسانية في جميع أجناسهـــا وأديانها بالتمييز بين الروح الإنسانية والروح الإستعمارية ((إننا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية والروح الإستعمارية في كل أمة ، فنحن بقدر مانكره هذه ونقاومها ، نوالي تلك ونؤيدها لأننـا نتيقن أن كل بلاء العالم من هذه ، وكل خير يرجى للبشريـة إنما يكون يوم تسود تلك ، فلتسقط الروح الاستعمارية ولتنحدر ولترتفـع الروح الإنسانية ولتنتشر .)) (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 236 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الانسانية كلية الرحمة ، الشهاب ، العدد 18 ، قسنطينة ، فبراير 1926 ، ص 01 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، م س ، ص 53 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفهم من قول ابن باديس أن الإنسانية هي كذلك مجموعة من القيم الأخلاقية التي لها علاقة في الاسهام في تقدم ونمو وسلامة الشعوب المستعمرة أما الروح الاستعمارية فتفضل جنسا على جنس آخر من البشر ولا تحترم الأخوة والمحبة والعمل الصالح ، وتعطل كل العوامل التي تؤدي إلى السير نحو شمولية الإنسانية على البشرية في المعاملات والعلاقات ((واننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الانسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها ، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائر وتحبيب بنيه فيه ، ونخلص لكل من يخلص لنا ونناوئ كل من يناوئه من بنيه وغير بنيه.)) (1) .

هكذا ، نرى موقف ابن باديس الأخلاقي الخاص بالإنسانية انطلق من الاسلام ودوره الفعال في رصيد الانسانية من حيث فعل الخير والاحسان والابتعاد عن الاساءة والظلم ، ليفهم الجزائري الخير والشر بالتفكير واختيار ما هو سليم للقضاء على الاستعمار ثم تطوير التعاون بين أبناء البشرية بالمواقف الأخلاقية التي تعبر عن مصلحة الجميع .

وخلاصة القول نجد مواقف ابن باديس الاخلاقية في السياسة كانت حسب ما كان سائدا في مجتمعه ، لتنوير الجزائري ، بتنظيم وتحديد أهداف الوطن الجزائري ، لكن كيف كانت مواقفه الأخلاقية في الدين والثقافة ؟ هذا ما سنحلله في الفصل القادم.

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 278 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع :

مواقف ابن باديس الأخلاقية في الدين والثقافة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتم الامام عبد الحميد بن باديس بالاسلام ليس فقط بوصفه عبادات ولكن أيضا كعقيدة وعمل وفكر متطور ، يحارب البدع وصنوف الضلال وكل المواقف التي توظف الشعور الديني لخدمة الادارة الفرنسية ((فعلى الناشرين لهدايته ، والمبلغين لدعوته ، أن يجعلوا القرآن إمامهم وحجتهم ومرجعهم ، فإنه هو كتاب الدعوة ، ومنشور الهداية ، وأتباع النبي — ص — هم أتباع القرآن ، وخلفاؤه في التبليغ ، وورثته في العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن وينذرون بالقرآن ...)) (1) .

وركز على الثقافة الوطنية بالأعمال الثقافية التي تعبر عن مدلولها الشامل الذي يتطور مع الأجيال ويتلاءم مع تطورات كل عصر ، ونظرة الجزائري إلى الحياة ، وتفسيره للوجود ، وتصوره للقيم الأخلاقية والعلاقات الإجتماعية ((تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد . ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد . فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات . وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابها ، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها ، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشركه في هذه المقومات والمميزات .)) (2) .

فحددت مواقف ابن باديس الأخلاقية في الدين والثقافة كما يلي :

1 — ابن باديس والطرقية :

رأى ابن باديس أن كل الجزائريين قبل ارتفاع دعوة الاصلاح في المنتقد والشهاب لا يرون الإسلام الا الطرقية التي أدخلت بشيوخها الجامدين الأضاليل وفساد العقائد والتزوير لكل القيم الأخلاقية الإسلامية ، وابتعدت عن الفعل الموافق لماجاءت

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، مس ص ص 36 ، 37 .

(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 353 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به رسالة الاسلام ، وخالفت طريقة وهدي الرسول — ص — وماجاء به من دين ، لم تلتزم بالحق والاستقامة على الطريقة التي امربها الله ، وخرجت عن مارسمته الشريعة الإسلامية ، يقول ابن باديس عن الصوفية ومراتب العبادة مايلي : ((قال ابن القيم في مدارج السالكين خلاصة ((الناس أربعة اقسام : أحدهم من لا يريد ربه ولا ثوابه فهؤلاء أعداؤه حقا . ثانيهم من يريده ويريد ثوابه وهؤلاء خواص خلقه ، ثالثهم من يريد من الله ولا يريد الله فهذا ناقص غاية النقص وهو حال الجاهل — رابعهم — هو محال أن يريد الله ولا يرد منه)) (1) .

إذن الطرقية عند ابن باديس هي الوسيلة الأساسية التي تساعد الإدارة الفرنسية لفتنة الجزائريين وانحرافهم عن الطريق الأخلاقي الإسلامي السوي ، ومن هذا حاربها كوقاية للمجتمع الجزائري ، وعملية وضع الحد الحاسم لوقوع الانحراف والخلاف بين الأفراد والجماعات في الجزائر ، وليدركوا الحق ويهتدوا إليه ، وليبتعدوا عن البدع والخرافات والاعتقادات والأعمال التي تخرجهم عن الإسلام ، ببناء الأقوال والأعمال على القرآن والسنة ((على مرشدي المسلمين أن يعانوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبادات الرقيقة المؤثرة ، في رفق وهوادة متجنبين كل مافيه تقنيط أو تثبيط وأن يعرفوهم بأنهم — وان ساءت نواح من أحوالهم — فهنالك علاجات من الاسلام قريبة ناجعة ، وأن يعرفوا مافيهم من فضائل ومالهم من جد ، ومالهم بهذا الاسلام من قدر وعز ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم على العمل والخير . واذا ذكروا لهم سيئاتهم ذكروا لهم قرب السبيل إلى النجاة منها بالإقلاع عنها فيسرعون بالتوبة والانابة)) (2) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 2 ، م 9 ، قسنطينة ، فبراير 1933 ، ص 88 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 81 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفض ابن باديس أن يتبع الجزائري الطرقية أهل الفتنة والبدع الذين اخترعوا ويخترعون اعمالا واوضاعا وعقائدا من عند أنفسهم ويريدون التقرب بها إلى الله (1) ، وبين له أن أساس الابتعاد عن انحرافاتهم هو الانفراد للرب ، لأن منهج إصلاح الانسان المنحرف يكون بإخراجه من الغفلة والأوهام والجهالات والقسوة بترتيل القرآن الكريم وتدبر معانيه والتزام حدوده ((ان الجاهل بالشيء جاهل به ولو كان من أعلم الناس ببصيرة ، وبما علمه من علم يرافع جهله فيما جهل ، إن هذه الحقيقة من الوضوح بما كان ولكن يحتاج إلى تكرار ذكرها بقدرما يتكرر من وقوع مخالفتها ، ان الناس قسمان : الجاهلون بكل علم ، والعاملون وليس منهم من يعلم كل علم . ومن العجيب ان اهل الجهل أعرف بجهلهم فلا يتكلمون فيما لا يعلمون . وأما أهل العلم فكثير منهم يتجاوزون حدود علمهم فيتكلمون بما لا يعلمون فكأن الجاهلين آيسوا من العلم ولم تكن لهم شبهة فأحجموا وكأن هؤلاء اغتروا بما عندهم فقالوا فيما غاب عنهم فاقدموا وذلك الغرور المبين.)) (2) .

وحارب ابن باديس الطرقية لما عرف مافيها من بلاء لوطنه الجزائر ، فعمل على كشف وهدم أفكارها وأعمالها بتحمل الصعاب ، وأول خطوة قام بها تتمثل في دعوة الجزائري إلى عبادة الله بعقائد وأخلاق وأحكام الإسلام (3) ، وبين له أن سلوكه لا يكون على حق في أمور الدين والحياة إلا إذا ابتعد عن التقليد الاعمى في العقائد ، يرتفع فوق مستوى ما ليس له به علم ، ليكون تفكيره قريبا من الله في سره وعلانيته ، وليصبح قوة تسيطر على البدع التي ألصقها المذنبون بالاسلام ، ويطهر الأفكار من الإعتقاد في الحجر والأشجار والنصب والعظام النخرة والأجساد البالية التي كانت لا تسلك طريق النفع (4) ((.. وتكريم عقولنا ، بتخزيهها عن الأوهام ، والشكوك ،

---

(1) راجع الشهاب ، ج 12 ، م 9 ، قسنطينة ، نوفمبر 1933 ، ص 472 الى ص 474 . وآثاره ، ج 3 ، م س ، ص 73 إلى ص 92 .

(2) آثاره ، ج 3 ، ص 11 .

(3) راجع الصراط ، العدد 04 ، الجزائر ، 09 اكتوبر 1933 ، ص 01 .

(4). راجع السنة ، العدد 09 ، الجزائر ، 05 جوان 1933 ، ص . ومجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخرافات ، والضلالات ، وربطها على العلم وصحيح الاعتقادات .)) (1) .

إذن أساس بلوغ غاية ابن باديس هو تحرير الفكر من كل ماهو في دائرة الشرك بالله والأهواء والخضوع والتذليل ، والتنزه عن المساوئ والمعاصي بالطاعات والإحسان وبناء الحياة كلها على القيم الأخلاقية الإسلامية بالإعتماد على الحجة والاقناع وليس بالاكراه والملامح التي تعرقل نجاح العمل الخالص ((والقرآن قدجاء داعيا إلى النظر ، والتفكير ، والاعتبار ، والتدبير مبينا بما ساق من حجج الله وحجج رسله الطريق الأقوم في الإدراك الصحيح ، والسبيل الأسد في الفهم والتفهيم ، ناعيا على المقلدين تقليدهم ، كاشفا لأهل الباطل عن باطلهم ، ذاكرا من قواطع البراهين البينة الواضحة ، مالا يبقى معه خفاء في الحق ولا ريب.)) (2) .

كان ابن باديس متمسكا بأسباب العلم والاصلاح بالقيم الأخلاقية الاسلامية ، فأمر الفرد أن يتخذ المسجد مركزا للعبادة والتعلم والتعليم ، يتعلم فيه الناس بالوعظ والارشاد (3) ، واذا اتخذ المساجد على القبور للتبرك بآثار الصالحين ، يكون عمله ذريعة الشرك والوثنية ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع : ((إياكم والبناء على القبور ، إياكم اتخاذ المساجد عليها ان كنتم مؤمنين ... فحذار أيها المسلم من فعل أهل الضلال ومشاكلة الأشرار ولا تغتر بكثرة الهالكين.)) (4) .

إن تركيز ابن باديس على المقصود من رسالة الاسلام هو هداية الخلق وإقامة الحجة عليهم ، جعله يدعو الجزائري إلى التمسك بالاسلام بالحكمة ونبذ الجهل والبدع ، وحارب كل من اتخذ شريكا مع الله وارتبط بعبادة الأوثان (5) ((اذا نظرنا

---

(1) عبدالحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس .. ، م س ، ص 106 .

(2) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 227 .

(3) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 69 ، 70 .

(4) عبدالحميد بن باديس ، ن م ، ص 153 ، 154 .

(5) عبدالحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 5 ، م 9 ، قسنطينة ، أفريل 1933 ، ص 196 .
ج 1 ، م 09 ، قسنطينة ، جانفي 1934 ، ص 34 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حالة السواد الأعظم منا معشر المسلمين الجزائريين فاننا نجد هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية على ألسنتهم وهي (بربي والشيخ) وهم يعنون انما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشيخ (بربي والصالحين) (بربي والناس الملاح) (اذا حب ربي والشيخ) (شوف ربي والشيخ) وهي كلها كلمات الشرك كما ترى ، فاما قولهم : (بربي والشيخ) ونحوه فمما لا يجوز أن يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعا لأن ما نفعله هو بالله وحده أي بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه ، واما قوله : (اذا حب الله والشيخ) فمما لا يجوز الا بلفظة ثم . فيكون بمعنى اذا شاء الله ثم شاء الشيخ اذا كان هذا الشيخ حيا وكان الامر مما يمكن ان تدخل مشيئته فيه .

ولقد شب على هذه الكلمات ونحوها الصغير ، وشاب عليها الكبير، وانقطع عنها النهي والتغيير ، حتى صارت كأنها من الكلمات المشروعة ، وصار قلعها من الالسنة من أصعب الأمور ، وأصبحت كلمة بالله وحده ونحوها مهجورة لديهم منسية عندهم ثقيلة على أسماعهم ثقل من يدعوهم إليها ويلهج بها على قلوبهم .)) (1) .

نستنتج من قول ابن باديس أن أشرف طريق للفرد لكي يبتعد عن عبادة الأوثان والشرك بالله هو إدراك معاني وأحكام وآداب القرآن الكريم ليكون متفكرا في مخلوقات الله ومتبصرا في عقائده وخبيرا بأدلتها ، والجهد يكون في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه لأن فيه ((علم مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والأخرى . وعلم النفوس وأحوالها ، وأصول الأخلاق والأحكام . كليات السياسة والتشريع . وحقائق الحياة في العمران والاجتماع . ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والعدل والاحسان)) (2) ، وكذلك هو الاقتداء بسنة رسول الله بأقواله وأعماله ، وبالتأمل في صبره وعدم التراجع عن دعوته وتخلقه بالأخلاق

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 113 ، 114 .
(2) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 39 ، 40 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخلقه بالأخلاق الإسلامية((.. سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم _ إذا تتبعتها قد قررت _ بالفعل _ أصولا كثيرة من أصول المدنية والعمران ، ولهذا كان على قارئها أن يتناولها للفهم والاستنباط والتطبيق على الاحوال.)) (1) .

تدخل ابن باديس بالتوجيه والوعظ والارشاد والتحليل في حياة مجتمعه لتجد البدع والضلالات في عامة الناس من يقاومها ويقضي عليها ، وبين للطرقية ولمجتمعه ان دور الإنسان يتمثل في التمسك بأخلاق القرآن الكريم للوصول إلى درجة التمدن والرقي ، وللسير مع العصر بما يناسب أسباب الحياة الإسلامية الفاضلة وطرق المعاملة الحسنة (3) ، ولا جمال في الحياة إلا باحترام العقل المنصف المرشد المميز الذي يكون مسلما وعصريا في فكره وعمله ، وعمل على جعل كل من كان في غيبوبة فكرية وروحية يهذب نفسه ويبعدها عن الشرك والجماعات التي ضيعته في الفوضى (3) ((حقا اننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته ، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق .)) (4) .

وبناء على ماتقدم نستنتج أن ابن باديس قد أدرك بأن الفرد له الكثير من العوامل التي تؤثر عليه كالبيئة والنشأة والادارة الفرنسية ، لذلك كان موقفه أخلاقيا مع الطرقية ، اهتم بالاسلام في مادته ومضمونه (5) وبتشخيص ومكافحة الأمراض التي ليست أصيلة في المجتمع الجزائري (6) ((وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته اليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة: وهي أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم . فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل

(1) آثاره ، ج 2 ، م س ، ص 232 ، 233 .
(2) الشهاب ، ج 1 ، م 09 ، قسنطينة ، جانفي 1934 ، ص 34 ، وآثاره ، ج 3 ، ص 135 .
(3) الشهاب ، ج 4 ، م 12 ، قسنطينة ، جويلية 1936 ، ص 167 الى ص 172 .
(4) آثاره ، ج 3 ، ص 307 .
(5) راجع اثاره ، ج 3 ، ص 164 الى ص 174 .
(6) ن م ، ص 42 ، 131 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الإصلاح العام . وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة . وكل طرقي ــ أوغير طرقي ــ يكــون أذ ناسماعة ، وآلة مسخرة ، فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله .)) (1) .

هكذا ، كان ابن باديس مع الطرقية ، بين لها ضرورة إبعاد الاسلام عن قوى الإدارة الفرنسيــة التي تسعى للإخلال بتوازن الأفراد والجماعات وتماسكهم ولتسخير الدين لخدمتها ، وحــارب أفرادها الذين ابتعدوا عن الخوف من الله والمسارعة إلى المعروف ثم أنزلوا القرآن من مكانته الحقيقيــة كدستور للحياة إلى المقابر والأموات (2) ، وأبرز أن أسوأ ما يسيء هو الخلط بيــن الفهم والعمل والطموح وعدم جعلهما في تكامل دائم وبعبارة أخرى ركز على أهمية التمســك في العمل الديني النظري والتطبيقي بأحكام ومرامي وأخلاق الشريعة الاسلامية الثابتــة في القواعد والأصول ((العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفســه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال ، وربما اقتربه الجهال فسألــوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل .)) (3) .

2) ابن باديس والبعد الروحي للوطن الجزائري :

اعتمد ابن باديس على مسألة تبليغ الرسالة الإسلامية ، لإحياء الهداية ، ولانبثاق النور فــي النفوس والعقول ، ولتجديد المنهج العملي بالقوة التي تبطل فعالية ظلمات ظلم الحيـــاة ونكبات الزمان بتصرفات مؤمنة أساسها الأخلاق الإسلامية والآراء والأعمال المرتبطة بالاحســان والتقوى ((اليوم وقد عرفنا كيف بلغ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رسالة ربه فلنعقــد العــزم علــى الاجتهــاد في التبليــغ ولنبــدأ بأهلينــا ومــن إلينــا ثم لنعمــل في تبليغ الدين كمــا جــاء به النبي ــ صلى الله عليه واله وسلم ــ .)) (4) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص214 ، 215 .
(2) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص93 الى ص114 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 107 ، 108 .
(4) عبد الحميد بن باديس ، ن م ، ص 206 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين ابن باديس أن أفراد وطنه تندرج أعمالهم تماما في الرؤية السليمة للإسلام المتمثلة في عقد العزم على الاجتهاد في التبليغ ، لأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، لا يرتبط بما هو ضد النور والبيان ، ولا يخضع للجاهل والضال ، وتتسع دائرة إشعاعه لفائدة المجتمع عندما يبتعد الفرد عن الجمود في العلم والعمل ويعمل بالقرآن الكريم وسنة رسول الله ـ ص ـ ، ليفتح أبواب المعرفة ويبتعد عن الشبهات ، وينقذ نفسه من الشهوات ، وليعتمد على الله ثم يجتهد في عمله بعيدا عن الاعجاب به ((نعني اعتبار الدين قواما لنا ومهيعا شرعيا لسلوكنا ، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم من بيننا ، فلهذا إلا نألو جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون ، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير اهله ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية واحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتي ينهضوا كأمة لها حق الحياة ، والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية.)) (1) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس أراد بث فكرة أخلاقية وهي إبعاد الجزائري عن عيشة الذل والإهانة التي أرادها الاستعمار الفرنسي ، ولمواجهة التعصب المسيحي الذي يهدف إلى طمس الإسلام ومقام الرسول الأعظم ، ولتتفتح الأعمال والآراء الأخلاقية عن ثمار القيم الأخلاقية الإسلامية ونتائج مستقبلها ، ولاحياء المجد الإسلامي الجزائري القديم بالعمل الذي يجمع الأشتات ويطور الوحدة .

ان أساس البعد الروحي للوطن الجزائري الذي رآه ابن باديس صالحا وطبقه في الميدان بالمحاضرات في النوادي ، وبالدروس العامة في المساجد ، هو تكوين الفرد

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 277 ، 278 .

~~(2) آثاره ، ج 3 ، ص 277 ، 278 .~~

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوي والمستعد لتوظيف قوته في أعظم الأمور وأنبل الأعمال ، لفائدة بيته ووطنه والانسانية بالسعي والتكسب والتعليم والتدبير والتنظيم والتسييروالنفع والعمل المنتج ((إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب (أ) تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة بصيرة بالدين فتكمل هي في نفوسها ولا تهمل — وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته — تعليم أبنائها . وهكذا ينتشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها وتنفق سوقه فيها . أما إذا دخلت المساجد من الدروس كما هو حالنا اليوم — في الغالب — فإن الأمة تعفى من العلم والدين وتنقطع علاقتها به ، وتبرد حرارة شوقها إليه ، فتجسو نفسها وأبنائها وتمسي والدين فيها غريب . وقد عرف اسلافنا — رحمهم الله تعالى — هذه الحقيقة فحبسوا الأحباس الطائلة على التدريس في المساجد ، التدريس الديني الجامع بين العلم والتهذيب ولو دام ما أسسوه لكانت حالة عامتنا على غير ما نراه عليه اليوم.)) (1) .

وابتعد ابن باديس عن الحقد الديني لأنه اعتمد على ما انبنى عليه الإسلام من الحسن وما جاء به للبشرية من أخلاق إنسانية ، بين للجزائري أن محبة الاسلام تتطلب الابتعاد عن عقائد غير الاسلام والأعمال التي أبطلها وحرمها ونهى عنها ، وعلمه الكف عن التعصب على المخالف له في الدين بالتسامح العام الذي ينمي العمران ويخدم البشرية وينشر العفو الذي يقضي على الطغيان والانتقام والأفكار والأعمال السامة نحو الإسلام (2) ((ومن مظاهر التسامح الإسلامي عند المسلمين وخلو قلوبهم من الحقد الديني الذي طهرها منه الاسلام بما حكم وبما علم ، أنك لا تجد في صفحاتهم

(أ) هكذا وردت كلمة تنتاب في النص .

(1) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 1 ، م 6 ، قسنطينة ، ديسمبر 1939 ، ص 692 .

(2) راجع التبشير الذي شتم محمد — ص — ورد ابن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 279 وما يليها . والصدى الكتسي لقسنطينة وبونة ، آثاره ، ج 3 ، م س ص 490 ، 491 . والشهاب ، ج 2 ، م 12 ، قسنطينة ، ماي 1936 ، ص 54 ، 55 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومجلاتهم الفصول العريضة والمقالات الطويلة في البحث في النصرانية ومقدار انتشارها وأسباب انتشارها ومقاومة انتشارها وماتكون به تلك المقاومة مثل ماتجد ذلك على أتمه وأبلغه وتارات على أنظعة ، في صحف الغرب ومجلاته .)) (1) .

ركز ابن باديس على مطالب الوطن والروح والفكر واحتياجات الفرد المادية حسب ماجاء به الاسلام ، بالابتعاد عن الجهل والانغلاق والتمسك بالعلم والتوجيه الثقافي الأخلاقي واهتم بتوجيه الشباب المتعلم التعليم الأوروبي ، بين له أن الأمة التي لها مكانة بين الأمم هي التي تحترم مقوماتها الروحية (2) بعد أن ينتشلها أولادها مما هي فيه والالتفاف نحوها بتربية النشء على ((محبة العلم والمعرفة والرغبة فيهما والتلهف على مافات منهما والإحترام لمن كان له حظ فيهما.)) (3) ، وعلى ضروريات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بتربية إسلامية تستقر في النفوس للسعي في الحياة .

وتعمق ابن باديس في الدعوة الإسلامية الجماعية التي كان بها انتشار الاسلام في الجزائر بالقرآن الكريم وبالمسلمين أهل التقدم إلى الأمام والفهم والعلم والعمل ، ليبين فكرة التجارة والحرفة بالقرآن لاتجعل الفرد ينهض بما جاء فيه من حق وعدل واحسان لمجتمعه (4) ، وليفهم الجزائري دوره الخاص بخدمة الاسلام واللغة العربية لثبات وبقاء الذاتية الاسلامية في الجزائر (5) ، وليحافظ على الوحدة الدينية ((بحفظ القلوب غير متصدعة بداء الفرقة القتال المعدود في الاسلام من أكبر المحرمات المهلكات.)) (6) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس أراد تثبيت الأخلاق الإسلامية بحسن التربية وما جاء به الاسلام من آداب ، وما شرعه للفرد والمجتمع والبشرية من أعمال ، ولترويض

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 490 .
(2) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، 103 ، 104 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، م ، ص 114 .
(4) آثاره ، ج 4 م س ، ص 28 .
(5) آثاره ، ج 3 ، ص 408 .
(6) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 12 ، م 6 ، قسنطينة ، جانفي 1931 ، ص 770 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفراد الوطن على كل ماينفع الجزائر بالتعاون والبذل قصد بلوغ غاية الآمال ، ولإدراك أسباب قوة العقل والأخلاق والعلم والعمل والتهذيب ، وللتمسك بمنهج الوصول إلى الغاية بالاعتماد على الإتيان ببداية الشيء .

اهتم ابن باديس بالتكامل بين العبادات والمعاملات في الاسلام (1) ، لتثبيت الفرد بالدين والعلم ، ويعمل بالتوبه والصدق ، ويعرف دور الدين الاسلامي في إصلاح وتوجيه وتطوير المجتمع في مجال تعزيز العلاقة بين الأفراد والجماعات وفي ميدان النهوض بكل الوظائف الاجتماعية العلمية والعملية بالصيغ والوسائل التي تطور الانسان بالتكوين ، لأن الوصول إلى القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب إبعاد أهل الفساد من المحيط الاجتماعي ، والقضاء على الفواحش والقبائح والمعاصي يكون بالتوجيه والتوبة واجتناب المعصية والقدوة السيئة ((لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه . فعناية المرء بنفسه ـ عقلا وروحا وبدنا ـ لازمة له ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد ، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملا مشتتا لا يهديه علم ، ولا يمتنه خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه ،)) (2) .

وبين ابن باديس أن الإسلام مكن الشخصية الوطنية الجزائرية من التطور بقيم أخلاقية إسلامية في ظل توازن نفسي واجتماعي وروحي وثقافي ، جعل الجزائر تنظر إلى ماضيها وحال مستقبلها ، لتأخذ الأصول من الماضي ، وتصلح مافي الواقع ، وتمد يدها لبناء المستقبل بما يصلح الحال ((. . نظرية الاندماج يصعب بل يستحيل تحقيقها ، ومن الأسباب في ذلك الأثر العميق الخالد الذي أبقى الدين الاسلامي في نفس الجزائري ،)) (3) .

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس . . ، م س ، ص 259 وما يليها .
(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 02 ، م 12 ، قسنطينة ، جوان 1936 ، ص 103 .
(3) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، العدد 143 ، قسنطينة ، 19 افريل 1928 ، ص 05 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن البعد الروحي للوطن الجزائري عند ابن باديس هو التمسك بأخوة الإسلام والسير بقواعد العمران والاجتماع بالهداية الإسلامية التي تنهض بالفرد والمجتمع من الجهل والفساد والانحطاط إلى درجات التقدم والكرامة ، ولأخذ طريق العلم والعمل والحرية ، وللعمل بكل ماجاء في الشريعة الاسلامية عبادة ومعاملة لبلوغ الكمال في الحياة الفردية والاجتماعية قدر الاستطاعة ((والمثال الكامل لذلك كله هو حياة محمد — صلى الله عليه وآله والسلم — في سيرته الطيبة.)) (1) .

3) أعمال ابن باديس الثقافية :

انطلقت أعمال ابن باديس الثقافة من واقعه الحاضر لتحسين الوضعية الثقافية بتكوين الفرد وجعل المساجد والمدارس والنوادي (2) تتلائم مع طبيعة مهامها الحقيقية بالوظائف المسندة إليها الواضحة في منهج تطوير ورفع المستوى الثقافي العام .

اهتم ابن باديس بتعريف الاسهامات العلمية والثقافية التي قدمها المجتمع الجزائري في شكل دراسات ومقالات ودروس (3) ، ليفهم النشئ أمهات التراث المكتوب وترجمتها ، ويعرف الأحداث التاريخية والوقائع المختلفة فيكتسب القوة التي تؤثر وتضمن التواصل بين الحاضر والمستقبل ، للتعاطي العقلاني مع المحيط والبيئة بفهم التاريخ والاطلاع على كل مآثره ، يقول ابن باديس عن هذا الموضوع مايلي: ((الحياة ماض ومستقبل حال . وما أقل حظنا من الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة ، ذلك الجزء اليسير من الزمن الذي يجيئ حتى يذهب ، ولا يثبت حتى يزول ، ولكن حظنا من الحياة عظيم بالماضي المديد ، والمستقبل البعيد ، بالماضي ، إذا كانت لنا ذكريات نشعربها ، وبالمستقبل إذا كانت لنا آمال نتوق إلى تحقيقها ، وأنه لتتسع حياة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته في سوالف الأزمان وتمتد آماله في غابرها ، حتي يكون كأنه — وهو شخص

---

(1) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، م س ، ص 328 .
(2) الشهاب ، ج 2 ، م 7 ، قسنطينة ، مارس 1931 ، ص 115 ، والشهاب ، ج 4 ، م 09 ، مارس 1933 ، ص 189 . وآثاره ، ج 3 ، م س ، ص 180 .
(3) الشهاب ، ج 10 ، م 05 ، قسنطينة ، نوفمبر 1929 ، ص 33 . والبصائر ، العدد 10 ، الجزائر ، 13 مارس 1936 ، ص 06 ، وآثاره ، ج 3 ، ص 48 ، 195 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد — قدعاش أعمال الاجيال والأمم من السابقين واللاحقين.)) (1) .

إذن ابن باديس عمل على جعل الفرد يوظف مكاسب الماضي في خدمة الحاضر والمستقبل، ويعبر بواسطة الفكر والسلوك عن ماوقع في الجزائر من تشويه لتاريخها وتصويرها في جميع مراحلها التاريخية بأقبح الصور .

ضبط ابن باديس عمله الثقافي الخاص الذي يزيد في أهمية معرفته لماضيه معرفة صحيحة وموضوعية ، فاعتبر التاريخ هو ذاكرة جماعية للأمة ، وندد بالتشويه والتزييف الذي تعرض له التاريخ الوطني على أيدي مؤرخي الإستعمار الفرنسي بصفة خاصة العصر العثماني ، وفكر في إنشاء جمعية جزائرية تحتج على هذا التشويه الباطل ((انه من جنايات الإستعمار الأوروبي على البشرية أنه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الأمم التي ابتليت به وأصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها ذلك ليبرز استيلاءه عليها ، ومن عليها بما زرعه فيها من عمران ، وان كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به . فأمريكا — مثلا — يصورها الاستعمار ويصور سكانها الأصليين بأقبح الصور حتى هب من أبنائها الأصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصور وزيفه.)) (2) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس بعمله الذي أخذ بعين الاعتبار متطلبات الصراع ضد تشويه التاريخ الجزائري نجده لم يعزله عن دعائم الثقافة الوطنية ورصيدها الكبير من الفكر والقيم الأخلاقية ، لإبراز الذات بالانسجام الخاص بمطالب العقل والروح والجسد ، وأعطى أولوية للتراث التاريخي المكتوب بالبحث عن الرجال الذين حققوا الأعمال الحضارية والفكرية ، والدليل على ذلك إعجابه بكتاب الاستاذ أحمد توفيق المدني تحت عنوان : ((محمد عثمان باشا داي الجزائر سنة 1766 — 1791)) ، يقول ابن باديس عن هذا الكتاب: ((انه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب . وأنك إذا ختمته —

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 16 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، ج 7 ، م 13 ، قسنطينة ، سبتمبر 1937 ، ص 319 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيها المسلم الجزائري ـ لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب . . . وتبغض من يجب أن تبغض . . . والحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملتهما في محلهما .)) (1) .

لم يغفل ابن باديس على محاربة الجهل الذي كان بالنسبة إليه العائق الكبير للإبداع والتجديد والاصلاح ، واهتم بكشف المواهب ورعايتها بالتوجيه والتشجيع وتوثيق المدرسة بالمحيط (2) ، لتحسين البيئة الثقافية ، وكذلك لتلبية الحاجات الثقافية التي تعتبر إحدى الاولويات الأساسية لتبليغ المضمون الثقافي الوطني الذي يحدد مكانة الجزائر في العالم المعاصر .

وطبق ابن باديس العمل الثقافي الذي يترجم صراع الجزائر المرير مع الإستعمار وينقل للنشئ صور الاسلام في الفكر والعلوم والفن والعلاقات الجديدة بين أفراد المجتمع ، فعمل على فتح المساجد في وجوه العلماء للوعظ والارشاد ، ووقف أمام من أحدث اضطرابا في وجوه الوعاظ والمرشدين (3) .

نستنتج مما سبق أن ابن باديس عمل على تحقيق التربية الإسلامية والتكوين الديني ضمن كل فئات المجتمع الجزائري ، وهذا العمل يقتضي أن يولي أهل العلم والمعرفة عناية خاصة بالتوجيه في أوساط الطلاب وتوثيق الصلة بينهم ، وتشجيعهم على الاجتهاد بتعزيز دورهم التعليمي في المساجد والمدارس بعد معالجة المشاكل العاجلة .

ان العمل الثقافي العقلاني عند ابن باديس تطلب منه اهتماما كبيرا بالتربية والتكوين كقاعدة ثقافية لحياة فكرية خصبة ، جعل المدارس تتلاءم مع المهام التربوية والثقافية المسندة لها ، واعتنى بوسائل وأسلوب توحيد التعليم ووسائل تنظيمه وترقيته (4) ،

---

(1) آثاره ، ج 4 ، م س ، ص 35 .

(2) راجع التربية والتعليم في الفصل الخامس ، ص 126 .

(3) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 195 ، 196 .

(4) البصائر ، العدد 80 ، الجزائر ، سبتمبر 1937 ، ص 05 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجابه كل العراقيل التي افتعلت لتعطيل التعليم الديني واللساني (1) ، وشجع كل المبادرات التي تربي النشئ تربية إسلامية يحافظ بها على الشخصية الوطنية ويثقف أفكاره بالعلم وتعلم الصنائع (2) .

إذن لم يقصر ابن باديس في تنظيم وتطوير التعليم وربطه بالتطور الثقافي الذي يتوقف على تكوين الفرد ، لكنه لم يبق جامد أمام التضييق المتزايد على التعليم الإسلامي ، ندد وعمل على فتح المساجد المحجرة والمدارس المعطلة والكتاتيب المغلقة ، ولعب دورا حضاريا باستنكاره التام (3) على متابعة المعلمين في المحاكم ودفع أبناء الجزائر في الشوراع ((أن المسلم لا يستسلم ، بل يعمل ولا ييأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.)) (4) .

وعمل ابن باديس على تطوير الجانب الوجداني الذي لا يمكن انتزاعه ولا التسلط عليه وهو الدين واللغة ، لأن الأمة الجزائرية أمة إسلامية الدين عربية اللسان ، والموقف الثقافي الأخلاقي .يفرض عليه التفطن للتشريعات الإستثنائية والمعاملات الإدارية التي تستهدف محو التعليم الإسلامي العربي ، وتحمل تبعات التربية والتثقيف (5) .

وبناء على ماتقدم فإن أعمال ابن باديس الثقافية تأصل الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري ، وتعمل على نشر الأخلاق الإسلامية والأفكار الأخلاقية التي تعبر عن تطلعات النشئ وتحلل التخلف الذي يجعل الفرد غافلا عن الواقع الذي تنشأ فيه الثقافة .

هكذا ، كان موقف ابن باديس الأخلاقي في الثقافة والدين ، شخص الكيان الحضاري الذي تنتمي إليه الجزائر ، واعتنى بالثقافة الدينية الإسلامية والإسهامات العلمية والفكرية والأدبية ، وجعل المدارس مهيأة للعمل الثقافي وذلك عن طريق تعريفها بدورها الكامل .

---

(1) آثاره ، ج 3 ، م س ، ص 190 (مقال بعد عشرين سنة في التعليم نسأل : هل عندنا رخصة ؟

(2) نم ، ص 268 وما يليها ، راجع اهتمام ابن باديس بجمعية التربية والتعليم الاسلامية .

(3) راجع برقية شكوى واستنكار وجهها ابن باديس الى رئيس الوزارة الفرنسية بعد صدور قانون 08 مارس ، كتاب قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 335 ، 336 ، 339 .

(4) عبد الحميد بن باديس ، قال الشيخ الامام عبد الحميد بن باديس ، م س ، ص 339 .

(5) آثاره ، ج 3 ، ص 24 ، 268 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاصة الباب الثاني

=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =

من خلال ماتقدم انتهيت إلى نتيجة هي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس يرى ضرورة الإعتماد على التربية والتعليم والصحافة والمسجد كوسائل أخلاقية ضرورية للعمل الأخلاقي ، وعمله بها كان أخلاقيا واقعيا ، اعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح ومقومات الشخصية الوطنية ، فحدد أعماله الأخلاقية بنظرة تقوم على الدين والوعي الوطني والعلم والأخلاق .

وقد قام ابن باديس بأعمال تربوية وتعليمية وتثقيفية ودينية وصحافية في حدود إمكاناته وطاقته ، فسلك طريقة تربية وتكوين النشئ والمجتمع حسب واقع مجتمعه المستعمر ، واستطاع بمواقفه الأخلاقية في السياسة أن يعبر بحكمة عن رذائل السياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر ويربط الوطن الجزائري المستعمر بوحدة المغرب العربي ووحدة الوطن العربي ووحدة الأمة الاسلامية وبالانسانية . وبذلك حقق أهدافا سياسية ، ثقافية ، حضارية ، كان لها الأثر الإيجابي في أعماله الأخلاقية ، وفي إثراء الفكر الأخلاقي الجزائري في تلك المرحلة .

لقد قوم ابن باديس آراء وأعمال العلماء الدينية ، ولم يحصر البعد الروحي للوطن الجزائرى في الأمور الأفقية بل جعله يشمل مطالب الوطن والروح والفكر واحتياجات الفرد حسب ماجاء به الاسلام ، وأعماله الثقافية عبرت عن روح الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

إن أهم ما يمكن استنتاجه من العوامل التي أثرت في تكوين فكر ابن باديس الأخلاقي يتمثل في العناصر الأساسية التي ساهمت في تطوير آرائه الأخلاقية بعقائد وعلوم الإسلام ، وفي تمسكه بالسلوك الثقافي والحضاري العربي الإسلامي ، وقد حددت مضمون هذه العناصر فيما يلي :

1 ـ سمو الفكر الأخلاقي الإسلامي عن الانحطاط وبعده عن الإفراط في العلوم الكونية والتفريط في العلوم الشرعية . لذلك فإن التمسك بالآراء الأخلاقية الإسلامية الصحيحة يتمثل في إحياء التراث الفكري والروحي وادراك مفهوم الإسلام كرسالة سماوية تتناول بناء الفرد والمجتمع وتهذيب سياسة الأفراد والجماعات في علاقات بعضهم ببعض .

2 ـ منهجية الحركة الإصلاحية القائمة على أصول وتعاليم الإسلام وهو ما يتناقض مع هدف الإستعمار المتمثل في تغيير وضع الأمة الإسلامية بإبعاد الإسلام عن حياتها وجعله خرافات وبدعا ، دون أن تكون له فعالية في حياة الأفراد والجماعات وتوجيه سلوك وسعي المجتمع .

3 ـ الثقافة الدينية ، السياسية ، التاريخية ، التي جعلت ابن باديس يحارب الذين تسببوا في انحدار قيمة كتاب الله وتعاليمه الاسلامية في مجتمعه ، وذلك بنشر المقومات الأساسية للشخصية الوطنية المتكاملة والمتمثلة في الكيان الحضاري العربي الإسلامي ، وتمكين اللغة العربية من أداء وظائفها الثقافية والحضارية والعلمية والعملية ، بوصفها مفتاح العقيدة الإسلامية في دعوتها الإسلامية عبر التاريخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4 - إدراك ابن باديس أخطار انحراف السلوك الأخلاقي ، وتخطيطه للقضاء على الفجوة المتسعة التي تفصل الفرد والمجتمع عن الأخلاق الفاضلة ، بتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله ، واقتدائه بآثار السلف الصالح .

5 - استنتاج ابن باديس أن الضعف والانحلال من صنع المسلمين وليس من خلق الاسلام بعقائده وأحكامه وآدابه .

إذن هذه النتيجة جعلتني أفكر في جانب فلسفي لا يزال صالحا للبحث وهو تحليل التقاء هذا المضمون الأخلاقي بأفكار وأعمال الفلاسفة ورجال الفكر وعلماء الدين كل حسب اختصاصه ، لأن ابن باديس شخص علة ضعف مجتمعه ، وبحث عن القيم الفاسدة التي نتج عنها العجز والتخلف والفساد ، وعمل لينهض مجتمعه باكتساب المعرفة ونشر التثقيف والتنوير ثم القضاء على التناقض والاختلاف بين القيم الأخلاقية والعمل الممتزج بالأمراض الاجتماعية المنتشرة بين الخاصة والعامة .

واتضحت لنا من خلال ذلك كله حقيقة جديدة هي أن الأخلاق الدينية عند ابن باديس تمثل الثروة الروحية التي تتحول إلى قوة أخلاقية ، تجعل الفرد يسير فيما يوجهه الاسلام إليه بالعبادة التي لا تكون إلا لله ، لأنني وجدت آراء ابن باديس الأخلاقية الدينية قد أعطت للعقل مجاله الواسع للتفوق في العلم ، وأبعدته عن التعارض مع الشرع ، وبينت أن قدرة الانسان لا تساوي القدرة الربانية ، وأوضحت أن جوهر الاعتراف بوجود الله وعظم مخلوقاته هو الاعتراف بالسببية والعمل بما جاء به الشرع مع الايمان بالقضاء والقدر .

وتأكدت لنا حقيقة أخرى هي أن الأخلاق الدينية عند ابن باديس من ناحية المنهج تتمثل في المعرفة الصحيحة التي يعتمد عليها الفرد في عباداته ومعاملاته بالبحث عن أسباب الضعف بطريقة الأخذ بالأسباب التي تقضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على التطبيق المنحرف للإسلام ، والايمان بتوجيه القرآن للإنسان والمجتمع لرفع العوائق التي تعوق تطوره في الابتعاد عن العجز والانحراف والفساد .

وهكذا اكتشفت أن ابن باديس وفق بين النظرة العقلية والنظرة الأخلاقية حين استنتج نظرة معبرة عما يوجد من تكامل في الانسان ، تجمع بين البدن والنفس ، مستدلا على وجود النفس وارتباطها بالبدن وعلى اتصافهما بالصلاح والفساد من خلال أعمالها ، موضحا أن الروح تختلف عن النفس ، مركزا على ضرورة تهذيب الغرائز في كل الأعمال بميزان الشرع الذى يقوم عليه التقويم ، حتى يكون الضمير الخلقي متصفا بالإتزان النفسي ونور العقل ومتمسكا بالقرآن الكريم الذي هو مصدر كل يقين .

واعتمادا على ماتم تحليله تبين لي أنه لا يوجد فرق كبير بين الأخلاق الفردية والأخلاق الإجتماعية عند ابن باديس ، لأنه أعطى أولوية لدور الفرد في تطبيق أوامر ونواهي الشرع الموضوعة من أجله في المجتمع ، وركز على التكافل والاتحاد بمكانتهما في تحمل التبعات وتطوير الروابط بفضائل القيم الأخلاقية الإسلامية .

أما آراء ابن باديس في أخلاق السياسة فقد جعلتني اكتشف الفرق الموجود بين النبوة والملك في الطبيعة والأصول ، واعتماد ابن باديس على الأسس الأخلاقية التي تحقق العدل والمساواة في الدولة ، فحددت ذلك في المحاور الكبرى التالية :

1 ـ الجمع بين الدين والسياسة .

2 ـ التكامل بين الرحمة والقوة في السياسة .

3 ـ احترام الشروط التي بها يسير الحاكم شؤون السلطة .

4 ـ بواعث انهيار الأمة المتمثل في إهمال القرآن الكريم وجهل العلم وعدم التمسك بالشورى .

واستنتجت أن ابن باديس قد أعطى مفهوما جديدا لمنصب الراعي ، لأنه لم يحدد دوره في الجانب الديني بل كذلك في تسيير النظام السياسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هكذا ، أوضح ابن باديس بمنهج توجيهي للفرد والمجتمع معنى الأخلاق ، مما جعلنا نكتشف أفكاره الأخلاقية التي اعتمدت على إيقاظ الجانب الأخلاقي وتقويته عند الأفراد والجماعات والجتمع ، لكن هذه النتيجة دفعتنا إلى استنتاج فكرة جديدة تستحق البحث والتحليل ، وتتمثل في مقارنة آراء ابن باديس الأخلاقية بآراء ابن سينا وابن رشد وابن العربي وابن خلدون وابن تيمية ، لاكتشاف عناصر الإلتقاء ونقاط التباين والتطور ، ولمعرفة استفادة ابن باديس من طبيعة التكامل الأخلاقي والعقلي الذى به فسر مفهومه للأخلاق .

واتضح لي أن ابن باديس عندما اعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح والشخصية الوطنية والحكمة الإسلامية لم يهمل عناصر إعادة الوضع الأخلاقي السوي وتثبيت القيم الأخلاقية الإسلامية ودعم نشرها ، لأنه حصر اهتمامه في العناصر التالية :

1 ـ تعريف الفرد بالرباط الأخلاقي السائد في مجتمعه بغض النظر عما لابسه من بدع وخرافات .

2 ـ تشخيص علاقة الفرد بالمجتمع باعتراف حقوق وواجبات بعضهم بعضا .

3 ـ إبراز الأخلاق التي نظمت علاقة المسلم بغيره وبمجتمعه المبنية على العدل والرحمة والخير والعمل في دفع الضرر عن النفس والحياة الاجتماعية .

4 ـ تحديد مقومات الشخصية الوطنية التي لا تختلف عن مضمون الشخصية العربية الإسلامية ، والشخصية الإنسانية التي تفاعلت فيها ثقافات وحضارات البشرية .

5 ـ الإقتداء بحكمة الرسول ـ ص ـ الذي كان يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

إن هذا المحتوى الخاص بمصدر ومنهج الأخلاق عند ابن باديس هو الذي جعلني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتأكد أن ابن باديس قد حفظ وفسر وطبق ماجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، واعتمد على العلم بمقاصد الشرع وأحوال المجتمع ، وأكتشف أنه قد ربط بين المعرفة والأخلاق وبين العلم والتطبيق وبين الأخذ والعطاء وبين الدفاع عن الذات ومجابهة العوامل السلبية الخاصة والعامة للمحيطين الداخلي والخارجي .

والقصد من كل هذا يتمثل في أهمية استخلاص حقيقة جديدة هي أنه لم يعتبر الإسلام مجرد معرفة بالمعنى الفلسفي السائد ، ولم يفرغ الشخصية الوطنية من أسسها التاريخية واللغوية والدينية والحضارية والثقافية ، ولم يبعد العقل عن التفكير المتزن والرأي السديد ، وهذا الجانب هو نأمل أن يتناوله الباحثون في المستقبل بمنهج تحليلي نقدي يعمق فكر فلسفة الأخلاق لدى رجال الإصلاح والمجددين .

وتبين لي أن هدف الأخلاق الذي حدده ابن باديس شمل تحقيق فعالية إصلاح المجتمع الجزائري بالتعاون العملي والتكامل الصادق والمتكامل وبتماسكه أمام الاستعمار الفرنسي الذي عمل على انحلاله وفنائه بعوامل إضعاف التكافل الإجتماعي لديه .

إذن تعتبر الأخلاق النظرية عند ابن باديس إسلامية في المضمون و المنهج ، ووطنية في الهدف ، جمعت بين الفعالية وبين الاسلام والحرية ، فالصفة الأولى اعتبرها ضرورية للتنظيم الذي يفرضه مجتمعه ، لتحقيق المبادىء الأخلاقية العليا التي ترتفع فوق مطامع الاستعمار الفرنسي ، بمجابهة المشكلات والانحرفات المتصاعدة ، ولإحراز التقدم الإجتماعي ، والصفة الثانية فهي أيضا جوهرية لجعل أخوة المسلم للمسلم حقيقة مطبقة في الواقع أما الصفة الثالثة فهي أيضا أساسية لضمان كرامة وعزة الجزائري والجزائر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الاستنتاج دفعني إلى عرض الجانب الأخلاقي النظري الذي يحتاج إلى التعمق والنقد، لأنه يتمثل في البحث عن الخلفية السياسة والحضارية والثقافية والأخلاقية والدينية التي جعلت الأخلاق النظرية عند ابن باديس تنظم الأهداف حسب الظروف الصعبة المتصاعدة، دون أن تهمل التصور الصحيح للمجتمع الجزائري بتراثه الثقافي والحضاري .

ولكن عندما اعتمد ابن باديس على وسائل الأخلاق العملية لتطبيق أفكاره الأخلاقية، استنتجت أنه كانت له قدرة قوية لتقوية إمكانات الإصلاح بالقيم الأخلاقية التي تجعل الفرد والمجتمع يدافعان عن الوطن الجزائري .

استعمل ابن باديس التربية والتعليم كأداة فعالة لتكوين واصلاح مجتمعه، واهتم بعقلنة ورصد الإمكانات لإحراز التقدم في تلبية مطالب مجتمعه التربوية بإبعاد هذه الوسيلة عن العجز في مقاومة رواسب الجهل والفساد، فبعد تحليل هذه الوسيلة خرجت بالنتائج التي حققها ابن باديس، وحددتها كمايلي :

1 ـ تطبيق برنامج تعليمي وبيداغوجي وعملي جزائري شامل .

2 ـ اعتماده على كفاءة الإطارات التربوية والتعليمية الجزائرية في مدارس التعليم العربي الحر .

3 ـ إيجاده الأسلوب العلمي الجزائري الجديد الذي يركز على تلقين التلاميذ القيم الأخلاقية الاسلامية والتاريخ الوطني وواقع المحيط الاجتماعي .

4 ـ بناء قاعدة مادية وطاقات بشرية لتوسيع شبكة التربية والتعليم في كل مناطق الوطن بالإعتماد على الشعب الجزائري .

5 ـ مجابهة ازدواجية التعليم التي أرادتها الإدارة الفرنسية .

6 ـ تطور سلوك الفرد الأخلاقي حيث أصبح يجابه المشكلات التي تعترض المجتمع الجزائري بالوعي والتحليل والعمل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن أهمية هذه الوسيلة في تربية وتكوين النشء عند ابن باديس دفعتني إلى اكتشاف نقص الدراسات الفلسفية التي تبرز البعد الأخلاقي في فلسفة ابن باديس التربوية ، والمنهج الأخلاقي الذي أدخل تطورات جذرية على مضامين البرامج والتنظيم ، والهدف الأخلاقي المسطر حسب المراحل التي كانت سائدة .

واستنتجت أن ابن باديس اعتمد على الصحافة لما لها من آثار أخلاقية اجتماعية ثقافية حضارية سياسية ، وليتحكم في الأفراد والجماعات بالأفكار الأخلاقية والإسلامية التي تسير أعمالها ، مدعما إياها بما تستحقه من عناية رغم الصعوبات ، لتلعب دورها الحضاري في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري إلى أن يبلغ استرجاع سيادته .

والنتائج التي حققها ابن باديس بالصحافة كوسيلة أخلاقية توقفت على تطويرها والعناية بمضمونها بنفوذ مصداقيتها وآثارها الأخلاقية الفاضلة فتحقق في الواقع مايلي :

1 ـ انتشار الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي بقوة الوازع الديني .

2 ـ تشخيص الواقع الاجتماعي باهتماماته المتنوعة ، بتحليل موضوعي وبقيم أخلاقية في التوصيل والتعبير وإبداء الرأي .

3 ـ النقد الوطني والأخلاقي والعملي لإجراءات وتشريعات الإدارة الفرنسية .

4 ـ التثقيف الشامل لكل فئات المجتمع بالمواضيع الدينية والتاريخية والثقافية والسياسية بمنهج متطور يراعي المنظور الثقافي والحضارى الجزائري .

إذن هذه النتائج تطرح علينا نقطة خاصة تصلح لدراسة التخطيط الأخلاقي الذي قام به ابن باديس ، والمنهج العملي الذي استعمله في التصدي للإعلام الفرنسي بالعلم والمعرفة والاهتمام بتغسيرات الحياة في الجزائر ، فكل باحث حسب اختصاصه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستطيع البحث عن الإطار النظري والعملي الذي عمل به ابن باديس بجهد ذاتي وبإمكانات محدودة .

إن تمسك ابن باديس بالمسجد كمدرسة للتهذيب والاحسان وتقويم السلوك وابعاد الفرد عن سوءفهم الاسلام والانحراف في التمسك به ، جعلني أستنتج النتائج التالية التي أضعها أمام كل باحث ليعتمد في تحليل المنهج والأسباب التي أدت إلى ظهورها :

1 ـ أساس التعليم المسجدي عند ابن باديس يتشخص في التفكير والعلم والسلوك الخلقي ، لتكوين شخصية الفرد وتنميتها بالاسلام والحضارة العربية الاسلامية التي أسهمت في البناء الحضاري الانساني .

2 ـ مساهمة المسجد في تعديل اتجاهات الفرد المنحرفة بالسبل الدينية الأخلاقية .

3 ـ تغلب المسجد على الغزو الصليبي وما يتعلق ببرامجه ونشاطه وعنصره البشري .

لكن ابن باديس بعد اعتماده على وسائل الأخلاق العملية فشل في توحيد الحركات السياسية الجزائرية بمواجهة التناقضات ، لأنّ مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري كانت متباينة ومتناقضة ، ثم نجد موقفه الأخلاقي في السياسة تغير جذريا من ناحية المنهج ، حيث وضع مصلحة الجزائر فوق كل التهديدات الفرنسية المتصاعدة بالايمان بالله وبالاسلام ، وقوى الهداية والحكمة في مجتمعه بصيانته من البدع والظواهر الفاسدة .

إذن العناصر الأخلاقية التي اعتمد عليها ابن باديس في محاربة السياسة الفرنسية الاستعمارية كانت مركزة على :

1 ـ ضمان تكوين أخلاقي سياسي متكامل في كل ميادين المجتمع الجزائري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 ـ الحرص على تعزيز مطالب وحقوق الأهلي وخلق الشروط المادية التي تطور القدرة في التحكم في الثروة المحلية وفي القرار السياسي الخاص بالاصلاحات التي تمس الجزائر .

واكتشفت من اهتمام ابن باديس بوحدة المغرب العربي أبعاده الإستراتيجية الشاملة وهي :

1 ـ نشر الوعي الوحدوي بالفكر الأخلاقي الراقي والسلوك الأخلاقي القويم المحارب للبدع والخرافات والفساد ، والمواقف الملتزمة بتطور تطلعات أبناء المغرب العربي .

2 ـ العمل على بناء قاعدة الوحدة المغربية بالاسلام واللغة العربية والكيان الحضاري والتراث ومختلف الإسهامات الفكرية والادبية والثقافية .

3 ـ الجهاد الدائم لبناء الوحدة بتحويلها من الجمود الذي أراده الاستعمار إلى التطور بالتنوير الذي يرسمه الإسلام والتاريخ المشترك والعقل المتبصر بالمعرفة الصحيحة المستخلصة من الواقع التاريخي .

4 ـ الاعتماد على العلم الصحيح والأدب الراقي والعمل الثقافي والطرائق الأخلاقية التي تعمق الإحساس بضرورة الوحدة ، وتنشر التوجيه والتشجيع للتفتح على الثقافات الأخرى .

واتضح لي أن وحدة الوطن العربي عند ابن باديس أساسها الأخلاقي الصحيح هو الاتحاد الروحي والأدبي والسياسي ، بإزالة العوائق التي تعرقل النشاط والاصلاح والاحتكاك والانسجام ، وبتدعيم العمل الجماعي وتوثيق الروابط الاجتماعية والثقافية والروحية من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي .

وتركيز ابن باديس على ضرورة استرجاع فلسطين جعلني أستنتج فكرة أخلاقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جديدة باديسية برؤية أخلاقية قومية تتمثل في العناصر التالية :

1 ـ ان وجود الكيان الاسرائيلي في فلسطين يعرقل علاقة أبناء الوطن العربي السياسية والاجتماعية والثقافية وكل ماله علاقة بالعمران .

2 ـ بقاء القوة الصهيونية داخل فلسطين يجمد العناية الكاملة بالقوة الذاتية الدافعة لوحدة الوطن العربي .

واستنتجت أيضا أن العنصر الأساسي لوحدة الأمة الاسلامية عند ابن باديس يتمثل في الاهتمام بالقيم التي تنبثق عن الاسلام ويجسدها في الواقع العالم والسياسي ، للقضاء على التخلف الذي أراده الاستعمار في ضعف تطبيق الاسلام والتخلي عما في القلوب والعقول من إيمان خاص بوحدة الشعوب الإسلامية بنظام الإسلام الذي يقود المجتمع الإسلامي الجديد ، ولا يبعاد المسلم في أي مكان عن الخضوع للقيم الأخلاقية العرقية والحقد الذي كان سائدا قبل الاسلام .

إن النتائج التي أرادها ابن باديس بوحدة الأمة الإسلامية تتشخص إذن في المحاور الكبرى التالية :

1 ـ تحقيق وحدة صف الشعوب الإسلامية بالإيمان بالله وبتقوية روابط المجتمع الإسلامي بتمجيد القيم الأخلاقية الإسلامية .

2 ـ الحد من التدهور الذي نشره الاستعمار في إعاقة التقدم ونشر التجهيل وتكوين التفكير المستلب والسلوك الرافض للإبداع والتجديد .

3 ـ القضاء على التناقضات العديدة المتمثلة في خضوع التفكير لتأثيرات الغرائز والعوامل المتنوعة التي تحد من عقل الفرد في معرفة القيم العليا والمثل السامية في الحياة .

4 ـ الإبتعاد عن المشاكل المفتعلة التي تؤدي إلى ظهور عوامل التوتر والصراعات والحروب كما كان ذلك قبل مجيء الإسلام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما آراء ابن باديس الأخلاقية في الجانب الإنساني فقد جعلتني أستنتج العناصر الصالحة لدراسة القضايا الإنسانية التي اهتم بها ابن باديس :

1 _ قيام الانسانية على الايمان بالله ومكافحة الطغيان والاستبداد والانحراف عن الطبيعة البشرية المهذبة .

2 _ الأساس الأخلاقي للنظرة الإنسانية والمتمثل في عدم الإستجابة لدوافع الأنانية ، المتمسك بتنمية الوعي بالمجتمع والبشرية بصيانتهما من الانحلال والفساد والضعف .

ومن الجوانب التي يمكن ملاحظتها في مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة العوامل العديدة التي أثرت في المواقف والهدف ، والسلوك الجديد الذى نتج عنها ، فكل هذا دفعني إلى طرح مبادئ ابن باديس التي تحتاج إلى تحليل شامل يستخلص منه الموقف الأخلاقي الجوهري في السياسة بالعناصر التالية :

1 _ عمل ابن باديس كان مع الحركات السياسية لا للحركات السياسية .

2 _ تلاؤم عمل ابن باديس السياسي مع العمل الاجتماعي بالمرونة حسب ظروف البيئة والوسط السياسي .

وتبين لي أن مواقف ابن باديس الأخلاقية في الدين نتج عنها انتشار فكرة أخلاقية تثبت أخطار الطائفية والتفكك في العلاقات الخاصة والعامة بين الأفراد ، ليبقى الانسان متمسكا بالعبادات التي أمر بها الاسلام ، والسلوك المتزن العادل الذي يقضي على الوثنية والخرافات والشعوذة ، لأن ابن باديس لم يهمل القدرة العقلية والخلقية التي توجه الفرد إلى تثبيت نفسه ومجتمعه بالاعتقاد الصحيح والقرآن الكريم .

وفي البعد الروحي للوطن الجزائري توصل ابن باديس بمنهج متجدد إلى نشر فكرة أخلاقية خاصة تتمثل في ضرورة إرجاع الجزائر إلى حالتها التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتصفت بها قبل الاحتلال الفرنسي باسترجاع دورها ومكانتها بالمناعة التي تجنبها البعد الصليبي للإستعمار .

وعلى أي حال فإن ابن باديس بأعماله الثقافية ركز على المضمون الذي سبق تحليله ليحقق الأهداف التالية :

1 ـ معرفة التاريخ الجزائري معرفة صحيحة وخاصة الفترات القديمة والاسلامية والأقرب من المجتمع الجزائرى المستعمر .

2 ـ تعزيز دور مدارس التعليم العربي الحر في نشر العناصر الأساسية للثقافة الوطنية والاستفادة من العلوم والإكتشافات الانسانية .

3 ـ تطوير منهج تهذيب المعاملات والسلوك والنظرة الجماعية والتفكير والعلم .

وبناء على ماتقدم لا أزعم أنني تعرضت لكل أفكار ابن باديس الأخلاقية وتطبيقاته لها في الواقع بل حاولت فقط أن أركز على الجوانب الأخلاقية الأساسية التي بينها بأفكاره واهتمامات وأعماله المرتبطة بالسياسة والدين والعلم والتربية والثقافة ، فكان لها أسس وميزات وملامح خاصة انفرد بها ، ومن هنا يمكن اختصارها فيمايلي :

1 ـ مصدر الفكر الأخلاقي الاسلامي القرآن الكريم ودليله الصحيح للآراء الأخلاقية الفاضلة السنة النبوية .

2 ـ إدراك الأخلاق الدينية ، الفردية ، الاجتماعية ، وأخلاق السياسة ، يتم بحفظ وتفسير القرآن الكريم ، وبالتحكم في المعارف والاستفادة من تكاثرها ، وبتجنب أثر الإهمال والجهل على صيرورة المجتمع .

3 ـ تطبيق الأخلاق النظرية المعتمد على الرباط الوثيق الذي يصل بين التفكير والتنفيذ حتى لا يصبح المفكر بضميره الخلقي يحس أنه المسؤول الأول والوحيد عن بقاء مساوئ مجتمعه .

والقصد من هذا التحديد هو الإلمام بهذه الجوانب لمعرفة الفكر الأخلاقي الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى مرحلة استرجاع الاستقلال الوطني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الإشكالية التي لاتزال قائمة في الفكر الأخلاقي الباديسي تتمثل في التساؤلات التالية :

هل تأثرت الأخلاق الباديسية بفلاسفة الاسلام ؟ فإذا كان ذلك صحيحا فما هي الآراء التي تأثرها ابن باديس؟ وفي أي شيء طورها وكيفها مع مجتمعه ؟ وكيف نشخص التأثر بالفلاسفة والمصلحين ورجال الفكر الآخرين ؟ وما هو المنهج الذي يتبع لإبراز هذا التأثر في مختلف الجوانب الاخلاقية ؟

إن هذه التساؤلات قد تكون مستقبلا مادة لبحث أكاديمي سيجيب عنه كل باحث حسب تخصصه واهتمامه بالجانب الأخلاقي الذي يراه مفيدا للفكر الأخلاقي .

وبعد ، فإذا وفقت في إبراز جوانب الأخلاق عند ابن باديس بين النظرية والتطبيق، وأكدت ذلك فقد حددت لهذا البحث هدفه، وإلافقد وضعت المقدمات، وبدأت السير بحثا عن الحقيقة الأخلاقية الإسلامية في الجزائر أثناء فترة الاحتلال، وهي مايمكن اعتبار ابن باديس رمزا ورائدا لهما .

((والله الموفق))

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس الأعـــــــــــلام

=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصطلحات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خير: 6، 25، 43، 44، 49، 57، 61، 64، 65،
66، 71، 74، 101، 106، 110، 113، 120،
135، 137، 158، 166، 174، 171، 177 ،
دولة: (71_74) 79، 136، 150 .
دين: 5، 20، 21، 22، 24، 25، 30، 31،
32، 35، 38، 39، 43، 46، 48، 49، 51،
52، 65، 66، 68، 76، 79، 85، 86، 87،
92، 93، (94_96) 110، 101، 109،
113، 114، 121، 122، 126، 127،
130، 131، 132، 134، 135، 136 ،
138، 143، 147، 148، 153، 157،
158، 163، 160، 174، 178، 179، 181،
182، 189، 190، 193، 195، 201.
رذيلة: 53، 54، 57، 64، 103، 127، 165،
188 .
راعي: 74، 76، 77، 79 .
رعية: 74، 76، 79 .
روح: 31، 54، 55، 57، 58، 85، 108، 168،
171، 180، 182، 183، 184، 188، 189 ،
190، 191، 198، 200 .
سببية: 6، 46، 47 .
سلطة: 25، 75 .
سلف: 7، 21، 24، 22، 25، 39، 40، 65، 73،
77، 81، 90، 91، 92، 94، 95، 104، 110، 114 .
122، 126، 159، 188، 189، 192 .
سنة: 65، 69، 79، 87، 88، 89، 90، 98،
103، 104، 107، 108، 110، 121، 128 ،
143، 159، 174، 177، 178، 180، 189،
192، 193.

سياسة: 17، 18، 25، 26، 28، 39، 43، 73، 74
75، 76، 79، 91، 92، 94، 96، 97، 122، 125،
(135_138)، 145، (147_150)، 155 ،
157، 159، 161، 162، 177، 182، 188،
189، 191، 194، 196، 197، 200، 201 .
شخصية: 9، 21، 30، 32، 35، 41، 64، 96، 99، 100
103، 104، 106، 110، 119. 120، 121،
122، 128، 131، 134، 149، 151، 154، 156،
189، 192، 193، 196.
شر: 6، 44، 64، 93، 109، 110، 113، 119،
127، 135، 164، 175، 177.
شرع: 45، 47، 48، 52، 57، 59، 62، 65، 75،
83، 114، 115، 185 .
شورى: 74، 79 .
ضمير: 62، 63، 75، 79، 91، 201 .
طرقية: 6، 24، 31، 174، 17، 175، 178 .
عقل: 22، 23، 25، 35، 37، 45، 46، 47، 48،
53، 54، 63، 65، 66، 67، 72، 81، 82، 85، 88،
100، 103، 104، 106، 108، 111، (112_114)
116، 118، 119، 121، 130، 132، 165،
166، 183، 190، 191، 193، 99.
علم: 8، 9، 15، 16، 17، 18، 19، 24، 27، 28، 30
32، 33، 35، 37، 39، 41، 43، 46، 47، 54، 56،
57، 64، 65، 66، 72، 74، 75، 77، 79، 81، 82،
83، 85، 86، 89، 90، 92، 93، 96، 97، 101،
106، 107، 109، 111.
عقائد: 22، 25، 30، 34، 57، 189.
عمل: 3، 47، 48، 49، 53، 57، 74، 82، 83، 84،
89، 92، 101، 106، 108، 109، 113، 114،
116، 119، 120، 129، 132، 136، 155، 157،
159، 160، 162، 163، 164، 170، 173، 176،
178، 179، 180، 186، 187، 192 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غريزة : 5، 59، 60، 61، 62، 111، 119، 191، 199.

فضيلة: 53، 55، 56، 57، 60، 71، 96، 103، 109، 127، 133، 166، 170، 191 .

فكر: 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 15، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 34، 37، 43، 44، 48،
58، 62، 65، 68، 74، 79، 88، 99، 107، 128، 189، 190، 191، 192، 197، 201.

فلسفة : 9، 23، 58، 83، 85، 189، 193، 195.

قانون : 17، 26، 27، 29، 47، 71، 72، 76، 78، 79، 127، 153، 154.

قبح : 6، 63، 64، 65 .

قرآن: 16، 17، 19، 21، 23، 24، 30، 33، 58، 64، 66، 69، 73، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88،
89، 90، 94، 98، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 110، 112، 115، 116،
117، 121، 122، 125، 127، 128، 129، 190، 191، 192، 193، 200، 201 .

القواصم: 02.

قيم: 3، 16، 20، 30، 53، 59، 67، 81، 94، 100، 103، 112، 122، 133، 138، 147، 148، 149،
155، 165، 171، 173، 190، 191، 194، 195، 196.

مذهب: 4، 19، 68 .

معرفة : 91، 92، 101، 102، 104، 106، 110، 112، 114، 117، 121، 180، 182، 185، 190،
193، 196، 199 .

مفهوم : 3، 8، 35، 106، 111، 119، 120، 189.

ملك : 70، 71، 72، 74، 191.

منهج : 3، 4، 7، 8، 9، 15، 45، 78، 81، 86، 89، 94، 96، 102، 104، 128، 147، 148، 154، 175،
189، 200 .

نبوة 70، 71، 74، 79، 191 .

نظام 18، 25، 27، 70، 71، 74، 79، 151، 199 .

نفس: (53 ـ 56)، (57 ـ 64)، 67، 81، 85، 99، 100، 102، 103، 106، (111 ـ 113)، 117،
125، 127، 129، 138، 140، 148، 156، 158، 164، 169، 180، 191، 200 .

وجدان: 68، 86، 90، 137، 138، 187.

وجود : 65، 94، 101، 102، 106، 113، 121، 140، 145، 157، 160، 170، 173، 190، 198.

وحي : 6، 46، 74، 79، 109، 111.

وطنية : 96، 99، 100، 103، 104، 106، 110، 119، 120، 121، 122، 126، 128، 131، 134،
135، 141، 143، 144، 147، 148، 149، 154، 155، 156، 157، 173، 183، 184، 187،
188 .

يقيـــــن : 84، 92، 95، 102، 104 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصادر البحث ومراجعه المعتمدة في هذه الدراسة

1 المصادر :

أ_ مؤلفات ابن باديس

1_ عبد الحميد بن باديس ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ط 3، جمع وترتيب د .محمد توفيق شاهين ومحمد الصالح رمضان ، دار الفكر ، بيروت ،1979 .

2 _ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير ،المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة،1948 .

3_ عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،ط1 ،جمع وترتيب وزارة الشوون الدينية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة 1983 .

4 _ عبد الحميد بن باديس ، آثار عبد الحميد بن باديس ،ط 1،جمع وترتيب وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ،1984 .

5 _ عبد الحميد بن باديس ، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان ، الشركة الجزائرية مرازقة بود اودوشركاؤهما،الجزائر،1966 .

6 _ عبد الحميد بن باديس ، من هدي النبوة ، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة،1965 .

7 _ عبد الحميد بن باديس ، رجال السلف ونساؤه،جمع وترتيب محمد الصالح رمضان،مطبعة الكيلان،القاهرة،1965 .

8_ عبد الحميد ن باديس ، قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، جمع وترتيب محمد الطاهر فضلاء، دار البعث ،قسنطينة ،1968 .

9 _ عبد الحميد بن باديس ، جريدة الشهاب (1925_1929م) .

10_ عبد الحميد بن باديس ، مجلة الشهاب (1929_1939)

11_ عبد الحميد بن باديس،عمار بن باديس،حياته وآثاره، أربعة أجزاء ، جمع وترتيب د . عمار الطالبي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،1968 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - مؤلفـــات عن إبن بادیــــس

1- بسام العسلي،عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ،ط 2، دار النفائس، بيروت ، 1982 .

2- حسن عبد الرحمن السلوادي ،عبد الحميد بن باديس مفسرا ،ط2 ، المؤسســـة الوطنيــة للكتــاب،الجــزائر،1984 .

3 - د . رابح تركي،الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ،ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجــزائر ،1981 .

4- رشيد الذوادى ، رواد الاصلاح ،ط1،دار المغرب العربي ، تونس،1973 .

5- علي علواش ، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الاصلاحية، رسالة دكتوراه الحلقـــة الثالثة في الفلسفة، جامعة الجزائر ،1983 - 1984 .

6 - محمد الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983 .

7- د . محمود قاسم ،الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائريــة ، ط 2 دار المعــارف، القاهرة ،1979 .

ح - مؤلفات عن الحركـات الاصلاحية والوطنيـة في الجزائر

1 - ابراهيم احمد العروى ، بلاد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي ، مكتبة الانجلومصرية، مصر،1970

2- د . أبوالقاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ،(1900-1930) ط1،منشورات دار الآداب ، بيروت ،1979 .

3 - د . أبوالقاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ،(1930-1940) الجامعة العربية، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر ،1970 .

4- د . أبوالقاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية ،(1900-1930) ، ج 2،ط 3، الشركة الوطنيــة للنشــر والتوزيــع ، الجــزائر ، 1983 .

5 - د . أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدإ والتطبيق ،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيــع ، الجــزائــر ، 1981 .

6 - أحمد الخطيب ، الثورة الجزائرية ،دراسة وتاريخ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ،1959 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7 ـ أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ط 1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956 .

8 ـ أندري جوليان شارل ، إفريقيا الشمالية تسير ، ترجمة سليم المنرحي وآخرين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر بالتعاون مع الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1976 .

9 ـ د . رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، (1931 ـ 1956) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975 .

10 ـ د . صلاح العقاد ، تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ، مطبعة الرسالة ، مصر 1959 .

11 ـ د . صلاح العقاد ، المغرب العربي ، الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى ، ط 3 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1956 .

12 ـ عبد الكريم بوالصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية ، (1931 ـ 1945) ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1981 .

13 ـ عادل نويهض ، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة عادل نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980 .

14 ـ علال الفاسي ، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي ، ط 2 ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، 1948 .

15 ـ فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، ترجمة أبوبكر رحالة ، مطبعة فضالة ، الحمدية ، المغرب الاقصى ، بدون تاريخ .

16 ـ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1981 .

17 ـ مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ج 1 ، ترجمة مروان القنواتي ، دار الفكر ، بيروت ، 1969 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ح ـ آثار المصلحين الجزائريين

1ـ جريدة (السنة) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (11 عددا) 1933 .

2ـ جريدة (الشريعة) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (09 اعداد) 1933 .

3 ـ جريدة (الصراط) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (10 اعداد) ، 1933 .

4ـ جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، (1935ـ 1939) .

5 ـ العربي بن بلقاسم (التبسي) ، مقالات في الدعوة الى النهضة الاسلامية في الجزائر جمع وتقديم وتعليق شرفي أحمد الرفاعي ، ط 1، دار البعث ، قسنطينة ، 1982 .

6ـ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب ، الجزائر ، 1982 .

7ـ محمد البشير الابراهيمي ، آثار محمد البشير الابراهيمي ، ج 1 ، جمع وترتيب مجموعة من طلبته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1978 .

8 ـ محمد البشير الابراهمي ، آثارمحمد البشير الابراهيمي ، ج 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 .

9ـ محمد البشير الابراهيمي ، عيون البصائر ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 .

10 ـ محمد (مبارك الميلي) رسالة الشرك ومظاهره ، ط1، المطبعة الجزائرية الاسلامية ، الجزائر 1937 .

2 ـ المراجع :

أ ـ المؤلفات

1 ـ ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، مطبعة كردستان العلمية ، القاهرة ، 1329هـ 1911م .

2 ـ أبوبكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب ، مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي ، (دون ذكر المكان) ، 1971 .

3 ـ أبوحامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، أربعة أجزاء ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1959 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4_ أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1959 .

5_ ازفلد كوليبد ، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1965 .

6_ أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي رائد الحركة والنهضة الاسلامية ،(1879_1944) ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1983 .

7_ د . توفيق الطويل ، العرب والعلم في عصر الاسلامي الذهبي ، دار النهضة العربية، (دون ذكر المكان)، 1968 .

8_ شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1969 .

9 _ عبد العزيز أحمد وبوبكر ذكري ، مباحث ونظريات في علم الأخلاق ، ط4 ، دار الفكر العربي (دون ذكر المكان) ، 1960 .

10 _ عبده الشمالي ، تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية ، ط6، دار صادر ، بيروت ،1965 .

11_ عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ، ط3، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، 1968 .

12 _ عبد الرحمن بن خلدون ، المختار من مقدمة ابن خلدون ، ترتيب وتصنيف رضوان ابراهيم، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت 1960 .

13 _ د . عادل العوا ، القيمة الأخلاقية ، الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر، دمشق ، 1978 .

14_ د . عادل العوا، المذاهب الأخلاقية الكبرى ، ج 3، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1959 .

15_ محمد عبد الله الدراز ، دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مراجعة محمد بدوي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1973 .

16_ محمد عبده ، رسالة التوحيد ، تقديم الشيخ حسين يوسف الغزال ، ط6، دار إحياء العلوم ، بيروت، 1986

17_ د . محمود قاسم ، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،(د . ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

18 ـ محمود الشرقاوي ، الدين والضمير، دار العلم للملايين ، بيروت (د .ت).

19 ـ د . مصطفى خالدي ، د . عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ط5 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1973 .

20 ـ محمود مهدي الأستنبولي ، جوار بين الفلاسفة حول تأسيس الأخلاق ، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1965 .

ب ـ الدوريات

1 ـ مجلة (الأصالة) لوزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية .

ـ العدد 14 ، 15 ، ماي ، جوان ، جويلية ، أوت 1973 .

ـ العدد 24 ، أفريل 1975 .

ـ العدد 28 ، جوان 1978 .

ـ العدد 65 ، جانفي ، فبراير 1978 .

2 ـ مجلة الرسالة لوزارة الشؤون الدينية بالجزائر، العدد 2 ، 3 ، أفريل ، ماي 1981 .

3 ـ مجلة الثقافة لوزارة الاعلام والثقافة .

ـ العدد 21 ، جوان ، جويلية ، 1973 .

ـ العدد 70 ، جويلية ، أوت ، 1976 .

ـ العدد 75 ، جوان ، 1983 .

ـ العدد 87 ، ماي 1985 ، وزارة الثقافة والسياحة .

4 ـ ملحقة الشعب ، العدد 2299 ، أفريل 1979 ، مطبعة الشركة الوطنية الشعب ـ الصحافة ـ الجزائر ، 1971 .

5 ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ، السعودية ، العدد ، 04 ، 1400 هـ / 1980 م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-oOo- REFERENCE EN LANGUE FRANÇAISE -oOo-

1 - AGERON (Charles Roberts), l'Algérie Algérienne - de Napoléon III à dégaulle, ed-sindibad, Paris, 1980.

2 - AGERON (Charles Robert), France Coloniale où Particolonial?, Puf, Paris, 1978.

3 - AGERON (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine, 1830 - 1973, 5e ed, collection que sais-je ?, n° 400, Puf, Paris, 1979

4 - AGERON (Charles Robert), politique coloniale au Maghreb, Puf, Paris ,1979.

5 - AGERON (Charles Robert), les Algériens musulmans et la france, 2 tomes Puf, Paris, 1968.

6 - AGERON (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine, T2, Puf Paris, 1979.

7 - Carret (Jacques), l'association des oulamas Algériens, imprimerie officielle, Paris, 1959.

8 - COLLOT (Claude), Robert (henryjean), "le mouvement National Algérien ed l'harmatan, Paris, 1978.

9 - F. (Foulquie), R. (Saint jean), "Dictionnaire de la langue philosophique Puf, Paris, 1978.

10- JULIEN (Chares André), l'Afrique du Nord en marche, ed juliare, Paris, 1972.

11- LALANDE (André), "Vocabulaire Technique et critique de la philosophie, Puf, Paris, 1972.

12- KADDACHE (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien, 1919/1939, T1, SNED, Alger, 1980.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13- KADDACHE (Mahfoud), la vie politique à Alger, 1919/1939, SNED, Alger, 1970.

14- MERAD (Ali), Ibn Badis Badis commentateur du Coran, SNED, Oran, imp. Bon temps, limoges, France, 1971.

15- MERAD (Ali), le Reformisme musulman en Algérie, de 1925 à 1940, (essai d'histoire Réligieuse et sociale) Paris, la haye, 1967.

16- P. (Chevalier), B (GRosperin), J. (Maillet), "l'enseignement Français de la révolution à nos jours", ed mouton, la haye, 1968.

17- R. (Gallisot), l'économie, de l'Afrique du NOrd, (coll que sais-je ?) n° 965, Puf, Paris, 1969.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس المحتـــويـــــات

مقدمــــة :

البـــاب الأول

مفهـــوم الأخلاق عند الامام عبد الحميد بن باديـــس

الفصـــل الأول :

عوامل تكوين الفكـر الأخـلاقي عند الامـام عبد الحميد بن باديـس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني :

معنى الأخلاق

الفصل الثالث:

مصادر ومنهج الأخلاق

الفصل الرابع :

هدف الأخلاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

الأخلاق العملية عند الامام عبد الحميد بن باديس

الفصل الخامس:

وسائل الأخلاق العملية

الفصل السادس:

مواقف ابن باديس الأخلاقية في السياسة

٣٨٤٤٦٨

الفصل السابع:

مواقف ابن باديس الأخلاقية في الدين والثقافة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطبعي	الذكر
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
الجزائر	الجزائر
فكرة	فكره
استعداد نه	استعداد
السلبية	السل
الروسول	الرسو
تناولة	تناول
بخلقة	بخل
وضع مطة النص	وضع
كنت	كانت
واجبة	وا
تطبيقة	تطبي
الفلسفة	الف
الوجودات	الوج
جزائريا	جزائري
الرأي	الرأي
السياسية	أهداف
يوليو 1934	22 يو 1934
[illegible]	[illegible]
سيتها	سياد
تحموا	ساند
رحاب	الرحا
تحمل	عن
جاهد	جاهد
السياسية	السيا
اهتمامات	اهتم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الأخطاء المطبعية (2) الآيات القرآنية

الآية القرآنية حسب الخطأ المطبعي	الآية القرآنية المصححة	الصفحة	السطر
1- «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام» (النساء 01)	1- «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» (النساء 01).	169	02-03
2- (المائدة 34)	(المائدة 35)	169	06
3- (المائدة 50)	(المائدة 15)	169	09
4- «ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا» (المائدة 09)	«ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا» (المائدة 08)	169	10
5- «ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا» (المائدة 03)	5- «ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا» (المائدة 02)	169	11-12
6- (البقرة 82)	6- (البقرة 83)	169	15
7- «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون» (النمل 18)	7- «حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (النمل 18)	69	الهامش